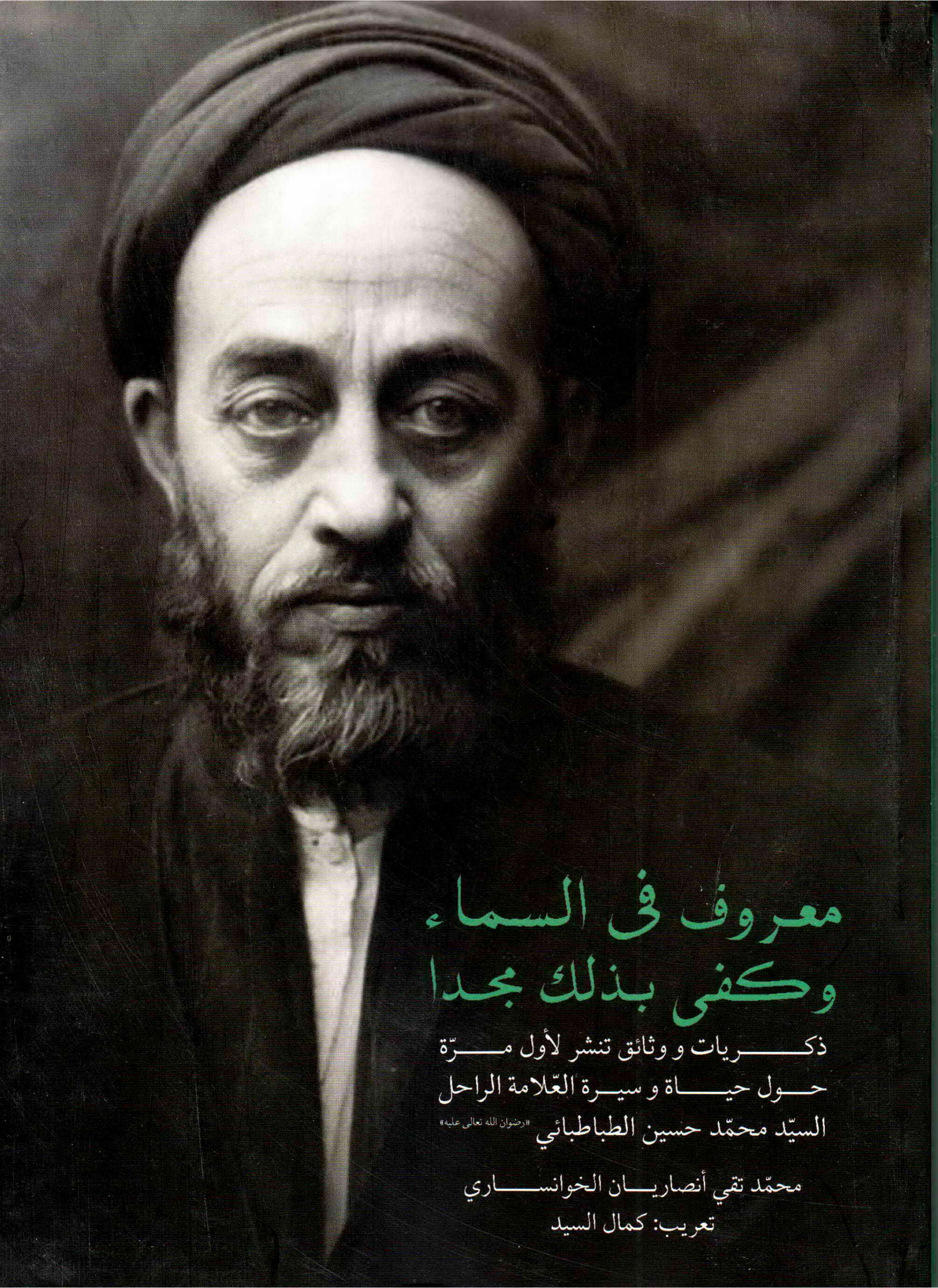

معروف في السماء
وكفى بذلك مجدا
ذكريات و وثائق تنشر لأول مرّة
حول حياة و سيرة العلّامة الراحل
السيّد محمّد حسين الطباطبائي «رضوان الله تعالى عليه»
محمّد تقي أنصاريان الخوانساري
تعريب: كمال السيد

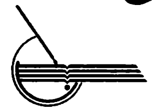

بسم الله الرحمن الرحيم

یادنامه ای از آیت الله علامه حاج سید محمد حسین طباطبائی، عربی
معروف فی السماء و کفی بذلک مجدا/ گردآورنده محمد تقی انصاریان خوانساری؛ مترجم کمال السید
قم: انتشارات انصاریان، ۱۳۹۴.
۲۴۰ص: مصور (رنگی)
ISBN: 978-964-219-514-5
عربی
۱- طباطبائی، سید محمد حسین، ۱۲۸۱-۱۳۶۰-یادنامه ها
۲- مجتهدان و علما - علما - ایران - سرگذشت نامه
الف. انصاریان خوانساری، محمد تقی، ۱۳۲۵، گردآورنده ب. سید، کمال، ۱۳۳۶، مترجم
BP۵۵/۳/ط۲ی۲۰۴۳ ۲۹۷/۹۹۸
۱۳۹۴ شماره کتابشناسی ملی: ۴۰۰۸۴۲۵

معروف فى السماء وكفى بذلك مجدا

ذكريات و وثائق تنشر لأول مرّة حول حياة و سيرة العّلامة الراحل السيّد محمّد حسين الطباطبائي

تأليف: محمّد تقى أنصاريان الخوانسارى
تعريب: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الأولى ۱۳۹۵ - ۱٤۳٦ - ۲۰۱٥
عدد الصفحات: ۲٤۰ ص.
رقم الايداع الدولى: ۹۷۸-۹٦٤-۲۱۹-٥۱٤-٥ (ISBN)



مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم – شارع الشهداء – فرع ۲۲ – ص. ب ۱۸۷
هاتف: ۳۷۷٤۱۷٤٤ (۲٥) (۹۸) فاكس: ۳۷۷٤۲٦٤۷
البريد الالكترونى : Int_ansarian@yahoo.com
www.ansariyan.org & www.ansariyan.ir

معروف في السماء

وكفى بذلك مجدا

ذكريات ووثائق تنشر لأوّل مرّة حول حياة وسيرة

العلّامة الراحل السيّد محمّد حسين الطباطبائي

«رضوان الله تعالى عليه»

تأليف

محمّد تقي أنصاريان الخونساري

ترجمة

كمال السيد

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزان ﴾

الرحمن: ٧

« إن قَدَرْتَ أَلّا تُعْرَفْ فَافْعَل ! ؛
وما عَلَيْكَ أَنْ تَكون مَذْمُوماً عِنْدَ النّاس ؛
إذا كُنْتَ مَحْمُوداً عِنْدَ الله » الإمام الصادق عليه السلام

الكافي، ج ٢، ص٤٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تهيّبت كثيراً قبل أن أشرع في كتابة مدخل حول سيرة وحياة هذا الانسان الإلهي وشعرت أنّني ألج عالماً زاخراً بالمعاني؛ ترفرف في فضائه الواسع أجنحة الملائكة مثنى وثلاث ورباع...

ولقد عاش هذا الانسان الربّاني في أجواء علميّة دينيّة خالصة قبل أن يبدأ رحلته في تفسير القرآن الكريم والتي استغرقت من عمره المبارك عشرين سنة.

وإنّ المرء ليشعر انّه كان ينشد الاستتار وينأى بنفسه بعيداً عن الظهور والاشتهار. فعاش حياته بعيداً عن صخب الحياة، أعني عمّا يطفو على سطح الحياة من زبد الحوادث والأمواج، فغاص في مكنونها نحو الأعماق المفعمة بجلال الصمت وطمأنينة الحقيقة وقرارة السلام.

ولكي يواكب المرء مسار حياة هذا الانسان يتعيّن عليه أن يزور مدينة تبريز، حيث ولد السيّد محمّد حسين في التاسع والعشرين من ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٢١ هـ. ق (١٤ آذار ١٩٠٤ م) ونشأ في هذه المدينة

العريقة[١] ثمّ هاجر لاستمكال دراساته الدينيّة إلى مدينة النجف الأشرف في عام ١٣٤٢ هـ (١٩٢٥ م) ليقيم فيها عقداً من الزمن حيث عاد في عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) إلى مسقط رأسه فمكث في تبريز حتّى عام ١٣٦٤ (١٩٤٥ م) وغادرها إلى مدينة قم المقدّسة فأقام فيها حتّى رحيله عن الدنيا.

في الثامن عشر من محرّم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ (١٦ تشرين الثاني ١٩٨١ م).

---

١. موجز عن مدينة تبريز

تبريز مدينة الأبواب التسعة، عاصمة اقليم آذربيجان الشرقيّة، ترتفع عن سطح البحر بمقدار ١٣٤٠ متراً وتقع في الشمال الشرقي من بحيرة أُروميّة، تبعد عن العاصمة طهران ٦١٩كم.

معظم سكّان تبريز من القوميّة التركية.

يطل على المدينة جبل « سهند » المكلّل بالثلوج دوماً.

ويمرّ بها شمالاً نهر « آجي چاي » الذي يصبّ في بحيرة أُروميّة الشهيرة بملوحتها الشديدة.

وهي مدينة عريقة إلّا أنّها اشتهرت بعد ظهور الاسلام وعرفت بـ «قبّة الاسلام» غير انّه لم يرد لها ذكر في تاريخ الفتوحات.

واسم تبريز ما يزال يكتنفه الغموض حيث يذهب البعض إلى انه يعود إلى اسم البركان في جبل سهند؛ وأوّل ظهور لاسم هذه المدينة كان في أواسط القرن الثالث الهجري لتصبح أشهر مدن الاقليم في القرن الرابع وفي عام ٦١٨ هـ وصلت الفرق العسكريّة للمغول بوابات تبريز ولكنّها لم تسقط بسبب دفع مبالغ طائلة لهم جنبها السقوط عشرين سنة.

لمع اسمها في الحركة الدستوريّة بقيادة علماء الدين حيث استشهد الشيخ محمّد خياباني وفي شتاء ١٩٧٨ تألّق اسمها من جديد في وقائع الثورة الاسلاميّة بقيادة الامام الخميني الراحل.

غصن مورق في شجرة مباركة

في مدينة تبريز مدينة الأبواب التسعة ولد السيّد محمّد حسين في أُسرة عريقة النسب أكثر رجالها من الأشراف ومن رجال العلم، والده محمّد حسين بن الحاج الآميرزا علي أصغر شيخ الاسلام بن الآميرزا محمّد تقي القاضي بن الآميرزا محمّد القاضي بن الآميرزا محمّد علي القاضي بن الآميرزا صدرالدين محمّد بن الآميرزا يوسف نقيب الأشراف بن الآميرزا صدر الدين محمّد بن مجدالدين بن السيّد إسماعيل بن الأمير علي أكبر الشهير بـ «مير شاه» بن سراج‌الدين الأمير عبدالوهّاب بن الامير عبدالغفّار بن السيّد عمادالدين بن علي بن عمادالدين بن السيّد أحمد بن السيّد عمادالدين بن أبي الحسين علي الشهاب بن أبي الحسن محمّد الشاعر بن أبي عبدالله أحمد الشاعر بن أبي جعفر محمّد الأصغر بن أبي عبدالله أحمد بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الغمر[1] بن الحسن المثنّى[2] بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت الامام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

---

١. الثائر الحسني المعروف الذي ثار في البصرة وزحف باتّجاه الكوفة وكان على حافة النصر الحاسم، إلّا أنّه تعرّض لسهم غادر فاستشهد وانتهت الثورة بسبب فراغ قيادي لم يملأه أحد من أنصاره وذلك في عام ١٤٥ هوكان الخليفة يومئذٍ أبو جعفر الذي تلقّب بـ «المنصور» بعد هذه الحادثة.

ومرقد إبراهيم الغمر في مدينة الكوفة على يمين الطريق المؤدّية إلى النجف الأشرف.

٢. جرح في واقعة كربلاء ولم يستشهد، وجده أخواله مغميّاً عليه بسبب النزف فانقذوا حياته بعد علاج استمرّ ستّة أشهر، غادر بعدها الكوفة عائداً إلى المدينة المنوّرة.

ولذا كان يلقّب بـ «الحسني الحسيني» وكـذلك «الطـباطبائي» وهـو اللقب الذي اشتهر به.

وأوّل من سكن تبريز (عـاصمة الدولة الصـفويّة) مـن هـذه الأُسـرة الطاهرة السيّد عبدالغفّار عمادالدين وذلك في أواخر القرن العاشر الهجري مع بدء قيام الدولة الصفويّة حيث تقلّد سمة «شيخ الاسلام» وأعقبه ابنه سراج‌الدين الأمير عبدالوهّاب.

ذاق السيّد محمّد حسين مرارة اليتم وهو في الخامسة من عمره عندما توفيت والدته في عام ١٩٠٩، ثمّ توفّي والده في عام ١٩١٣.

وكان يعاني في دراسته الابتدائيّة من مصاعب في استيعاب ما يـتلقّاه من دروس ربما بسبب فقده أبويه في سن مبكرة فتولّدت لديه حالة من العزوف عن الدراسة ويقال انّ معلّمه والمسؤول عن تعليمه نصحه بـترك الدراسة إذ لم يكن يرى له مستقبلاً يبشر بخير!

ويتوجّه الصبيّ اليتيم إلى ربّه يتضرّع إليه ولسان حاله يقول لقد سلبتني أُمّي ثمّ أبي فلا تسلبني فهمي، فجأة سطع في أعماقه نـور العـلم حـتّى فوجئ معلّمه الذي رأى فيه تلميذاً حادّ الذكاء!

يقول السيّد ﵀ عن هذه الفترة:

«عند ما كنت صبيّاً ادرس الصرف والنحو لم تكـن لديّ الرغـبة فـي الاستمرار في الدراسة ومرّت أربع سنوات دون أن أفهم ما كـنت أدرس، فجأة شعرت بحالة من السكينة تستغرق وجودي كما لو أنّي لست إنسان

الأمس، واندفعت أطوي الطريق في طلب العلم والفكر بجد واجتهاد وإدراك كامل...».

وهذا النصّ يؤيّد ما نقل آنفاً حول معاناته في استيعاب الدروس في صباه[١] ثمّ التحوّل المدهش الذي طرأ على حياته الفكريّة ليتفتق ذهنه عن عبقريّة وعقليّة ونبوغ فكري خلّاق!

مكث في مسقط رأسه تبريز حتّى سنة ١٣٤٤ هـ ثمّ هاجر إلى النجف لاستكمال دراسته الدينيّة في الحوزة العلميّة التي بلغت ذروة شهرتها في مضمار الدراسات الاجتهاديّة ونفوذها السياسي وتأثيرها في مسار الاحداث.

في تبريز درس القرآن الكريم وبعض الدواوين الفارسيّة مثل «گلستان» و«بوستان» للشاعر المعروف سعدي شيرازي، إضافة إلى «نصاب الصبيان» والتاريخ و«أخلاق ناصري» و«إرشاد الحساب»، ثمّ انتقل إلى الدراسة الدينيّة الحوزويّة على مستوى أعلى التي تشكل دراستها باللغة العربيّة المحور الأساسي.

وخلال سبع سنوات درس الطباطبائي علوم الصرف والاشتقاق في كتب «الأمثلة» و«صرف مير» و«التعريف» وفي دراسة النحو في كتب

١. تنسب الرواية إلى العالم والمفكّر الراحل آية الله الشيخ محمّد مهدي الآصفي الذي كان يتحدّث عن سيرة وحياة العلّامة الطباطبائي في الذكرى الأُولى لرحيله وسنورد أيضاً روايتين أُخريين احداهما تتعلّق بسفره الجليل «الميزان» والأُخرى أيّام اقامته في مدينة النجف الأشرف.

«العوالم في النحو» و«الانموذج» و«الصمديّة» و«ألفيّة ابن مالك» إلى جانب «شرح السيوطي» وكتاب «نحو جامي» و«مغني اللبيب» لابن هشام ودرس المعاني في كتاب «المطوّل».

أمّا دراسته الفقه فكانت في كتاب «الروضة البهيّة» والمعروف بـ «شرح اللمعة» وبذلك يمكن القول انّ السيّد الطباطبائي بلغ في دراسته الحوزويّة مرحلة دراسة السطوح في مسقط رأسه تبريز.

عاصر خلالها حوادث سياسيّة كبرى في مقدّمتها الحرب العالميّة الأُولى عام ١٩١٤ وكانت إيران تخضع للحكم القاجاري في مرحلته الأخيرة وقد استشرى في البلاد الفساد الاداري والمالي.

وفي مدينة تبريز ظهرت شخصيّة الشيخ الثائر محمّد خياباني الذي انتفض بوجه الحكم القاجاري استجابة للمرجعيّة الدينيّة التي كانت تطالب باقرار حكم دستوري للبلاد وتمثيل الشعب من خلال مجلس نيابي.

وعلى مقربة من آذربيجان وتحديداً في غابات الشمال الإيراني انطلقت ثورة الغابة (١٩١٤هـ) بقيادة الثائر «ميرزا كوچک خان» والتي استمرّت حتّى عام ١٩٢١ م.

وخلف الحدود الدوليّة وقع حادث كبير وهو انتصار ثورة اكتوبر الشيوعيّة عام ١٩١٧ م بقيادة لينين وتغير مسار الحرب العالميّة الثانية التي وضعت أوزارها عام ١٩١٨ م.

ورأت بريطانيا قبل انسحابها من إيران أن تمهد الطريق أمام «رضا

خان » فسلّمته قيادة الفرقة القوزاقيّة المرابطة في مدينة قزوين على بحر الخزر، وتمهّد له الطريق في احتلال العاصمة طهران التي سقطت دون مقاومة تذكر ؛ ليبدأ المسلسل المثير في انهاء الحكم القاجاري خلال أربع سنوات عجاف.

في البداية فرض رضا خان نفسه كوزير للحرب ثمّ أصبح رئيساً للوزراء بعد الاطاحة بـ «سيد ضياءالدين طباطبائي» الذي كان رئيس تحرير جريدة.

ثمّ صوت مجلس الشورى الوطني على مشروع يقضي بانهاء الحكم القاجاري وتفويض العرش إلى رضا خان عام ١٩٢٤ م ليبدأ الحكم البهلوي، وذلك بعد آلاف الدسائس والمؤامرات.

وفي هذا العام شدّ السيّد محمّد حسين الطباطبائي الرحال مهاجراً إلى مدينة النجف الأشرف لاستكمال دراسته الحوزويّة.

وكانت مدينة النجف الأشرف قد شهدت ثورة محدودة في عام ١٩١٨م ضدّ الاحتلال البريطاني وكان من ارهاصات هذه الثورة تشكيل «جمعيّة النهضة الاسلاميّة» على أيدي بعض علماء الدين في النجف الأشرف وكانت شرارة الثورة قد تمثّلت باغتيال معاون الحاكم الكابتن مارشال ؛ فحوصرت المدينة المقدّسة أربعين يوماً وحدثت مجاعة أدّت إلى استسلام المدينة لشروط المحتلّين بتسليم اثني عشر من الثوار وحكم على بعضهم بالاعدام وعلى آخرين بالسجن والنفي خارج البلاد.

وقد ظلّت النار تستعر تحت الرماد خاصّة في مدينتي النجف وكربلاء

وكان العلماء فيهما يتابعون باهتمام ما يجري في إيران.

وما أن أطل عام ١٩٢٠ حتّى انفجرت الثورة العراقيّة الكبرى بقيادة علماء الدين حيث امتد لهيب الثورة من الفرات الأوسط جنوباً وشمالاً.

وقد بارك المرجع الديني الراحل محمّد تقي الشيرازي هذه الثورة وتضامن زعماء قبائل الفرات الأوسط مع علماء الدين حيث أصدر فتواه في مساندة الثورة والمشاركة فيها. «المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيّين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسّل بالقوّة الدفاعيّة إذا امتنع الانجليز عن قبول مطالبهم».

وقد استمرّ لهيب الثورة خمسة أشهر واستجاب المحتلّون لأبرز المطالب في تأسيس حكم وطنيّ وانهاء حكومة الاحتلال في ٢٣ آب ١٩٢١، وهو نفس العام الذي انتهت فيه ثورة الغابة باستشهاد قائدها وتشتّت الثوّار.

وفي عام ١٩٢٣ و١٩٢٤ أبعد الانجليز بعض علماء الدين العراقيّين إلى إيران وفي طليعتهم محمّد مهدي الخالصي ومحمّد الصدر وقد واكب وصولهم، وصول «رضا خان» إلى سده رئاسة الوزراء بعد إقالة سيّد ضياءالدين الطباطبائي وترحيل «أحمد شاه» آخر ملوك القاجار وتزامن ذلك أيضاً مع اعلان تركيا انهاء حكم الخلافة وتأسيس النظام الجمهوري برئاسة «كمال آتاتورك».

وقد دفع ذلك رضا خان أو دُفع إلى التقدّم إلى مجلس الشورى الوطني بمشروع يقضي بالغاء الحكم الملكي واعتماد النظام الجمهوري الذي

واجه رفضاً شديداً.

فعمد إلى تفجير أزمة «الخبز» وتوجيه اصابع الاتّهام إلى بعض المسؤولين في البلاط وخرجت تظاهرات واسعة وتطوّرت إلى المطالبة باسقاط حكم القاجار.

واثر ذلك انعقدت جلسة علنيّة لمجلس الشورى الوطني حيث صوت النواب على انهاء حكم الأُسرة القاجاريّة وتفويض رضا خان حكم البلاد موقتاً لحين اجتماع مجلس المؤسّسين للبتّ نهائيّاً في مسألة تولّي عرش البلاد.

وفي يوم ١٣ كانون الأوّل ١٩٢٥ أعلن مجلس المؤسّسين تفويض رضا خان وأبنائه الذكور عرش المملكة؛ وبعد ثلاثة أعوام اعتقل «السيّد حسن مدرس» أحد أبرز العلماء المعارضين في مجلس النوّاب لسياسات رضا خان وأبعد إلى منطقة نائية ليبقى تسع سنين انتهت باغتياله عام ١٩٣٧.

فحتى عام ١٩٢٥ يكون السيّد محمّد حسين قد عاصر في مطلع شبابه حوادث وتغيّرات سياسيّة كبرى، في طليعتها كما أشرنا نهاية ثورة الغابة بقيادة ميرزا كوچک خان ١٩٢١ الذي كان يتطلّع إلى معاضدة الشيخ محمّد خياباني إلّا أنّ الأخير قد لقي مصرعه هو الآخر.

وأخيراً نهاية الحكم القاجاري الذي بدأت نهايته في عام ١٩٢١ إثر سقوط طهران في قبضة قائد الفرقة القوزاقيّة رضا خان وكان السيّد محمّد حسين الطباطبائي قد وصل مدينة النجف الأشرف عند اسدال الستار

نهائيّاً على العهد القاجاري ملتحقاً بركب التاريخ ويصبح حقلاً كبيراً للدراسات التاريخيّة.

في مدينة النجف الأشرف

هذه المدينة العريقة الضاربة في جذور التاريخ المتاخمة للصحراء لم يكن ليكتب لها الظهور في هذه المكان المقفر لولا ظهور قبر الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام بعد خفاء استمرّ زهاء قرن ونصف قرن من الزمن.

وبدأت بالنمو التدريجي منذ وصول الشيخ الطوسي في نهايات القرن الخامس الهجري بعد تعرّضه للاضطهاد الطائفي السلجوقي في بغداد.

وبالرغم من العواصف الرمليّة فقد اعتاد السكان على الحياة فيها، وكان الماء يصلها من خلال نهر صغير يأتيها من الحيرة يمدّ المدينة بمياه الشرب المتقطعة؛ إذ سرعان ما تطمّه الرمال بسبب العواصف أو بسبب الأمطار التي تجرف الرمال وتهيلها فيه، وقد لجأ السكان إلى حفر سراديب عميقة فراراً من الحرّ اللاهب في القيظ.

وبعد ظهور الحركة الوهابيّة في الحجاز وبسط سيطرتها على الحجاز ونجد بنى الأهالي حول المدينة سوراً كبيراً من الجصّ والآجر لصدّ الغزو الوهابي.

وعندما وصل السيّد الطباطبائي كانت حوادث عنيفة وانتفاضات من قبيل انتفاضة السكان ضدّ الأتراك، وتحرّر المدينة واستقلالها بين عامي ١٩١٥ ـ ١٩١٧ حيث قاد هذه الحركة الاستقلاليّة آية الله السيّد كاظم

اليزدي الذي تولّى قيادة الحكم كذلك[١] وكذلك ثورة النجف ضدّ الاحتلال البريطاني عام ١٩١٨ وحتّى ثورة العشرين (١٩٢٠) قد تحوّلت إلى ذكريات وإلى ارهاصات لحوادث في المستقبل.

أمّا في الجانب السياسي حيث تشكّل حكم وطني ملكي فقد كانت بعض الأُمور تجري في الخفاء من خلال سياسات بريطانيّة تمهد لحكم (وطني) يروّض الإباء الشيعي ويؤمّن المصالح الاستعماريّة.

ففي مطلع عام ١٩٢٦ عقدت بريطانيا مع العراق معاهدة ثمّ في منتصف العام عقدت مع العراق وتركيا معاهدة أُخرى لترسيم الحدود نهائيّاً وفي نهاية عام ١٩٢٧ تمّ توقيع معاهدة بين بريطانيا والعراق لم تأت بجديد سوى الوعد الذي قطعته الاولى في مساعدة العراق على دخول عصبة الامم ١٩٣٢ شرط التزام العراق بمعدل (التقدّم) و(سير الأُمور سيراً حسناً) وهي إشارة واضحة إلى قمع روح المعارضة ما جعل الحكومة العراقيّة في موقف حرج اضطرها إلى تقديم الاستقالة في عام ١٩٢٨.

يقول المستشرق البريطاني «لونكريك»:

«امتاز عام ١٩٢٨ م بظهور الشيعة كقوّة سياسيّة كبيرة على مسرح الأحداث»[٢].

وقد استمرّت الأوضاع في حالة من الاضطراب تجسّد في قصر عمر الوزارات حتّى منتصف عام ١٩٣٠ حيث أعلن استقلال العراق ومغادرة

---

١. العتبات المقدّسة، النجف الأشرف، جعفر الخليلي.

٢. المصدر نفسه.

المندوب (السامي) البريطاني إلى بلاده بعد تقييد العراق بالتزامات تؤمن مصالح بريطانيا العظمى الاستعماريّة.

وخلال هذه الفترة التي قضاها السيّد محمّد حسين الطباطبائي كـانت النجف قد استحالت إلى قوّه سياسيّة من خـلال تـنامي سـلطة عـلمائها ونفوذهم الروحي العميق في المجتمع العراقي، خاصّة من الفرات الأوسط إلى أقصى نقطة في الجنوب.

ولدى وصول ذلك الشاب إلى مدينة النجف الأشرف انتظم في الحوزة العلميّة التي وصلت في تلك الفترة أوج ازدهارها العلمي والأدبي حـيث تتلمذ في دراسة أُصول الفقه على يد الشيخ مـحمّد حسـين الإصـفهاني حيث استكمل دورة كاملة خلال ست سنوات وحـضر إلى جـانب ذلك بحو ثه الفقهيّة.

كما تتلمذ عند الميرزا النائيني في الفقه وعلم الأُصول وكذلك حـضر دروس السيّد أبوالحسن الإصفهاني.

وفي الفلسفة الإسلاميّة درس الطباطبائي عند الفيلسوف السيّد حسين البادكوبي مدّة ست سنوات، حيث درس عـنده المـنظومة السـبزواريّـة وأسفار ملّا صدرا إلى جانب كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب «الاثولوجيا» لابن تركة الإصفهاني.

وقد شجعه أُستاذه على دراسة الريـاضيّات لتـطوير عـقليّته الفـلسفيّة ولذلك تتلمذ لدى العلّامة أبوالقاسم الخـونساري حـيث درس الهـندسة وعلم الجبر إلى جانب دراسة بعض الكتب الرياضيّة اليونانيّة.

وقد وجد في نفسه رغبة في دراسة العرفان العملي فتتلمذ عند الميرزا علي القاضي.

وخلال هذه السنوات العشر كان يعاني من تدنّي في أوضاعه الاقتصاديّة وكان يترقّب باستمرار وصول القوافل القادمة من تبريز تحمل له بعض المعونات لتمشية شؤونه المعاشيّة.

رجال الغيب

ذات ليلة شتائيّة قارسة البرد جلس السيّد الطباطبائي مهموماً حائراً وقد طار النوم من عينيه، فقد تأخّرت قافلة تبريز وتراكمت عليه الديون وكانت زوجه ورفيقة دربه الطويل ساهرة هي الأُخرى لسهره تشاركه أرقه وهمومه.

اجتازت الساعة منتصف الليل وفي مثل هذا الوقت تبدو المدينة مقفرة مهجورة ما خلال الرياح الباردة تجوس الأزقة الملتوية حيث تصطف بيوتها المتواضعة.

كان السيّد يتحدّث بلهجة فيها تساؤل ولوم لهجة فيها ما يشبه العتاب للربّ تبارك وتعالى: ماذا أقول لصاحب البيت؟ وماذا أقول للخبّار؟ وماذا أقول للقصّاب؟!

كان الصمت هو المهيمن ما خلا ولولة الرياح في تلك الساعة المتأخّرة من ليل الشتاء..

فجأة تعلو طرقات متتابعة على الباب! وانه لأمر مدهش ومفاجئ ترى

من يكون الطارق في هذا الوقت من الليل البهيم ؟ !

نهض السيّد محمّد حسين ليرى من يكون ؟ !

ما إن فتح الباب حتّى ظهر له شخص غريب يحدّثه باللغة التركيّة لغة الأُمّ بادرة بالقول: أنا فلان بن فلان، ثمّ أردف في لهجة فيها لوم: ما هذا يا سيّد محمّد حسين ؟ تعاتب ربّك ؟

أين ايمانك وأين توكّلك ؟ وما قيمة الدنيا حتّى تعاتب ربّك من أجلها ؟

وانصرف الرجل الغريب وغاب في حلكة الظلام وبقي السيّد محمّد حسين مذهولاً !

من هذا الرجل الذي يعرفه ويسمّيه باسمه ومن هو فلان بن فلان انه لا يعرف شخصاً بهذا الاسم.

حاول أن يعصر ذاكرته القويّة ولكن دون جدوى انه لم يره في تبريز ولم يصادفه في النجف.

نسي السيّد محمّد حسين كلّ همومه وهو يحاول أن يعرف فلان بن فلان ؟ وبعد بضعة أيّام وصلت القافلة التي حلّت مؤقتاً بعض مشكلاته ولشدّة وقع الحادثة بقي اسم الرجل الغريب محفوراً في الذاكرة !

كانت أوضاعه المعيشيّة تزداد سوءً؛ أمّا في دراساته العلميّة فقد قطع شوطاً واسعاً إذ حصل على بعض الاجازات في الرواية من بعض أساتذته وشيوخه لذلك رأى انّه من المناسب العودة إلى مدينة تبريز مسقط رأسه وربوع صباه، ولقد كان في عودته ما يشبه الاضطرار.

وهكذا وجد السيّد محمّد حسين نفسه في مدينة تبريز عام ١٩٣٥ بعيداً عن الأجواء العلميّة والتي اعتاد عليها عقداً من الزمن.

ولم تتحسّن أوضاعه المعيشيّة رغم تركه الدراسة وانهماكه في أعمال زراعيّة وكان العالم يعيش ارهاصات حرب عالميّة جديدة.

كان رضا خان معجباً جدّاً بشخصيّة كمال آتاتورك مؤسّس تركيا الحديثة الذي الغى الكتابة بالحروف العربيّة وهذا الأخير سعى إلى تغريب تركيا وقطع جذورها الاسلاميّة حيث ألغى المدارس الدينيّة ومنع الأذان بالعربيّة.

لهذا حاول رضا خان ترسّم خطاه فوضع قيوداً صارمة على المدارس الدينيّة وأحلّ القانون المدني المستمدّ من القانون الفرنسي محل الشريعة الاسلاميّة، وسنّ قانوناً يقضي بنزع الحجاب في سنة ١٩٣٠ وحظر ارتدائه.

وفي عام ١٩٣٥ صدر قانون حظر على الطالبات والمعلّمات ارتداء الحجاب وحظر على ضباط الجيش مرافقة أي امرأة من ذويهم مرتدية الحجاب[١].

وقد اتّبع سياسات من شأنها الحدّ من نفوذ علماء الدين بل حظر ارتداء الزيّ الديني إلّا بتصريح خاصّ.

وأسّس مكاتب مدنيّة لتسجيل عقود الزواج والطلاق.

---

١. تاريخ إيران السياسي، ص٧٦ و ٨٥.

وبالرغم من موقف إيران المحايد الّا ان جـيوش بـريطانيا والاتّـحاد السوفيتي قامت باجتياح إيران واحـتلالها مـن أجـل اخـتصار خـطوط الامدادات العسكريّة لمواجهة زحف الجيوش الالمانيّة وهزائـم الجـيش السوفيتي.

وفي عام ١٩٤١ أُجبر رضا خان بهلوي على التنازل عن العرش لابنه الشاب محمّد رضا، حيث قام الحلفاء بترحيله إلى جزيرة موريس فـي مدغشقر وفي عام ١٩٤٣ أعلنت إيران دخولها الحرب ضدّ المانيا دون أيّ مبرّر.

وقد سعى البريطانيّون والسوفيت إلى تمزيق إيران بتشجيع الحـركات الانفصاليّة.

فقد قام السوفيت بتشجيع الأكراد على الانفصال وكذلك الآذريين.

أمّا بريطانيا فقد شجّعت القبائل البختياريّة في الجنوب وسعت إلى اثارة النعرة العنصريّة في اقليم خوزستان وتحريض سكّانه من العرب.

وخلال هذه الفترة كان السيّد محمّد حسين الطباطبائي ما يزال يعيش في تبريز يزاول العمل الزراعي إلى أن وضعت الحرب العـالميّة أوزارهـا عام ١٩٤٥.

وقد كانت السنوات العشر التي قـضاها فـي مسـقط رأسـه (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥) فترة قاسية في حياته ومسيرته العلميّة فـقد وجـد نـفسه بـعيداً المناخ العلمي والمجال الحيوي للدراسات الديـنيّة والحـوزويّة، فـاشتدّ هاجس الهجرة لديه إلى مدينة قمّ المقدّسة وحوزتها العلميّة المتنامية.

فتح المصحف الشريف وتفأّل بآياته فلاحت له الآية الكريمة: ﴿ **هُنَالِكَ ٱلْوَلَايَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً** ﴾[1].

في مدينة قم

وهكذا شدّ السيّد محمّد حسين الطباطبائي الرحال إلى مدينة قمّ المقدّسة، هذه المدينة الصغيرة جغرافياً والتي تركت آثار كبيرة في التاريخ الإيراني والاسلامي الحديث.

تقع قم جنوب العاصمة طهران على مسافة ١٣٥ كم وتعدّ من المدن التاريخيّة العريقة في البلاد وهي ثاني مدينة مقدّسة بعد مدينة مشهد في شمال شرق إيران، كان أوّل ظهور لها في تاريخ الإسلام يعود إلى نهايات القرن الأوّل الهجري عندما تعرّضت قبيلة الأشعريّين لاضطهاد الحجّاج بن يوسف الثقفي الواليّ الدمويّ المعروف، حيث نزحت القبيلة إلىٰ هذه المينة وتتخذ منها موطناً جديداً.

وقد كان لهذه المدينة موعد مع القدر وذلك عندما قرّرت السيّدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام السفر إلى مدينة «مرو» التي أصبحت عاصمة الدولة العبّاسيّة لسنوات والالتحاق بشقيقها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وكان الإمام عليه السلام قد اسندت إليه ولاية العهد في ظروف وملابسات

---

١. الكهف: ٤٤.

معقّدة[1].

وكانت السيّدة فاطمة قد غادرت المدينة المنوّرة في قافلة يرافقها بضعة من اخوتها، فوصلت همدان، ثمّ مدينة ساوة حين تصدّت لها قوّة عسكريّة وشتّتها، وشعرت السيّدة الجليلة بتدهور حالتها الصحيّة فطلبت نقلها إلى مدينة قمّ على بعد أربعين ميلاً عربيّاً[2].

وقد حظيت السيّدة فاطمة باستقبال يليق بمجدها الأخلاقي ونسبها الرفيع وشجرتها المقدّسة.

حيث خرج السكّان إلىٰ استقبالها وعلى رأسهم الشيخ موسى بن خزرج الأشعري الّذي بادر إلى أخذ زمام ناقتها وقيادتها إلى منزله.

وكان وصولها المدينة في ١٠ ربيع الأوّل سنة ٢٠١ هـ ولم تمكث في إقامتها سوى ١٧ يوماً فقط حيث وافاها الأجل في ظروف غامضة وهي

---

١. تشير الوقائع التاريخيّة إلى أنّ المأمون أراد تعزيز موقعه السياسي باسناد ولاية العهد للامام الرضا عليه السلام وكسب قواعده الشعبيّة والتعويض عن القاعدة التي ترتكز لها السلطة العبّاسيّة في العاصمة بغداد.

وتذكر بعض المدوّنات التاريخيّة انّ الإمام الرضا عليه السلام هو الذي طلب حضور شقيقته العالمة المحدّثة فاطمة سلام الله عليها.

وتنفرد السيّدة فاطمة برؤيتها حديث الفواطم:

سمعت فاطمة بنت جعفر الصادق، قالت: سمعت فاطمة بنت محمّد الباقر، قالت: سمعت فاطمة بنت عليّ السجّاد، قالت: سمعت فاطمة بنت الحسين، قالت: سمعت زينب بنت أميرالمؤمنين قالت: سمعت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً».

٢. يساوي الميل العربي كيلومترين تقريباً.

في العشرينات من ربيع العمر.

وقد أشرف الشيخ الخزرجي على مراسم تجهيزها ومواراتـها الثـرى، وما درى انّها ستبلغ في مجدها الثريا وسوف تنبثق من ثراها مآذن شماء وقبّة ذهبيّة تتألّق تحت قبّة السماء بل وستدخل هذه المدينة التاريخ من أوسع أبوابه بعد حين[1].

تأسّست الحوزة العلميّة في المدينة عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٥ م) على يد الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي حيث بدأت بانشاء مدرسة دينيّة بـلغ عدد طلبتها ٩٠٠ طالب وسرعان ما تنامت وازدهـرت لتـتبلور الحـوزة العلميّة الكبرى خاصّة فـي عـهد مـرجـعيّة السـيّد حسـين الطـباطبائي البروجردي بعد مرور عشرة أعوام من ظهور وتأسيس أوّل مدرسة دينيّة في قم.

وصل السيّد الطباطبائي إلى هذه المدينة وحلّ فيها عام ١٣٦٥ هـ وما إن استقر به المقام في مدينة قم حتّى أخذ بمطالعة مناهج الحوزة النامية الدراسيّة فوجدها تعاني من نقص حادّ وعجز عن الاستجابة لمـتطلّبات المجتمع فكريّاً وعقائديّاً واجتماعيّاً.

وكان غياب الدراسات القرآنيّة والعقليّة والأخلاقيّة يشكل ثغرة واسعة في صرحها العلمي.

وما يدعو إلىٰ الاستغراب حقّاً ان الأجواء السائدة في الحوزة آنذاك لم

١. لمزيد من التفصيل، انظر: قم، دليل الزائر والسائح وعذراء المدينة، كمال السيّد ـ مؤسّسة أنصاريان، قمّ المقدّسة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

تكن تنظر بارتياح ولا باحترام لمن يتصدّى للدراسات القرآنيّة والبحوث العقليّة وتعدّ ذلك مثلبة لمن يشتغل بها، فالعلميّة والاصالة والاحترام التامّ للبحوث في علم الفقه والأُصول!

ومع ذلك فقد شعر السيّد الطباطبائي انّه مسؤول أمام الله سبحانه في الأعراض عن التفسير.

هكذا كانت الأجواء السائدة عندما بدأ الطباطبائي رحلته في تأليف «تفسير الميزان».

وإليه ﷺ يعود الفضل في اعادة الاعتبار للعلوم العقليّة والفلسفة والعرفان والأخلاق، وقد تمكّن بعد مدّة من الزمن أن يجعل من تلك القضايا دروساً أساسيّة في الحوزة العلميّة.

ولقد كان بامكان ذلك الحكيم الإلهي أن يواصل بحوثه الفقهيّة والأُصوليّة وتدريسها والارتقاء إلى موقع المرجعيّة العليا في الأُمّة، لو لا أنّه شعر بأن واجبه الشرعي العمل على تلبية حاجات المجتمع المسلم الفكريّة والعقائديّة وحمايته من الغزو الثقافي المتمثل بالفكر الماركسي، فانبرى إلى تأسيس مدرسة فلسفيّة برهانيّة وخوض الصراع الفكري ضدّ الفلسفات الغربيّة الوافدة.

ولذلك كان السيّد الطباطبائي على تواصل مستمر مع الباحثين في العلوم الاسلاميّة، ودخل في حوار فلسفي عميق مع البروفيسور هنري كوربان أُستاذ الفلسفة الفرنسي في جامعة السوربون وجامعة طهران ورئيس المجمع الايراني الفرنسي.

وكانت جلسات الحوار تعقد سنويّاً في فصل الخريف في جامعة طهران والحوزة العلميّة في قم بحضور جمع من العلماء والأساتذة الجامعيّين.

وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود من الزمن امضاها في العمل الدؤوب الذي أسفر عن احيائه العلوم العقليّة والفلسفيّة والعقائديّة وردّ إليها الاعتبار بعد أن كانت مرفوضة تماماً، فبدأ بتدريس كتاب الشفاء لابن سينا والأسفار الأربعة.

يقول الشهيد مطهّري: لقد أمضى العلّامة الطباطبائي عمره في دراسة الفلسفة وتدريسها وأحاط بنظريّات كبار فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن سينا والسهروردي وصدر الدين الشيرازي (ملّا صدرا) وانفرد بتدريس الحكمة الالهيّة في الحوزة العلميّة.

وقد تخرج عليه يديه علماء كبار ومفكّرون في طليعتهم الشهيد مطهّري والشيخ جوادي آملي ومصباح يزدي والشيخ أنصاري شيرازي والشهيد الدكتور محمّد حسين بهشتي ورئيس الوزراء في حكومة الشهيد محمّد علي رجائي، الدكتور مفتّح.

وعندما رأى العلّامة الطباطبائي انتشار الفلسفة الغربيّة واقبال الشباب المثقّف الايراني عليها واهتمامه بالفلسفات الأُوربيّة فكّر في تأليف دورة فلسفيّة كاملة تشتمل على مسيرة الفلسفة الاسلاميّة خلال ألف عام لبيان الصرح الفلسفي الذي شيّده فلاسفة الاسلام وتفنيد ما روّج له الفلاسفة

المادّيين بأن مفعول الفلسفة الإسلاميّة قد انتهى وانّها أصبحت جزءً من التاريخ.

ويعكس انتاج هذا الحكيم الإلهي في حجمه وثرائه وابداعه انه لم يكن ليضيع دقيقة من عمره وأنّه واصل مسيرته العلميّة دون توقّف إلى أن ألزمه الداء الفراش ثمّ تدهورت صحّته ما أضطرّه إلى دخول المستشفى.

وما يحز في النفس انّه لم يكن إلى جانبه في المستشفى سوى زوجه ورفيقة دربه الطويل والمرير ولم يكن يعوده باستمرار سوى صديقه ومريده الوفي الأُستاذ الحاج محمّد تقي أنصاريان، الناشر الدولي[1].

لم يمكث في المستشفى إلّا أيّاماً معدودة ليغمض عينيه المتألّقتين بالنور الإلهي حيث غادر الروح العظيم الجسد في الساعة التاسعة صباحاً يوم الأحد الثامن عشر من محرّم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ الثاني من تشرين الأوّل عام ١٩٨١ م، ليوارى الثرى في جنبات المرقد الطاهر للسيّدة فاطمة بنت موسى الكاظم عليه السلام وقد كتب على شاهدة الضريح:

---

١. يدير الحاج أنصاريان مؤسّسة طبع ونشر وتوزيع كبيرة جدّاً رغم تواضع الامكانات.
همّه الوحيد نشر الحقيقة المتمثّلة بالقرآن الكريم وبفكر وسيرة أهل البيت عليهم السلام.
ولذا فهو الناشر الوحيد الذي لم يتحوّل إلى تاجر وإنّما بقي بنفس الزخم الأخلاقي، يحمل هموم الرسالة.
فعلى سبيل المثال كانت تصله في التسعينات من مدينة صعدة شمال اليمن ما معدله خمسون رسالة يوميّاً يطلب مرسلوها كتباً بالمجان ولم يكن الرجل ليتردّد في إرسال ما يطلبون فظهر من هذه المدينة الباسل أهلها «أنصار الله» رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وفاجأوا العالم كلّه بشجاعتهم ومصداقيّتهم ومجدهم الأخلاقي ولعلّهم سوف يعيدون رسم خارطة الشرق الأوسط في ضوء العدالة الانسانيّة من يدري؟!

رحل إلى مثوى الكرامة والسرور فخرالإسلام والمسلمين الذي تسنم ذرى الحقائق القرآنيّة مؤسّس المعارف الالهيّة في الحوزة العلميّة صاحب تفسير الميزان العظيم السيّد محمّد حسين الطباطبائي.

لقد آمن العلّامة الراحل بأنّ الدين أخذ في تشريعه حقيقة الوجود الانساني بالاعتبار وشيّد صرح الشريعة على أساس الكمال الإنساني روحاً وجسداً هادفاً إلى تحقيق السعادة المادّيّة والمعنويّة، ولهذا يجب إقامة نظام ديني يجمع بين الحياة الدينيّة والحياة المادّيّة المعاصرة.

كما آمن بمحوريّة الحقّ ودعا إلى اتباع الحقيقة أينما كانت ونبذ كلّ أشكال التعصّب والتطرّف الديني، والّتي تعدّ في الوقت الراهن هاجس الأُمم والشعوب في كلّ أنحاء العالم.

يقول العلّامة الراحل: الحقّ حقّ أينما كان وكيفما أُصيب، لا يؤثر في ذلك إيمان صاحب الحقّ ولا كفره ولا تديّنه وانحرافه.

ومعارضة الحقّ حقداً على حامله لا يعدو أن يكون تعصّباً بغيضاً ومعارضة لرسالات السماء.

ولذلك فقد نادى العلّامة الراحل على نحو واضح بحريّة الفكر والعقيدة؛ ذلك انّ الدين الإسلامي الحنيف يتيح للناس جميعاً الفرصة لاعتناق العقيدة التي يشاءون مفنّداً التصوّر والخاطئ في أنّ الإسلام يجبر الناس علىاعتناقه بقوّة السيف ويقمع الفكر الآخر؛ وهنا يميز العلّامة الراحل بين نوعين من الادراك وطرق الفهم لدى الانسان بسبب التكوين النفسي والبناء الروحي.

إذ يختلف الادراك لدى الإنسان المنصف عن الانسان المتعسّف كما انّ فهم الانسان المعتدل للمعرفة يختلف عن فهم الانسان الذي استولت عليه الأهواء النفسيّة والغرائز الحيوانيّة وجعلت منه همجيّاً يتّبع كلّ ناعق لا يدري في أيّ طريق يسير أو في أيّ طريق يقاد.

ومن هنا فانّه ينتقد بشدّة من يقول انّه يجب فرض الدين الإسلامي بالقوّة على البشر.

وعدّ ذلك من أساليب الكنيسة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين.

واعترف العلّامة الراحل بأن واقع المسلمين اليوم لا يمتّ بصلة إلى جوهر الاسلام.

واعتبر حرّيّة الفكر والعقيدة من بين النعم السليبة.

«مع الأسف انّا معاشر المسلمين سلبنا هذه النعمة كما سلبنا كثيراً من النعم العظام التي كان الله سبحانه أنعم علينا بها لما فرّطنا في جنب الله ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾.

فحكمت فينا سيرة الكنيسة واستتبع ذلك أن تفرقّت القلوب وتشتّت المذاهب».

وأشار العلّامة إلى نقطة أساسيّة وملاحظة مهمّة وهي أن الاحتكاك الذي حصل بين الثقافتين الاسلاميّة والمسيحيّة نجم عنه اقتباس العالم المسيحي ايجابيّات الفكر الإسلامي وثقافته بينما نبذها المسلمون «وراءهم ظهريّاً فتأخّر هؤلاء وتقدّم اولئك».

ولذا فانّ جميع الاشكالات التي يوردها الغرب على الإسلام هي في الحقيقة إشكالات ترد على المسلمين.

وانّ المسلمين هم من انتهك شريعة الإسلام واقصوا هذه الشريعة عن واقع الحياة، وقد حدث هذا مبكراً أي منذ تحول نظام الحكم إلى نظام ملكي في منتصف القرن الأوّل الهجري.

ويرى العلّامة الطباطبائي أنّه لا امتيازات للحاكم في ضوء الاسلام، لأنّ المعيار الوحيد للتقييم هو التقوى وهذا شأن فردي.

فلا يحق لأيّ كان أن يجعل من التقوى ذريعة للسيطرة والاستعلاء والتحكّم بمصير الآخرين.

وتبقى السلطة في ضوء الفكر الإسلامي مجرّد مسؤوليّة وتقلّداً لأعباء الحكم والقيادة؛ تستلزم الأجر الأُخروي بشرط التزام العدالة الاجتماعيّة وتطبيقها في واقع الحياة.

ويعزو الحكيم والفيلسوف الالهي الواقع المزري للمجتمعات الإسلامية إلى غياب القدوة الدينيّة والسياسيّة الصالحة، ذلك أنّه من المستحيل أن يربّي «الجبان» انساناً «شجاعاً باسلاً أو يتخرّج عالم حرّ في آرائه وفكره من مدرسة التعصّب».

ويستطرد قائلاً بأسى ومرارة: «ولهذه الحقيقة ـ المرّة ـ مصاديق كثيرة وأمثلة لا تحصى في سلوكنا معاشر الشرقيّين والإسلاميّين خاصّة في ـ مجال ـ التعليم والتربية في معاهدنا الرسميّة وغير الرسميّة».

ولهذا سرعان ما تفشل جميع الخطط التربويّة والبرامج التعليميّة «فلا

يكاد تدبير ينفع ولا سعي ينجح».

أمّا موقفه من الارهاب معضلة العالم المعاصر فانّه يعلن بصراحة ووضوح أن «الاسلام يحرّم في الحرب والسلم، التخريب والاحراق والسمّ وقطع الماء على الأعداء، كما يحرّم قتل النساء والأطفال وقتل الأسرى ويوصي بالرفق بهم مهما كانوا من العداء والبغضاء للمسلمين.

ويحرّم الاغتيال في الحرب والسلم ويحرّم قتل الشيوخ والعجزة ومن لم يبدأ الحرب.

ويحرّم القتل على (مجرّد) الظنّة والتهمة، العقاب قبل ارتكاب الجريمة إلى غير ذلك من الأعمال التي يأباها الشرف والمروءة والتي تنبعث من الخسّة والقسوة والدناءة والوحشيّة».

ويحدّد العلاّمة الراحل موقفاً فريداً من مسألة الثابت والمتغيّر في الشريعة الإسلاميّة فينتهج خطاً وسطيّاً إذ يشير إلى أنّ القوانين التي يسنّها الإسلام في المعرفة وإن كانت ثابتة غير متحوّلة ولا متغيّرة لكنّها تتكامل وتترقّى باتّجاه الدقّة والعمق.

ولذا فان موقفه العميق هذا يؤكّد امكانيّة تطوير الثابت من الأحكام الدينيّة وتكاملها سواء في مجال العقيدة أو الأخلاق أو القوانين الاجتماعيّة.

ويأسف العلّامة الطباطبائي لضياع الحقيقة التي تنشدها الانسانيّة اليوم ذلك لوقوعها بين قدرات الغرب الهائلة وما يعانيه الشرق من حالة الاستلاب الثقافي.

«كلمة الحقّ اليوم واقعة بين قدرة هائلة غربيّة وجهالة تقليد شرقيّة فلا سماء تظلّها ولا أرض تقلّها»[١].

هل كان يتحدّث عن نفسه؟!

هذا الإنسان الإلهي سيلاحق بعد ثلاثة عقود من رحيلة فيكفّر لا لشيّ إلّا لأنّه اشتغل في الفلسفة!

ومن قبل حوصر وضُيّق عليه لأنّه اشتغل في تفسير القرآن!

وقد جهد مناؤوه على التعتيم عليه، فعاش مجهولاً في الأرض، معروفاً في السماء...

وكفى بذلك مجداً.

كمال السيّد

٢٤ رمضان ١٤٣٦

---

١. المجتمع الديني عند العلّامة الطباطبائي، محمود نعمة الجياشي، ص١٦ ـ ٢٢.

المقدّمة

تعود ذكرياتي عن المرحوم العلّامة الطباطبائي إلى سنين بعيدة وتحديداً إلى ما قبل عام ١٣٤١ هـ. ش ـ ١٩٦١ م حيث كان يسكن في زقاق «كوچه باغ» بالقرب من محلّة «تكيه خلوص» والقريبة أيضاً من محلّة «يخچال قاضي».

وفي تلك الأيّام كنت أسكن في هذا القطاع من المدينة المقدّسة[1] وبسبب هذا الجوار السكني كنت أزوره احياناً في منزله أو ألتقيه أثناء الطريق عندما كان يتوجّه لزيارة المرقد الطاهر للسيّدة المعصومة عليها السلام.

وربما كنت ألتقيه في المجالس الحسينيّة التي عادة ما تعقد في بيوت المراجع والعلماء أو في المدارس الدينيّة.

لقد مرّ على رحيله رحمه الله أكثر من ثلاثة عقود وخلال تلك الفترة الطويلة

---

١. تعدّ هذه المنطقة في طليعة الأماكن التاريخيّة التي تؤلف نسيجها القديم وقد اتّخذت الجهات الحكوميّة المهتمّة بالتراث العريق تدابير من شأنها المحافظة على طبيعتها الأثريّة ونسيجها التاريخي، حيث اعيد ترميم العديد من معالمها القديمة ويشعر الزائر والسائح وهو يخترق أزقّتها انه قد عاد إلى الوراء إلى حقبة مضت أو أنّه يستنشق عبق ا لتاريخ وشذى ذكرياته ـ المترجم.

كان يحدث احياناً أن أروي في مجالس الأصدقاء بعضاً من ذكريات عشتها أو سمعتها من الآخرين ممّن أثق بهم تتعلّق بحياة وسيرة العلّامة الراحل، ذكريات جميلة تشتمل على دلالات مهمّة وقيمة تاريخيّة.

من هنا طلب منّي بعض الأساتذة الفضلاء أن أُسجّل هذه الذكريات وأُحرّرها على الورق حتّى لا تندثر وتضيع، ولم يكن يمنعني من ذلك إلّا كثرة مشاغلي، إلّا أن هذه الفكرة ظلّت هاجساً لا تغيب عن البال حتّى وفّقني الله لذلك.

من المؤكّد انّه قد كتب الكثير عن حياة وسيرة وفكر العلّامة الطباطبائي الراحل حتّى ظنّ الكثيرون انّه لم يعد هناك من شيء بقي في الخفاء.

لقد اطلعت على الكثير ممّا كتب عنه ﵀ وكذا العديد من الأساتذة الفضلاء ووجدت كما وجدوا هم أيضاً انّ الذكريات التي كنت أرويها لم تذكر في مقالاتهم ولم يرد لها ذكر في مؤلّفاتهم من أجل ذلك حثوني على نشر ذكرياتي عن ذلك العلّامة المثقّف لما تشتمل عليه من أهميّة تاريخيّة وأخلاقيّة.

لقد حباني الله عزّوجلّ بنعمة معايشة ذلك الحكيم الإلهي والعالم الربّاني في فترة مبكرة نسبيّاً، أي مذ كان «محمّد حسين الطباطبائي» وإلى أن أصبح «آية الله العلّامة الطباطبائي».

وخلال تلك المسيرة من حياته الاجتماعيّة والعلميّة والأخلاقيّة كنت أرى صغر الدنيا في عينيه المتألّقين بالنور الإلهي الذي هو نور السماوات والأرض، ذلك النور الذي يسطع على القلوب المؤمنة فينعكس على

ملامح الوجوه ويشعّ من خلال العيون.

وكان في باطنه اسم الله العظيم كلمة التوحيد التي هي أساس توحيد الكلمة وشعاره التمسّك بالثقلين كتاب الله وأهل بيت رسول الله؛ الذي أضحى شعوراً دفاقاً يسري في شرايينه وعروقه ويستحيل إلى كلمات ينطق بها وحبراً يسيل من يراعه ويسطره في كتبه القيمة تسطيراً ويعبّر عنه بوضوح وخشوع تعبيراً.

لقد سطعت الحقيقة في أعماقه وأشرقت شمسها على فؤاده، وتدفق نبعها الفياض من على لسانه أو من بين أنامله الرقيقة.

وقد استجاب الله تبارك وتعالى دعاءه الذي كان يلهج به:

«اللّهمّ إنّي أسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار والصدّيقين.

والحقيقة انّه كان من رجال الله الأبرار ومن مصاديق العلماء، مجهولاً في الأرض معروفاً في السماء.

وكان المرء وهو يجلس في رحابه ولو لحظات ليشعر بأن هذا الانسان الالهي يستعد للرحيل.. إلى هناك إلى المكان الذي قَدِم منه.. إلى أرض الوطن، امتثالاً لأمر إمامه وقدوته علي بن أبي طالب:

«فليصدق رائد أهله وليحضر عقله وليكن من أبناء الآخرة فانّه منها قدم وإليها ينقلب»[1].

إنّ هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ لا ينتمي إلى الدراسات

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤.

العلميّة ولا يعد ترجمة لحياة وسيرة ذلك العالم الربّاني الكبير؛ إنّما باقة من ذكريات ومشاهدات ممّا رأيت وسمعت حول انسان عظيم ما تزال صورته المشرقة وسيرته المتألّقة محاصرة بغيوم داكنة من الجهل والتعصّب وقصور الرؤية.

انّه باختصار أداء دين إلى ذلك العالم الزاهد والمؤمن العابد الذي عاش في غير عصره وفي زمن لم يتفهّمه ولسوف تكتشف الأجيال مجده ولو بعد حين.

محمّد تقى أنصاريان الخونسارى

قال عن نفسه...

من المؤسف انّه لم يكن من المعتاد لدى رجال العلم أن يكتبوا شيئاً عن سيرتهم الذاتيّة ولذا بقيت سيرتهم في الظل، لا يعرف عنها حتّى معاصريهم شيئاً إلّا النزر القليل.

ولذا فان ما كتبه العلّامة الطباطبائي الراحل عن نفسه سيبقى أكثر الوثائق التاريخيّة اتقاناً وأقواها سنداً؛ لذا افتتح الكتاب بما قاله ذلك السيّد الكبير.

«ولدت في أُسرة علميّة في مدينة تبريز اشتهرت بالعلم منذ أزمنة بعيدة.

في الخامسة من عمري فقدت أُمّي وفي التاسعة أبي وشعرت بلوعة اليتم في صباي، ولكنّ الله سبحانه وتعالى منّ علينا ويسّر لنا حياتنا الماديّة وكان أبي قد أوصى إلى عمّي برعايتنا أنا وأخي الأصغر مني فكان

يعاملنا معاملة حسنة ويرعانا بأخلاقه الكريمة، ولأن زوجه كانت أُمّاً لأطفال صغار لذا عيّن لنا خادماً.

وبعد مدّة استخدم عمّي معلّماً خاصّاً كان يتردّد على المنزل فتعلمت اللغة الفارسيّة وآدابها وكنت أتلقّى دروساً ابتدائيّة إلى أن تخرجت بعد ست سنوات.

ولم يكن للمدرسة منهج دراسي منتظم بحيث يسلك التلميذ في مراحل محدّدة بل كان التلميذ وبحسب ذوقه وقابليته يتلقّى دروساً معينة.

انتخبت دراسة القرآن الكريم وهو الدرس الذي كان الأكثر رواجاً آنذاك إلى جانب إكمالي دراسة ديوان «گلستان» و«بوستان» سعدي شيرازي و«نصاب الصبيان» و«أنوار سهيلي» و«أخلاق ناصري» و«التاريخ» و«المعجم» و«منشئات أمير نظام» و«ارشاد الحساب».

وهكذا انهيت القسم الأوّل من دراستي ومن ثمّ أخذت في دراسة العلوم الدينيّة واللغة العربيّة مدّة سبع سنين قرأت خلالها في علم الصرف والاشتقاق كتب «الأمثلة» و«صرف مير» و«التصريف» وفي النحو كتب: «العوامل في النحو» و«الانموذج» و«الصمديّة» و«ألفيّة بن مالك» إلى جانب «شرح السيوطي» و«نحو جامي» و«مغني اللبيب» لابن هشام، وفي المعاني والبيان كتاب «المطوّل» للتفتازاني وفي الفقه «الروضة البهيّة» المعروف بـ«شرح اللمعة» للشهيد الثاني و«المكاسب» للشيخ الأنصاري.

وفي أُصول الفقه، كتب: «المعالم في أُصول الفقه» و«قوانين

الأُصول» للميرزا القمّي و«الرسائل» للشيخ الأنصاري و«كفاية الأُصول» لآية الله الآخوند الخراساني وفي المنطق كتب: «الكبرى في المنطق» و«الحاشية» و«شرح الشمسيّة» وفي الفلسفة كتاب «الاشارات والتنبيه» لابن سينا وفي الكلام: «كشف المراد» في شرح التجريد للخواجه نصيرالدين الطوسي وعلى هذه الشاكلة من الدروس إلى جانب الفلسفة المتعالية والعرفان.

ولاستكمال دراساتي الاسلاميّة تشرفت بزيارة (والسفر إلى) النجف الأشرف، وانتظمت في دروس الأُستاذ آية الله الشيخ محمّد حسين الاصفهاني وكذلك درست على مدى ست سنوات متتالية خارج أُصول الفقه.

وخلال تلك الفترة حضرت حلقات الدروس العالية للفقه الشيعي لدى أُستاذنا آية الله النائيني حين اكملت دورة كاملة خارج أُصول الفقه أيضاً في مدّة سبع سنوات وكليّات علم الرجال لدى المرحوم آية الله الحجّة كوه كمرئي.

وكان أُستاذي في الفلسفة الاسلاميّة الحكيم الاسلامي الأُستاذ السيّد حسين البادكوبئي حيث درست عنده كتب «المنظومة السبزواريّة» و«الأسفار» و«المشاعر» لملّا صدرا و«الشفاء» لابن سينا و«تمهيد القواعد» لابن تركة و«الأخلاق» لابن مسكوية.

وكان الأُساذ البادكوبئي يودّني كثيراً ويشرف على تعليمي ساعياً إلى ترسيخ جذور التربية في أعماق وجودي وكان يرشدني دائماً إلىمدارج

التفكير وطرق الاستدلال، حتّى أصبح التفكير الاستدلالي سجيّة من سجاياي وطريقة تفكيري؛ ثمّ أشار عليّ أن أدرس علوم الهيئة والنجوم عند «السيّد أبوالقاسم الخونساري» فدرست عنده دورة كاملة في الرياضيّات العالية وعلم الهندسة بقسميها: «الهندسة الفضائيّة والهندسة المسطّحة» و«الجبر الاستدلالي» وبسبب اختلال الوضع الاقتصادي اضطررت للعودة إلى الوطن والسكنى في مدينة تبريز مسقط رأسي، حيث مكثت عشر سنين وكانت في الحقيقة أيّاماً سوداً في حياتي فقد اضطررت من أجل تمشية أُموري المعاشيّة للعمل في الزراعة والابتعاد عن التفكير والدراسة.

وفي تلك الفترة شعرت بأن سنوات عمري تضيع وأنّ الفقر والحاجة تسحق روحي وقد نشرت سحب الألم والعذاب ظلالها عليّ؛ فعزمت على السفر إلى مدينة قمّ المقدّسة ولدى وصولي هذه المدينة شعرت بالخلاص من سجن العذاب والألم وشكرت الله المنّان على استجابته دعائي وتوفيقه إيّاي للسير في طريق العلم واعداد رجال الدين وتربية الجيل الصالح من أجل خدمة الاسلام والشريعة المحمّديّة.

وما أزال حتّى الآن أمضي حياتي في هذه المدينة المقدّسة التي هي حرم رسول الله ﷺ.

طبعاً لكلّ شخص في طول حياته وبمقتضى ظروفه أيّام مريرة وحلوة وبخاصّة لي أنا الذي أمضيت فترة من عمري يتيماً وبعيداً عن أحبّتي، لقد عشت ألم اليتم بكلّ وجودي وواجهت في حياتي حوادث مؤلمة، إلّا أنّ

الله المنّان لم ينسني ولم يكلني إلى نفسي لحظة واحدة، وكانت نفحاته القدسيّة تحميني دائماً من السقوط في المنزلقات الخطيرة، وكنت أشعر كما لو أنّ قوّة خفيّة تشدّني إليه وترفع عن طريقي كلّ السدود.

في طفولتي عندما كنت أدرس الصرف والنحو لم أجد في نفسي أيّة رغبة في الاستمرار في الدراسة والتحصيل، مرّت أربع سنوات ولم أكن أفهم شيئاً ممّا كنت أقرأ (أدرس) وفجأة شعرت بالسكينة (الطمأنينة) تغمر وجودي، كما لو أنّني لست انسان الأمس، فمضيت في طريق العلم والفكر بكلّ جدّيّة وإدراك تام.

ومنذ ذلك اليوم والحمد لله وحتّى آخر أيّام الدراسة التي امتدت زهاء سبعة عشر سنة لم يتسرّب إلى نفسي أيّ شكل من أشكال الضعف والتهاون في طريق طلب العلم، فتناسيت جميع الحوادث ومرارات الحياة وتغاضيت عن كلّ اللذائذ وقطعت كلّ صلة بالجميع إلّا عن أهل العلم وأصحاب الفضيلة، قانعاً بالضروري من متطلّبات الحياة اليوميّة، وأوقفت وجودي على الدراسة والتعليم ونشر المعارف الدينيّة وتربية الطلّاب.

وما أكثر الليالي التي كنت أمضيها في الدراسة حتّى الصباح وخاصّة في فصلي الربيع والخريف.

وما أكثر المعضلات العلميّة التي حلّت خلال الدراسة وكنت أحضّر لدرس الغد قبل أن يحين حتّى لا تبقى لي أيّة مشكلة مع الأُستاذ.

محمّد حسين الطباطبائي التبريزي

محمد حسين طباطبائي

لقاء العلّامة الطباطبائي مع العلّامة محمّد جواد مغنية

زار العلّامة الشيخ محمّد جواد مغنية ايران[1] وحلّ ضيفاً على المرحوم آية الله شريعتمداري حيث أقام في «دار التبليغ الإسلامي».

وخلال تلك الفترة كنت أقوم بزيارته في محلّ إقامته.

وذات يوم قال لي: أودّ زيارة العلّامة الطباطبائي!

وشعرت بالفرح وأخبرت العلّامة (الطباطبائي) بما جرىٰ فقال لي: كلّا سيد انصاريان انّه ضيفنا أنا من سيقوم بزيارته!

اطلعت الأُستاذ مغنية بما قال العلّامة الطباطبائي، فأشرقت الفرحة في وجهه فقال بلهجة مفعمة بالمودّة والاجلال:

ـ اوه! اوه! هو أعظم وأكبر و...

وفي اليوم التالي رأيت العلّامة الطباطبائي يخترق تقاطع «الشهداء» متّجهاً إلى دار التبليغ حيث يقيم الضيف اللبناني العزيز، فأسرعت لاعلامه.

---

١. لم يذكر تاريخ الزيارة وإن كانت المؤشّرات تشير إلى انّها حصلت في مطلع السبعينات من القرن الماضي ـ المترجم.

ما إن أخبرته حتّى نهض مبادراً لاستقباله فنزل الدرج من الطابق الثاني، ثمّ خرج إلى الشارع.

كان العلّامة الطباطبائي يمشي على رصيف الشارع عندما التقى الرجلان وجهاً لوجه وتعانقا بمحبّة وشوق وكان المشهد مؤثّراً جدّاً فامتلأت عيناي بالدموع.

وساد اللقاء الذي امتدّ زهاء ساعتين جوّ من الصميميّة.

كان العلّامة الطباطبائي يتحدّث فيمزج بين العربيّة والتركية فيما كان العلّامة مغنية يتحدّث بالعربية الفصحى وبلهجة عربيّة ونبرات عربيّة.

وطول مدّة اللقاء سعيت الّا اعكر صفو الجوّ الأخوي العميق لذلك كنت أدخل بهدوء لأضع أمام الرجلين الشاي أو الفاكهة.

وبعد هذا اللقاء، وخلال مدّة اقامة العلّامة مغنية زار الأخير العلّامة الطباطبائي في منزله أكثر من مرّة وفي كلّ مرّة كنت أُرافقه في زياراته التي تحوّلت إلى جلسات للحوار العلمي في قضايا التفسير.

أحياناً كانت الدموع تتجمّع في عينيّ وأنا أرى كيف يعظم العلّامة مغنية السيّد الطباطبائي ويجلّه ويعامله بكلّ احترام في حين كان السيّد الطباطبائي يعاني من معاملة قاسية في أوساط الحوزة في قم وفي غير قم، لقد كانت توجّه إليه الطعنات دون رحمه ويتعرّض لحملات انتقاد قاسية، وكان العلّامة الطباطبائي يتلقّى كلّ ذلك بصبر وحلم عجيبين ولم يكن يدافع عن نفسه.

أجل كان العلّامة في تلك الفترة الصعبة كنزاً كبيراً يتعرّض للتضييع

والتغييب المتعمّد!

لا أنسى أبداً ما قاله العلّامة مغنية:

ـ عند ما وصلني «الميزان» عطّلت المكتبة تماماً وكان الميزان وحده فوق منضدتي.

لقاء مع العلّامة الطباطبائي بعد عودته من زيارة المشهد المقدّس

جرت العادة عندما يعود الزائر من مدينة مشهد والتشرّف بزيارة الإمام الرضا عليه السلام أن يستقبل في منزله المهنئين، لذلك عندما زرته كان المنزل يغصّ بالمهنئين.

وكان العلّامة عادة ما كان يتوجّه لزيارة مشهد ثامن الحجج الإمام الرضا عليه السلام في فصل الصيف وفي أيّام التعطيل.

وخلال فترة اقامته في مدينة مشهد، تجري لقاءات مع الأعلام من علمائها حيث يمكن الاشارة في هذا المضمار إلى آية الله الميلاني وكان العلّامة ربما روى بعض ذكياته معه إلى جانب المراسلات التي كان يجريها مع مرجع التقليد.

وقد وردت الاشارة إليها في بعض الكتب، وبخاصّة الرسائل المتعلّقة بآية الله شريعتمداري و«مؤسّسة دار التبليغ الاسلامي» والإمام الخميني الراحل.

في ذلك اليوم الذي زرته للتهنئة قال أحدهم بصوت عال:

ـ يا سيّد رأيتك في مشهد مع الزوّار المزدحمين في الحرم الطاهر.

كنت تقرأ الزيارة وسط الحشود المتدافعة، ألم تكن تشعر بالأذى وسط المتدافعين؟!

واشرأبت الوجوه إلى العلّامة، ترى ماذا سيقول في جوابه؟!

رفع السيّد الطباطبائي رأسه بهدوء ثمّ قال والدموع تتألق في عينيه:

ـ أنا أيضاً أحد المتدافعين!!

وسادت الأجواء حالة من الخشوع، كما لو أنّهم كانوا ينظرون إلى مشهد الامام الرضا عليه السلام وقد تدافعت الجموع للتبرّك بلمس ضريحه!

كان كلامه الوجيز في تلك الجملة درساً للجميع في بيان المكانة الرفيعة لزوّار الامام الرضا عليه السلام.

كان السيّد الطباطبائي أثناء الزيارة أو حتّى عند ما يتحدّث عن أهل البيت تغمره حالة خاصّة من الخشوع وقد لاحظت انه أثناء زيارة ضريح السيّدة المعصومة يكاد يذوب فى جموع الزائرين.

لقد لاحظت في ذلك اليوم بعضهم يتبسّم ساخراً لما قاله العلّامة «أنا أيضاً أحد المتدافعين» هؤلاء لم يدركوا ما وصل إليه هذا الانسان الالهي في مودّته وحبّه لأهل البيت عليهم السلام، كان يرى نفسه ذرّة بل انه كان لا يرى لنفسه وجوداً في رحاب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد سمعته مرّة يقول:

ـ ذرّة كنت وبحبّك ارتفعت!

أرجو أن يوفّقنا الله تبارك وتعالى لبلوغ ما بلغه ذلك السيّد الجليل من شأن رفيع.

كرامات الإمام الرضا عليه السلام

زرته ذات مرّة بعد عودته من مدينة مشهد المقدّسة فروى هذه الحكاية:

عند ما كنت في مشهد كان أحد الأصدقاء يسكن في الطابق الفوقاني في «مدرسة ميرزا جعفر» التي تقع في الصحن المطهّر.

ذات يوم قمت بزيارته، فطلب من أن نحدّد وقتاً للتباحث في بعض الدروس لذلك كنت أزوره في حجرته في المدرسة فكان ينزل الدرج لاستقبالي.

وفي نهاية الدرس كان يودّعني بمثل ما يستقبلني به.

وذات يوم وعلى خلاف العادة لم أجده على الدرج لاستقبالي، فدخلت الحجرة فاذا هو متمدد في فراشه فأشار إلى ساقيه وقد اسودّتا فشعرت بالدهشة!

قلت: انهض لآخذك إلى الطبيب!

فامتنع رغم إلحاحي عليه! قلت له: فماذا تريد أن تفعل؟!

قال: اتحامل على نفسي فان استطعت أن أذهب إلى ضريح الامام الرضا عليه السلام فهناك شفائي ولا حاجة للطبيب!

وبقيت أتردّد عليه في حجرته يوميّاً في نفس الوقت، وفي اليوم الثالث أو الرابع عندما أردت الصعود إلى حجرته، إذا به واقفاً عند المدرج على عادته من قبل.

وفي الحجرة كشف عن ساقيه ولم أر أثراً للسواد تعجّبت من ذلك وغمرتي حالة روحية ودمعت عيناي خشوعاً فلمّا أردت الاستفسار قال كما ذكرت لك سابقاً.

قال: تحاملت على نفسي وذهبت إلى الضريح المطهّر للامام الرضا عليه السلام وهناك دعوت الله وتضرّعت إليه في الشفاء، فاستجاب الله دعائي.

لقد روى العلّامة الراحل أكثر من مرّة كرامات من هذا القبيل وقعت له في النجف الأشرف أو في مشهد الرضا عليه السلام أو في قمّ، وكان عندما يقوم برواية كرامة من تلك الكرامات الكثيرة فانّه ينقلها بلهجة فيها من الخشوع والايمان والتوقير والحب لأهل البيت الأطهار عليهم السلام.

ولأن كلماته كانت تخرج من قلبه المشرق بالايمان فانّها تقع مباشرة في قلوب المستمعين وتتملّكهم حالة روحيّة وشعور فيّاض بالايمان.

وهنا أروي هذه الذكرى عن العلّامة الطباطبائي قرأتها في كتب تحت عنوان «ما سمعت ممّن رأيت» وهي على لسان آية الله الحاج سيد جعفر سيدان:

قال أحد المسؤولين في الدولة: زرت السيّد الطباطبائي صاحب الميزان في يوم عاشوراء، فقال:

ـ هل تعلم بأن هذا اليوم هو عاشوراء؟

قلت: نعم.

فقال: أتعلم أنّ جميع الأشياء هذا اليوم بكت دماً، حقيقة وليس مجازاً؟

قال ذلك ثمّ رفع حجراً وشطره فسالت منه قطرات دم قانية.

وقد سمعت من بعضهم ما يؤيّد هذه الرواية ما يدلّ على اعتقاد راسخ وايمان عميق بكرامات أهل البيت عليهم السلام.

ومن المؤكّد انّ العلّامة الراحل قد بلغ مرحلة الشهود في ذلك إلّا أنّه كان يعبّر عن كلّ ذلك بأُسلوب رواية الذكريات.

العلّامة الطباطبائي يزور اصفهان

بعد انتصار الثورة الاسلاميّة «شباط ١٩٧٩» زارني حجّة الاسلام السيّد ناطق إصفهاني في مكتبي «انتشارات انصاريان في قم» وأطلعني على رغبته في دعوة العلّامة السيّد الطباطبائي للاستجمام في مدينة اصفهان[١].

ولذا طلب منّي مفاتحة العلّامة بهذا الشأن، وذهبت إلى منزل العلّامة وأخبرته.

فوعدني خيراً وبعد أيّام قال العلّامة أنّه يوافق على ذلك بشروط!

وكان أوّل شروطه أنّه يصطحب أُسرته، وكانت زوجة العلّامة قد توفّيت فتزوّج أُخت المرحوم الفاضل والعالم السيّد روزبه وهي امرأة غاية في التديّن والوقار.

---

١. احدى أجمل المدن التاريخيّة في إيران مضرب الأمثال في هذه المضمار: «لولا تبريز لكانت اصفهان نصف الدنيا» عاصمة الدولة الصفويّة، ومن مراكز الحضارة الاسلاميّة، تمتاز بنسيجها التاريخي وآثارها السياحيّة الرائعة ـ المترجم.

والشرط الثاني أن أُرافقه في هذه الرحلة والشرط الثـالث ألّا تـنظّم له هناك مراسم استقبال.

واتصوّر ان هذه الشروط تعبّر عن شخصيّة العلّامة في جانبها الانساني والأخلاقي.

اصراره على أن تشاركه زوجه في هكذا سفره تـرفيهيّة ونـفوره مـن الأضواء والشهرة وميله إلى حياة بسيطة هادئة، أمّا شرطه الثـاني وهـو مرافقته في السفر فلم أدرك مغزاه إلّا بعد وصولنا مدينة اصفهان.

وبالرغم من مشاغلي الكثيرة فقد استجبت لرغبة العلّامة في مرافـقته ولم يتطرّق العلّامة إلى مسألة الاقامة في إصفهان وأنا أيضاً لم أتحدّث مع صاحب الدعوة، لأن عدداً كبيراً من علماء إصفهان كـانوا يـتشوقون إلى لقاء العلّامة في مدينتهم إلى جانب شريحة واسعة من الطلّاب الجامعيين المتحمّسين إلى لقائه عن قرب.

وقبل أن نتوجّه إلى إصفهان انهالت المكالمات من المدينة حول اقامة الضيف الكريم وفتحت البيوت والبيوتات أبوابها للتشرّف باستقباله ضيفاً عزيزاً.

وتقرّر أن يكون محل اقامته في منزل حجّة الإسلام السيّد منصور زاده وهو شخصيّة علميّة تجمع بين الدراسة الحوزويّة والاكاديميّة الجامعيّة.

وفي الصباح الباكر انـطلقت بـنا سـيّارة «پـيكان»[1] صـوب مـدينة

---

١. باعت بريطانيا مصانع هذه السيّارة إلى إيران في الخمسينات مـن القـرن المـاضي وتـعد ←

اصفهان، اتخذت مكاني إلى جانب السائق فيما جلس العلّامة ومعه زوجه في المعقد الخلفي.

في الطريق كانت لنا محطّة استراحة احتسينا فيها الشاي وجدّد العلّامة وضوءه.

ولدى وصولنا ضواحي المدينة أي على بعد ٢٠ كم فقط لاحت لنا ٤٠ ـ ٥٠ سيارة مركونة إلى جانب الطريق العام وقد ترجّل بعض من فيها.

الحقيقة شعرت بشيء من الفرح والحزن معاً، وكان مبعث فرحي هذا الاستقبال لشخصيّة العلّامة ومدى محبوبيّته في الأوساط العلميّة والشعبيّة العامّة، أمّا حزني فكان الاخلال بالشرط الثالث في ألّا يكون هناك مراسم استقبال اذن لم يف الاصفهانيّون بهذا الشرط وكما يقول المثل لقد ألبسونا الطربوش (يعني خدعونا).

وتحاشيت النظر إلى وجه العلّامة خجلاً وعندما وقعت عيناي عليه قرأت في ملامحه كلّ شيء.

اضطررنا إلى ايقاف السيّارة والترجّل احتراماً للمستقبلين وكان كلّ واحد منهم يلقي التبعة على غيره.

وعاد العلّامة فاستقل السيّارة بعد أن شكر المستقبلين على عواطفهم.

عندما عدت إلى السيّارة رأيت العلّامة يبتسم لي ويقول: «لقد اتّضح

➲ السيارة الأكثر انتشاراً في إيران في عهد الشاه، انحسر انتاج هذا النوع من السيارات في الآونة الأخيرة بعد تطوّر هذه الصناعة إلى أن توقف نهائيّاً باستثناء انتاج شاحنات صغيرة ـ المترجم.

معنى الشرط والشروط يا سيّد أنصاريان! انتبه جيداً هذا هو الشرط الأوّل!

عندما وصلنا إصفهان كان من المفترض أن نتوجّه إلىٰ منزل السيّد منصورزاده ولكن السيّد العلّامة قال:

ـ لنزور عالم المدينة أولاً!

اذن فانّ من الأدب أن يقوم الضيف بزيارة عالم المدينة أولاً عندما يسافر ويحلّ ضيفاً على من وجّه له الدعوة!

انّه درس في آداب السفر تعلّمته من السيّد الطباطبائي، وهكذا تقرّر زيارة آية الله خادمي رحمه الله.

استقبل السيّد خادمي الضيف الكريم بالاحضان ورحب بقدومه بحرارة وشوق.

وكان اللقاء رائعاً!

لا أتذكّر جيّداً من طرح بعض الأسئلة حول تفسير بعض آيات القرآن الكريم؟!

هل كان السيّد «پرورش» أو المرحوم المهندس «مصحف» أو المهندس «سجادي»؟

في البداية تلا عدّة آيات من القرآن الكريم ثمّ قال: «سيّدنا ان معاني هذه الآيات في الظاهر لا تتّفق مع بعضها؟

فقال العلّامة: بل انها متّفقة في المعنى وهذا يتّضح من الآيات التي تليها».

وأوضح العلّامة بعض المسائل الدقيقة اثارت اهتمام المستعمين ما حدا بأحدهم أن يقول: ان هذا الموضوع كان مدار بحث مدّة أُسبوع والآن ارتفع الاشكال.

وساد اللقاء جوّ من الحميميّة والروح العلميّة وبدا واضحاً ان الاصفهانيّين قد خرقوا الشرط الثاني، فقد كان من المقرّر أن لا تكون هناك جلسة سؤال وجواب!

جلسة حوار

خلال أيّام اقامته في اصفهان لم يتركوا للعلّامة فرصة التقاط أنفاسه فقد كانت علّة قدومه وتلبية الدعوة هو قضاء بضعة أيّام للاستجمام والاستراحة لذلك بادر نخبة من علماء ومثقّفي المدينة التاريخيّة إلى عقد جلسة حوار مع العلّامة وفي الحقيقة توجيه عدد من الأسئلة لسماحته.

في البداية اعتذر العلّامة عن ذلك فاستعانوا بي لاقناعه وهذا ما فعلته فابتسم كعادته وقال:

ـ سيد أنصاريان وهذا الشرط الثاني أيضاً!

وعقدت الجلسة وبسبب التحضير لمستلزمات الجلسة ومراقبة حالة العلّامة اضافة إلى اني لم أكن في أجواء الحوار الفكري لذلك لم أقم بتسجيل تفاصيل الحوار.

بعد مدّة بحثت عن التسجيل الصوتي للحوار وساعدني أخي الشيخ علي أنصاريان فحصلت على الشريط، ولم يكن التسجيل واضحاً

فحصلت على نسخة مسجّلة على «CD» ثمّ نقلت على الورق ويتحوّل الصوت إلى كتابة.

وأشار المحرّر إلى وجود فراغات وفواصل إلى جانب عدم وضوح بعض الجمل والعبارات.

ومن أجل المحافظة على الأمانة في نقل الحوار عرضت على آية الله ممدوحي الكرمانشاهي وهو من تلامذة العلّامة المبرزين أن يطالع الحوار للتأكّد من سلامته، فوافق مشكوراً بالرغم من كثرة مشاغله في الحوزة والجامعة.

ولم يكتف الاستاذ بمطالعة النصوص بل كتب بحثاً وأرسله إلينا قائلاً: «ليت الفرصة تسمح لأكتب أكثر ممّا كتبت لتعميم الفائدة فما هو موجود في الحوار يخصّ النخبة فقط وتلامذة أُستاذنا العلّامة ﵀.

وفيما يلي نص ما كتبه آية الله ممدوحي تلميذ العلّامة الراحل المبرز:

باسمه تعالى وله الحمد

في ضوء القرائن الموجودة في النص وما أعرفه عن مقاصد العلّامة الطباطبائي وفي ضوء أجوبته ﵀ أعرض موجزاً للحوار:

أميرالمؤمنين عليه السلام ومعرفة الله بالله

▣ يستفاد من دعاء أبي حمزة الثمالي «ولو لا أنت لم أدر ما أنت» انّ

الامام يقول انه عرف الله بالله وهو «سبحانه» الدليل على ذاته.

▣ العلامة: ما ندركه من موجودات في الخارج، فانّ وجودها في الخارج رغم انّنا لا ننتبه إلى هذه النكتة ذلك اننا نعلم ان الماهيات الموجودة هي موجودة يوماً ويوماً غير موجودة، وان تصوّرنا عن الخارج ورغم مطابقته من جهة مع الواقع إلّا ان آثار الواقعيّات سوف لا تعيننا على صورتنا الذهنيّة وتلك الواقعيّة هي منشأ الآثار لا تقبل الانتقال إلى الذهن أبداً[1].

خلاصة النص الأصلي للحوار الذي جرى مع العلّامة الراحل رحمه الله

طرح السؤال من قبل المرحوم المغفور له السيّد علي أكبر پرورش وجناب حجّة الاسلام الحاج الشيخ محمّد تقي رهبر وقد عقدت الجلسة في دار حجّة الاسلام السيّد منصورزاده في اصفهان.

س ـ ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي قول الإمام السجاد عليه السلام:

«بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدر ما أنت».

كيف هي معرفة الله بالله؟

ج ـ يعني انّ الله تعالى معلوم بالذات وادراكه لا يحتاج إلى واسطة فهو

١. يستمرّ آية الله ممدوحي باختصار الحوار في لغة علميّة وفلسفيّة معقّدة واثرنا الانتقال إلى النص الأصلي المثبت بعد التلخيص ـ المترجم.

معلوم لنا بذاته؛ ذلك أن أية حقيقة نفترض وجودها في الخارج تكتسب واقعيّتها مع حقيقته وهذا هو برهان الصديقين[١].

ويروي الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إنّما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنّما يعرف غيره»[٢].

ولذا لا يقيم القرآن الكريم برهاناً على وجود الله، لأن ادراك هذه الحقيقة هو ادراك غريزي وفطري ولا يخلو الانسان منه أبداً.

ولذا لا يمكن الشكّ في وجود الله أبداً، وعندما يشكّ الانسان فانه في الحقيقة لم يتصوّر الله كما ينبغي وإنّما افترضه علّة من علل الطبيعة يردّ عليها السلب والعدم.

أمّا تلك الحقيقة التي تدرك كلّ حقيقة معها والتي تدرك ابتداءً قبل إدراك بقيّة الأشياء فهي الله الذي لا يمكن انكار وجوده.

س: ماذا يعني الامام علي عليه السلام في قوله:

«داخل في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة؟

---

١. يقوال الامام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام في دعاء يوم عرفة:

الهي! كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟

متىٰ غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟

عميت عين لا تراك عليها رقيباً!

٢. التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٣٨؛ بحار الأنوار: ٤/ ١٦٠.

داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل؛ وخارج منها لا كشيء من شيء خارج» ؟

ج: يعني انه عليه السلام لا يشكّ فيه تعالى لأنّ الله ليس بجسم ولا مادّة ولا يمكن القول انّه دخل الدار، لأنّ الدخول للمادّة ويستلزم الجسميّة وهو منزّه عنها.

ولا يمكن أن يقال هو خارج الدار، لأنّه لا معنى لخروجه فهو ليس بداخل ولا خارج والحقيقة أنّه كلّ شيء وليس كلّ شيء، هو في كلّ مكان وليس في كلّ مكان، هو موجود بمعنى الاحاطة الوجوديّة وليس موجوداً في الأشياء بمعنى انه منزّه عن خاصيّة المادّة في الدخول والخروج.

س: كيف هي العلاقة بين الكائنات الطبيعيّة والماديّة بما في ذلك الانسان مع كائن وراء الطبيعة بالصورة المطلقة، وهل صحيح فيما يخصّ الانسان بأنّه ينطوي على القابليّة والفاعليّة ؟

ج: علاقة كلّ علّة مع معلولها وهي نفسها علاقة الايجاد طبعاً وجميع العلل تنتهي إلى الله وتصبح الوسطيّات علل متوسّطة.

على سبيل المثال الانسان يمسك بالقلم ويكتب فهنا يمكن أن يقال الكاتب هو القلم والكاتب هي اليد ولا يُعد هذا كذباً؛ غير ان حقيقة الموضوع هي أن الكاتب الحقيقي هو الانسان نفسه، وما القلم واليد إلّا أسباب متوسّطة (واسطة).

وهكذا الأمر في مسألة الخالق والخلق، فان جميع الموجودات لها

علل تقل وتكثر إلى أن تنتهي بعلّة العلل[1] الذي ليس له علّة وهي جميعاً محكومة له ومسخّرة وبارادته (سبحانه) توجد الحوادث.

أمّا الانسان وانّه له القابليّة بالنسبة لأشياء (معيّنة) وله الفاعليّة في أشياء أُخرىٰ وهذا بواسطة الوجود التركيبي فيه؛ القابليّة هي الفاقديّة والفاعليّة هي الواجديّة لذا فانّ الانسان واجد لبعض الأشياء وفاقد لبعض الأشياء.

لا مانع من أن يأخذ وأن يعطي أمّا في الواحد الحقيقي الذي له كلّ شيء وليس عنده مفقود، فلا يصحّ القول بأنّه فاعل وآخذ، لذا فان جميع العلل منتهية إليه.

س: هل يمكن أن نعتبر العقل والشعور والادراكات الانسانيّة إنّما تجلّيات للمادّة ودرجة وجوديّة متدنية؟

ج: المادّة كيفما تؤخذ بنظر الاعتبار هي مادّة فقط لقبول الصورة، أي ان لها الاستعداد لقبول الصور المختلفة بواسطة التركيب لا أن تؤثر؛ فالفاعل هو غير المادّة لذا فان كلّ جزء مرتبط بفاعل لما وراء المادّة، وما التجلّي والتعقّل والادراك ونظائر ذلك الا من الكمالات الفعليّة، لا الانفعاليّة.

فعلى سبيل المثال ان فعل الشمع هو في قابليته أن يكون في الصورة التي يكوّنها الانسان، إلّا أنّه لا توجد فيه حيثيّة الفعل. في حين أنّ

---

١. السبب بلا سبب لكلّ الأسباب ـ المترجم.

الحوادث الخارجيّة التي يطالها الحسن فلها جميعاً حيثيّة القبول بالنسبة للحوادث وتوجد فيها حيثيّة الفعل، يعني انه لا معنى للقبول بدون فعل، القبول للمادّة والفعل لما وراء المادّة التي يجب اثباته؛ وبما انّ مجموع العالم يؤلّف واحداً متشكّلاً ومرتبطاً فانّه يثبت فاعلاً واحداً هو ما وراء المادّة الذي هو الله.

س: ثمّة آيات في سورة النور تشرح كيفيّة الخلق، فهل المراد وضع الخلق الحالي؟

ج: هذا شيء بسيط انه تعالى يقول: ﴿**إنّا خَلَقنا مِنَ الماءِ كُلّ شيء حيّ**﴾ والماء يدخل المسار الوجودي لجميع الأحياء بعضها يمشي علىٰ قدمين وبعضها على أربع وبعضها يزحف كالأفاعي.

س: في الآية الكريمة: ﴿هَل أتىٰ عَلى الإنسانِ حينٌ مِنَ الدهرِ لَمْ يَكُنْ شَيئاً مَذكورا﴾ هل أن الألف واللام عهد ذكري أم لا؟ وما هو معناه؟

ج: الألف واللام للجنس وبيان خاصيّة الانسان الماديّة فبعد أن كان نطفة وجنيناً فاقداً للارادة والادراك أصبح الآن انساناً له ادراك وارادة، فأنّ الانسان كائن مركب من المادّة والصورة.

والصورة الانسانيّة صورة مجرّدة وخارجة عن المادّة، وهي مرتبطة على نحو ما بمادّة تدعى البدن.

ويقوم الروح من خلال الأعضاء والجوارح والآلات المسموح بها في البدن بأفعال تتّجه نحو الكمال وما لم يتم إبطاها فانّها تصل الى غاية الكمال الانساني وفي هذه المرحلة فان كلّ ما كان موجوداً بالقوّة فانّه

يتّخذ شكل الفعليّة؛ فيصبح كائناً موجوداً بالفعل من كلّ الجهات، يعني يبدأ من مرحلة الشروع ويصل إلى مرحلة التكامل وإلى أوج التجرّد.

س: ما هو المراد من القلب والنفس والفؤاد في القرآن الكريم؟

ج: النفس هي حقيقة الانسان، وتطلق على شخص الانسان وروحه التي تحرّك بدنه.

أمّا القلب فهو بحسب المتعارف عليه العنصر الموجود في قفص الصدر، وهو خليط من اللحم والدم وهو الذي يضخ الدم من الأعلى إلى الأسفل وهو من الأعضاء الرئيسة في الانسان.

وعندما يتحدّث القرآن الكريم عن القلب فانه يعني الروح والنفس والشاهد على ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾[1]، يعني انّه ينسب الادراك إلى القلب الذي هو الروح الانساني لا ذلك العضو.

ويشير القرآن الكريم إلى «الفؤاد» والمراد منه القلب، يعني مبدأ الادراك.

أمّا المخ فهو آلة الادراك لا انّه يقوم بالادراك على نحو مستقل، لأنّ المدرك الحقيقي هو الانسان.

س: هل يعلم الأنبياء الغيب أم لا؟

ج: هناك ثلاث آيات قرآنيّة تلقي الضوء على هذا الموضوع وهي:

---

١. البقرة: ٢٨٣.

الأولى: قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[١] وهذا اخبار بالغيب دون شكّ، طبعاً أنتم تعرفون ان مسألة الغيب في مقابل الشهادة.

والشهادة شهود ومعلوم نسبي والغيب هو ما وراء الستار وهو غيب نسبي، اذ من الممكن أن يكون شيء بالنسبة لشخص ما شهادة وبالنسبة إلى شخص غائب غيباً؛ ومثال ذلك اننا هنا نجلس في هذه الغرفة فما هو في داخل فضاء الغرفة يمثل لنا شهادة أمّا ما هو موجود في خارج الغرفة وفي الزقاق فيمثّل لنا غيباً، وهذه احدى الآيات الواضحة في هذا الموضوع.

الثانية: قوله تعالى في سورة آل عمران مخاطباً المنافقين في معركة أُحد: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾[٢].

ومعنى الآية واضح انّ الله يصطفي من رسله من يشاء ويطلعهم على جانب من الغيب.

الثالثة: قوله تعالى في سورة الجنّ: ﴿عَالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً﴾[٣] وإن كانت الآية التي سبقتها تقول: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا

---

١. آل عمران: ٤٩.

٢. آل عمران: ١٧٩.

٣. الجن: ٢٦.

تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾[1] والحقيقة فانّ هذه الآية تفسّر الآية السابقة، يعني انّني لا أعلم الغيب على نحو ذاتي مستقل وما أعلمه إنّما هو تعليم واطلاع الله عزّوجلّ لي فأنا تابع للوحي الالهي فلا أعلم من الغيب إلّا ما يوحى إليّ، وإلّا فلا.

هذا ما يتعلّق بالرسل والأنبياء عليهم السلام وعلم الغيب، أمّا ما يتعلّق بالأئمّة المعصومين عليهم السلام وهم ليسوا بأنبياء فانّهم لا يعلمون الغيب إلّا ما ورثوه من رسول الله صلى الله عليه وآله (باعتبارهم أوصياء).

وقد ورد في الروايات: «إذا شاءوا علموا» وإذا لم يشاءوا لم يعلموا.

انّ مجموع الآيات والروايات في هذا المضمار يفيد بأنّ الله عزّوجلّ علّم أنبياءه ورسله علم الغيب وأنّ أئمّة الهدى عليهم السلام تعلّموه من الأنبياء.

وكيفيّة علمهم بالغيب لا يعني انّ حياتهم تسير دائماً في ضوء علم الغيب بحيث يعيشون حياتهم بالمعجزات وخرق القانون الطبيعي؛ بل كانت حياتهم تسير بحسب الطبيعة الانسانيّة إلّا في بعض المناسبات التي تقتضي خرق القوانين الطبيعيّة واقامة الدليل بالمعجزة واظهار الكرامة، فهم كما صرّحوا «إذا شاءوا علموا».

س: في ضوء علم الغيب الذي لدى الأئمّة الأطهار عليهم السلام كيف نفسّر توجه الإمام علي عليه السلام إلى المسجد في ليلة ١٩ رمضان (ليلة اغتياله عليه السلام) أو توجّه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، أليس هذا من قبيل القاء النفس في التهلكة الذي هو حرام؟

---

١. الجن: ٢٥.

ج: انّ العلم بالحوادث التي تحدث في المستقبل عل نحوين: «مطلق» و«مشروط» أي بهذا المعنى: فحيناً يعلم الانسان بوقوع الحادثة في المستقبل بدون لحاظ أي شرط أو قيد في وقوعها وحيناً يعلم بوقوع الحادثة مع تحقّق شرط أو قيد.

مثلاً يحصل لانسان علم انه إذا تواجد في نقطة معيّنة من الزقاق وفي الساعة الفلانيّة فانّ سيّارة سوف تدهسه حتماً وسيموت حالاً.

لنفترض انه أمكنه الغاء الشرط يعني عدم ذهابه إلى الزقاق في تلك الساعة فان نتيجة العلم يعني تحقّق وقوع الحادثة سوف ينتفي.

أمّا إذا حصل لديه علم انه سيتعرّض إلى حادث في الساعة الفلانيّة من دون وجود أيّ قيد أو شرط يعني عدم وجود أيّ طريق للنجاة ولا يملك أيّة وسيلة أو فرصة تحول دون وقوع الحادثة أو تمنع وقوعها، فان هذا مجرّد علم بوقوع التهلكة وليس القاءً في التهلكة وهذا العلم يختلف عن الفرض الأوّل لأنّه القاء النفس في التهلكة وهو حرام.

وقد ورد في الروايات المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام انهم يعلمون ما في السماوات والأرض أوّلاً وآخراً، إلى جانب وجود روايات تفيد بأنّ العلوم التي يعلّمها الله أنبياءه هي علم الغيب، يعني الحوادث الحتميّة الوقوع أي الخالية من القيد والشرط.

وعلّة ذلك انّهم عليهم السلام إذا اخبروا بوقوع حادثة ما ولم تقع فان كونهم حجّة على العباد سوف تنتفي وسوف يعتقد الناس بأنّهم كذّابين ولذا فانّ المعلومات التي هي لدى الرسل والأئمّة هي من القسم الأوّل «المطلق»

والتي ليس لها قيد أو شرط فهي حتميّة الوقوع ولا يوجد سبيل لمنع وقوعها والحؤول دون تحقّقها، وعليه فلا يرد على أفعالهم أيّ إشكال، لأنّهم مهما فعلوا لمنع وقوع الحادثة فلن يجدي ذلك نفعاً، لأنّها حوادث حتميّة الوقوع أي من القضاء الحتم نظير ذلك ما جرىٰ وما وقع في معركة أُحد وقول المنافقين: انّ الذين قتلوا في المعركة لو بقوا في بيوتهم ولم يذهبوا إلى القتال لكانوا اليوم أحياءً ونجوا من الموت مثلما نجونا نحن! فجاء ردّ القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ**﴾[1] يعني انّ مصارع اولئك الشهداء هي من القضايا الحتم، فحتى الذين كتب عليهم القتل لو كانوا في بيوتهم لخرجوا إلى مصارعهم ولقوا مصيرهم الحتمي الذي لا يمكن الافلات منه.

س: فيما يخصّ بعض قصص القرآن الكريم من قبيل احياء الطيور الأربعة لسيّدنا إبراهيم الخليل أو نفخ السيّد المسيح عليه السلام في الطين الذي على هيئة الطير فيكون طيراً؛ هل قصص هي حقيقيّة أم على سبيل الاستعارة؟

ج: كلّها حقيقة واقعة، فالقرآن الكريم هو كتاب الحقّ وليس كتاب اسطوري، لقد قام المسيح عليه السلام باحياء الموتى وشفاء المرضى وقام أنبياء آخرون باخراج ناقة من قلب الجبل.

---

١. آل عمران: ١٥٤.

والسيّد المسيح نفسه ولد من أُمّ عذراء ومن دون أب وكان مثله مثل آدم خلقه الله بدون أب.

س: لماذا هذا التكرّر في ذكر قصّة النبي موسى بن عمران عليه السلام وقومه، هل هناك من تفسير في ضوء علم الاجتماع لذلك؟

ج: لقد ورد في الروايات ان المسلمين سوف يمرون بنفس المراحل التي مرّ بها بنوإسرائيل ويتعرّضون لنفس الانحرافات التي تعرّضوا لها كما لو أنّه يترسّمون خطاهم لقد تعرّض سيّدنا موسى عليه السلام لأذى قومه ومرّوا بكثير من الفتن وسوف يكرّر المسلمون نفس المحن التي تعرّض لها سيّدنا موسى عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أيّدت الوقائع التاريخيّة ذلك.

انّ مسألة التكرار مسألة مسلّمة وقد تكرّر ذكر سيّدنا موسى عليه السلام زهاء ١٣٠ مرّة في القرآن الكريم فهو ليس كتاب تاريخي وإنّما يورد جوانب ممّا جرى عليه وعلى قومه للعظة والعبرة لأنّ القرآن الكريم كتاب هداية، يذكر أمثلة ممّا جرى لقوم نوح وقوم عاد وثمود وما حلّ بهم من البلاء نتيجة تمرّدهم على رسل الله وأنبيائه، والخلاصة القرآن ليس كتاب تاريخ وإنّما كتاب هداية.

س: هل لكم أن تحدثونا عن تفسير الميزان والاشكالات الممكن وجودها فيه؟

ج: بداية لم ادّع انّه لم يصدر عنّا غلط، نحن كالآخرين والانسان يخطئ وأنا أكثر من غيري في هذا المجال، ولذا فانّ الطريق الصحيح أن

يتعقّل في هذه الموارد كلّ جوانب وأطراف المسألة حتّى يفهم جيداً وهذا أُسلوب جديد في فهم الآية من خلال مقايستها مع آية أُخرى، وإلّا في الواقع أنا لم ادّع العصمة والكتاب الذي ألّفته (تفسير الميزان) سواء جيداً أو سيّئاً فان أُسلوبه كسب رضا الكثيرين وامتعاض الكثيرين.

فعلى سبيل المثال في عذاب قوم لوط أمطرنا عليهم مطراً وفي موضع آخر أمطرنا عليهم حجارة فيصبح من المعلوم أنّ المراد من أمطرنا عليهم مطراً هو مطر حجارة، وهذا هو تفسير القرآن الكريم الآية بالآية، والقرآن يزخر بالأمثلة من هذا القبيل.

فقد يبدو ظاهر بعض الآيات لا يتّفق مع آيات أُخرى ولكن بعد التدبّر والتدقيق في النظر والمقارنة يتّضح المراد.

س: ذكرتم في تفسير الميزان انّ الملاك والمعيار في الحكم بصحّة وبطلان الروايات هو العقل والسؤال هنا، بأنّه في تفسيركم سورة الزلزلة وفي البحث الروائي أوردتم رواية حول قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ في وقوع زلزلة في المدينة المنوّرة وانّ الناس هرعوا إلى دار أميرالمؤمنين عليه السلام وأنّه عليه السلام ضرب الأرض برجله وقال: مالك؟! فسكنت الأرض! كيف يمكن للعقل أن يستوعب بأنّ المراد من الانسان في الآية الكريمة هو الامام علي عليه السلام؟!

ج: أوّلاً لم أقل انّ المعيار في الحكم على جميع الروايات هو العقل يعني ان ذلك لا يفيد العموم الكلّي وثانياً انّ الرواية الواردة لا تتضمّن أيّ إشكال (عقلي) لأنّها لا تقول ان المراد من لفظ «الانسان» في الآية

علي عليه السلام يعني لا ان هذا اللفظ استعمل في هذا المعنى بل بعنوان «جري» وانطباق، ففي موارد أُخرى قلنا أيضاً انّ عليّاً عليه السلام هو من الناس الذين قطيعهم الأرض، ولا يوجد في هذا أيّ إشكال وتوضيح ذلك ان لدينا منطوق للفظ وهذا اللفظ يدلّ عليه مثلاً «اهدنا الصراط المستقيم» ان منطوق «الصراط المستقيم» يعني الطريق القويم الممهّد، في حين ورد في الروايات ان المراد من الصراط المستقيم هو علي عليه السلام لا ان هذا منطوق هذا اللفظ يعني هذا، بل يعني انه من طريق الله (يعني المصداق البارز لها) ونحن نطلق على هذا «الجري».

وفيما يخصّ الآية مورد السؤال فانّ الرواية الواردة حول «الانسان» تنطبق على عليّ عليه السلام ولا يوجد في هذا أدنى إشكال أو محذور عقلي.

س: ماذا يعني الموت الاختياري في القرآن؟

ج: لا يحضرني في هذا الموضوع شيء إلّا طلب النبي موسى عليه السلام رؤية الله والتجلّي للجبل ووقوع موسى عليه السلام صعقاً مغشياً عيه إذا كان هذا الموت موتاً اختياريّاً.

س: السؤال حول الرؤيا، فاحياناً نرى الرؤيا في المنام وعندما نستيقظ نجد مشكلاتنا وقد حُلّت؟

ج: هذا نوع من الخيال، فهناك رؤيا حق ورؤيا باطل. والقسم الأوّل حالة من اتّصال الانسان بوسائط وعلل الحوادث، يعني عندما تسكن الحواس وتتوقّف عن العمل تتّصل النفس برزخيّاً ومثاليّاً بعلل الحادثة وتدرك عن هذا الطريق نفس الحادثة وماهيّة قضيّتها.

واغلب الرؤى تحصل عن هذا الطريق ويقال لها رؤية ملكوتيّة وتفسّر هذه الرؤى والأحلام غالباً عن هذا الطريق.

وأحياناً تكون الرؤيا عبارة عن خيال فقط وتحصل من خلال تغيّر المزاج كأن يكون متخماً من الأكل أو مريضاً أو بسبب شدّة الحرّ أو شدّة البرد، فيرى نفسه في الحمام أو في الثلاجة يعني تخيّل.

وهذه تأثيرات لأشياء خارجيّة في بدن الانسان وحينئذٍ يدرك الانسان البرد ثمّ ينتقل ادراكه إلى الثلاجة فيتخيّل نفسه جالساً في الثلاجة، وهذه الرؤى والأحلام كثيرة عندنا ويقال لها أضغاث أحلام.

س: نظراً إلى انّ الاسلام يساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق ويقول انّ الرجل والمرأة خلقا من نفس واحدة، فلماذا تكون القيمومة للرجل على المرأة وفي حالة عدم طاعة المرأة لزوجها فانّه يحقّ له أن ينبّهها وينصحها فاذا تمارت جاز له ضربها، لماذا لم يمنح الاسلام المرأة مثل هذا الامتياز؟

ج: المرأة والرجل خلقا من آدم ووجدا من نفس واحدة وكلاهما في الانسانيّة سواء غير ان الفوارق والاختلاف في جانب من الحقوق فمردّه إلى طبيعة كلّ منهما ودوره الاجتماعي. فالرجل أوضاع خاصّة والمرأة كذلك لها أوضاع خاصّة وفي ضوء هذا الاختلاف تختلف حقوق كلّ منهما.

المرأة في تكوينها النفسي تمتاز بالعاطفة والحنان وغلبة الأحاسيس ولذلك فهي تقوم ببعض الأعمال التي لا تتصادم مع هذا الجانب في تكوينها، بينما الرجل يغلب على تكوينه التعقّل لا العاطفة فهو يقوم

بالأعمال التي تنسجم مع تكوينه وطبيعته.

فالمرأة ليس بمقدورها القتال الفردي (من قبيل الاشتباك بالسلاح الأبيض)، وليس لها أن تكون قاضياً أو تكون حاكماً، لأن هذه الميادين تتطلّب التعقّل لا العاطفة، وتتطلّب الصبر الطويل لا الاحساسات الجيّاشة.

بينما الرجل يمكنه العمل في هذه الميادين بسبب غلبة تعقّله على عواطفه وأحاسيسه.

وقد اعفيت المرأة في ضوء تكوينها النفسي والجسمي من العمل خارج المنزل لأن هذا من واجب الرجل الذي ينطلق في ميادين العمل وتأمين حياة كريمة لزوجه بينما تجلس المرأة في البيت في ظلال وارفة وتتمتّع بحياة مريحة تنجز أعمالاً منزليّة وتحول المنزل إلى عش دافىء.

وقد أوصى الرسول الأكرم ﷺ بالتعامل مع المرأة بكلّ احترام وحب تقدير قائلاً «رفقاً بالقوارير».

س: استاذنا! سؤال أخير إذا اتيحت لكم الفرصة الآن أن تكون في سنّ الشباب ماذا كنت ستختار طريقاً في الحياة.

ج: الجواب واضح أقوم بالعمل الذي يقتضيه عمري آنذاك لأنّني انسان ولم اتغيّر؛ طبعاً ان التجارب الحالية لها تأثيرات في انني لا أكرر الأخطاء التي وقعت فيها (يبتسم) وارتكبتها.

تفسير الميزان

بعد رحلة طويلة في دراسة العلوم الدينيّة وتهذيب النفس والأُنس بالقرآن الكريم وآياته والحديث الشريف ورواياته في حوزة النجف الكبرى وفي تبريز ومن ثمّ مدينة قم وحوزتها العلميّة والاسهام في اثرائها يقرّر انتهاج أُسلوب جديد في تفسير القرآن الكريم.

كان تفسير القرآن هاجساً في روحه يراوده منذ أمد بعيد، وبعد تفكير عميق بدأ رحلته العميقة في تفسير القرآن في منهج فريد هو تفسير القرآن بالقرآن.

وقد أسمى تفسيره بعد مشورة «الميزان في تفسير القرآن بالقرآن» ولقد كان أُسلوبه فريداً في الكشف عن معاني الآيات ومقاصدها وما إن ظهر الجزآن الأوّل والثاني حتّى ترك أصداءً واسعة في الأوساط العلميّة الدينيّة والجامعيّة الاكاديميّة داخل وخارج البلاد، وخاصّة في الأوساط التي تتهم الشيعة وعلماء الشيعة بعدم الاهتمام بالقرآن الكريم وتفسيره.

ومن المؤسف جداً ان البعض في الحوزة (قم) وبدل تكريم هذا العالم الجليل وتقدير جهوده العلميّة التي تركت بالغ الأثر في محافل أهل السنة انبروا لانتقاد هذا السفر وشدّدوا هجومهم على شخص العلّامة وخلقوا أجواءً معادية له وقع تحت تأثيرها الكثيرون فانساقوا معها جهلاً دون وعي.

وفي وسط هذا الضجيج واللغط وقف العلامة حائراً محاصراً فلجأ إلى

الله مولاه يدعوه ويتضرّع إليه ويستمدّ منه سبحانه العون على الاستمرار في مشروعه الرائد.

وأمام ما تعرّض له العلّامة من خذلان يبرز الموقف المساند والوحيد للمرحوم آية الله شريعتمداري الذي خفّف من حدّة وشراسة الحملات الانتقاديّة، مع الاشارة إلى أن موقف آية الله شريعتمداري جاء استجابة للعديد من الرسائل التي وجهت إليه من قبل شخصيّات علميّة في قم وطهران تطلب منه دعم العلّامة الطباطبائي ومساندته.

وذلك عندما صدر الجزء الخامس من الميزان تصدّر تقريظ بخط وانشاء حجّة الإسلام الميرزا محمود جعفري تبار ما دفع إلى اعادة طبع أجزائه الأُخرى وأدّى التقريظ الذي حظي بمباركة المرحوم شريعتمداري إلى خفوت الضجّة وتراجع سيل الانتقادات القاسية.

وبعد عودة الهدوء إلى الأجواء اختفى التقريظ من الميزان في طبعاته اللاحقة.

وأقولها للأمانة التاريخيّة انّ الضجّة التي اثيرت في وجه الميزان ومؤلّفه الكريم وصلت أمواجها إلى آية الله العظمى البروجردي الذي أبدىٰ قلقه من صدور «تفسير الميزان» غير ان زيارة آية الله شريعتمداري لسماحته وتقديمه توضيحات بشأن الكتاب بددت قلقه فلم يتعرّض له بشيء.

وفي عام ١٩٥٦ نشرت مجلّة «رسالة الاسلام» الفصليّة وعلى صفحاتها ٢١٨ ـ ٢١٩ وفي قسم «أنباء وآراء» تقريراً تحت عنوان «الميزان في تفسير القرآن»

الميزان فى تفسير القرآن :

تفسير جديد للقرآن الكريم لسماحة العلامة السيد محمد حسين الطباطبائى من علماء الإمامية الأجلاء صدر منه جزآن يقع كل منهما فى قرابة خمسمائة من الصفحات الكبيرة ، وقد طبع بطهران على ورق جيد وحروف طباعية حديثة .

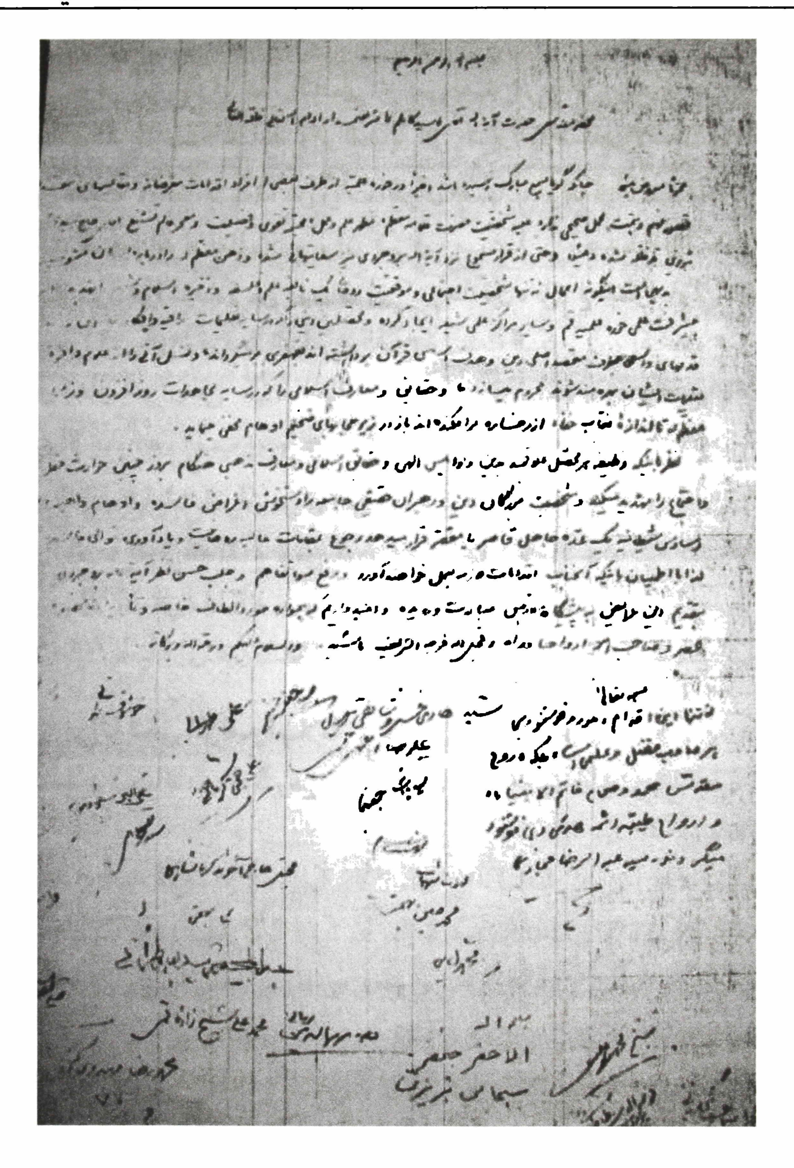
قرأنا مقدمة هذا التفسير وبعض موضوعاته ، ونحن على نية أن نستوعب الجزأين قراءة وتدبراً إن شاء الله تعالى ، وقد وجدنا فيما قرأناه قوة عليه متعمقه

فى البحث مع السهولة واليسر والبعد عن التشدد ، والتخفف من المذهبية الخاصة إلى حد بعيد والرجوع إلى القرآن نفسه بتفسير بعضه ببعض ، والنأى به عن الأقوال التى لا تصح من الروايات الكثيرة المختلفة ، وعن الآراء التى ترجع إلى تأويل آياته حتى توافق نظراً علمياً ، أو تقليداً مذهبياً ، أو أصلا كلامياً ، أو فلسفة خاصة ، أو تجديداً حديثاً . . إلى غير ذلك مما نلمحه فى بعض التفاسير القديمة والحديثة .

ومما قاله فى بيان منهجه : (نفسر القرآن بالقرآن ، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه فى نفس القرآن ، ونشخص المصاديق ، ونتعرفها بالخواص التى تعطيها الآيات ، كما قال تعالى : (إنا أنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وحاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء ، ولا يكون تبيانا لنفسه ، وقال تعالى : (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وقال تعالى : (إنا أنزلنا إليكم نوراً مبينا) وكيف يكون القرآن هدى وبينة وفرقانا ونورا مبينا للناس فى جميع ما يحتاجون ، ولا يكفيهم فى احتياجهم إليه . وهو أشد الاحتياج ؟ وقال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وأى جهاد أعظم من بذل الجهد فى فهم كتابه ، وأى سبيل أهدى إليه من القرآن ؟) (١) .

ومن أبرز مزايا هذا التفسير أنه يعنى بعد شرح الآيات وبيان معناها ، يبحث الموضوعات الهامة ، والقضايا التي كثيراً ما شغلت الأذهان في القديم والحديث ، بحثاً مستمداً من آيات القرآن نفسها ، وقد قرأنا من هذا ما كتبه عند تفسيره لقوله تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ـ ولن تفعلوا ـ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » إذ بحث بحثاً جيداً في إعجاز القرآن من جهاته المختلفة في بلاغته وقوة أسلوبه ، وتحديه بالعلم ، وبالإخبار عن الغيب ، وبمن انزل عليه القرآن ، وبعدم الاختلاف فيه ، ثم تحدث عما يثبته القرآن من قوانين وسنن كونية ، كتصديقه لقانون العلية العامة وإثباته ما يخرق العادة ، ومن كون المؤثر الحقيقي في الأشياء بتمام معنى الكلمة ليس إلا الله عز سلطانه ، ومن أن القرآن يعد المعجزة برهانا على صحة الرسالة لا دليلا عامياً ، إلى غير ذلك من الجزئيات الهامة التي تضمنها هذا البحث الدقيق .

وإننا لنحيي المؤلف العلامة ، وندعو له بدوام التوفيق ، وأن يبارك الله للمسلمين في حياته ، وبالله التوفيق.



صورة الرسالة التي وجّهها عدد من فضلاء الحوزة العلمية إلى حضرة آية الله شريعتمداري تطلب منه التدخّل ودعم تفسير الميزان

وقد وصفت الرسالة الضجّة التي اثيرت بوجه الميزان ومؤلّفه نابعة عن قصور في الفهم والهمّة وأن شخصيّة العلّامة مثال العلم والعمل والتـقوىٰ والفضيلة وانه مفخرة عالم التشيع.

وان هناك من يسعى إلى تشويش ذهنيّة آية الله البروجردي.

الموقعون:

سيد عبدالرضا حجازي، سيد هادي خسروشاهي تبريزي، سيد جعفر حسيني، خوشت تهراني، محمّد على ايزدي، جوادي آملي، سيد هدايت جعفري، علي حجّتي كرماني، على اكبر مسعودي، سيد كمال موسوي، محمّد حسين بهشتي، محمّد رضا شهاب، مجتبى حاج آخوند كرمانشاهي، محمّد حسين بهجت، على بهجتي، محمّد امامي، عبدالمجيد رشيدپور تهراني، علي قدوسي، الأحقر جعفر سبحاني تبريزي، صدرالدين ربّاني، محمّد على شيخ زاده قمي، محمّد رضا مهدوي كني، محمّد حسين زرندي، نورالدين طباطبائي، شيخ محمّد اسماعيل صائني زنجاني.

نصّ التقريظ الذي تفضّل به آية الله شريعتمداري الذي صدّر به تفسير الميزان

صورة خطية للتقريظ

ومما نمقه سماحة سيدنا العلامة علم الاعلام الحجة الاية السيد محمد كاظم الشريعتمداري دامت إفاضاته

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن والميزان في تفسيره   والعجب من البراعة ان تقصر [?] في توصيف كلام تحدى عن اتيانه بمثله المخلوق
نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين ليكون آية خالدة يتحدى بها البلغاء [?] ويعشو بضوئها التائهون ويرجع اليها
القاصرون والمقصرون وهو ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد وصفه
عز وجل بقوله عز من قائل: ولقد جاءكم بصائر من ربكم وموعظة للمتقين وبقوله عز شأنه ولقد جئناكم بكتاب فصلناه
على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون وبقوله تعالى شأنه ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وقد أمر النبي صلى الله
عليه وآله وسلم بالتمسك بالقرآن اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم قائلاً بأنه شافع مشفع وماحل مصدق
وان من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه
تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره انيق وباطنه عميق
له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة
الى آخر الحديث ومع ان القرآن كتاب سماوي فتح امام البشر ابواب العمل للدنيا والآخرة وأسس أساساً
رصيناً للروح والجسد نزل نجوماً على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم حسب الحوادث الطارئة فكان هو ذلك
الكتاب الذي [illegible] وهو بقوة منطقه أدهش أساطين اليونان وعلماء الحقوق
الذين [illegible] وبفصاحته [illegible] فرسان الفصاحة وقادة الخطابة وببلاغته قهر أرباب البلاغة
وملوك البيان وغلب عقولهم [illegible] كل حكيم منطيق وفيلسوف عارف وهو حقيق ان يرغم
كل عالم نحرير [illegible] كل باحث [illegible] لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما في الصدور
وقد [illegible] من الأولين وقليل من الآخرين [illegible] تفسيره وتوضيح [illegible] مشكلاته
حتى غاصوا في اعماق بحره واستخرجوا [illegible] شيخ الطائفة [illegible]
من الفطاحل الأعلام [illegible]
من تلك الكنوز [illegible] في تفسير القرآن [illegible]
على حسب مقتضيات الظروف [illegible]
[illegible] فهم في ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] الآراء [illegible]
[illegible] العراق وايران وسائر العواصم الاسلامية كانت تزاحمهم [illegible]

اجل هذه الوريقة قد بلغت في عصارنا الى حد لا يرغب فيها من كان يرغب فيها بالأمس حتى تركها اولياؤها وراءهم ظهريا

لقد وفق المولى سبحانه في هذا العصر لنوابغ رجال العلم والفضيلة سيدنا العلامة الاوحد والنحرير المتبحر صاحب الآثار

الجليلة والتآليف الثمينة آية الله العلم الحجة آية الله السيد محمد حسين الطباطبائي دامت بركاته حتى تحمل جهوداً كبيرة

في سبيل احيائها فألف كتابه في هذا المضمار جامعاً لعدة نواحي قد تسنى لا تكاد تجتمع في غيره ولذلك يليق ان يبلغ

وبين بعض خصوصيات الكتاب والنواحي الممتازة فيه ..

١ لقد وفق دامت بركاته معظم التوفيق في حفظ ظواهر الذكر الحكيم وجعل الميزان في الأخذ والرجوع اليها نفس القرآن

الكريم قائلا بأن الآيات يفسر بعضها بعضاً والقرآن سبحانه جعله تبياناً لكل شيء وحاشا ان يكون القرآن تبياناً لكل شيء

ولا يكون تبياناً لنفسه

والتحفظ على كرامة الذكر الحكيم بحفظ ظواهره وان كان ذا اهمية وجلال الا ان عرض القرآن بعضه على بعض بعد هجرانها سنينا

من تلك الامة الكريمة ورمي بتلك الآيات الا ان اسرة الاهواء واسراء الشهوات والميول قد توجب النظر الى ظواهر القرآن

الى حد يضطرب المسلم في مقام نقله وشرحه ومبادئ ذلك اصولاً وعقائد

٢ الاحاديث الواردة في تفسير القرآن عن ائمة الهدى وقرناء الكتاب على اقسام شتى فيها الصحيح والسقيم

والموافق للكتاب والمخالف والنص والظاهر والمحكم والمتشابه — ووجود ذلك الاختلاف اوجد مشكلة وعويصة

في المقام مع [illegible] الاخبار [illegible] التفسير فلا يمكن طرح الجميع اذ فيها الصحيح والمستفيض وما حاز شرائط الحجية

ولا يمكن الركون الى جميعها كما هو غير خفي على راجعها

وهذه الناحية التي تعد من خصوصيات الفن مما عولج في هذا التفسير الشريف فقد عقد في موارد [illegible] مباحث

روائية حكم مؤلفها في الاخبار المروية عن طرقنا وطرق اهل السنة بالنقد الصحيح والرأي المبرم واستعان

في تمييزها وتمحيصها بعرضها على القرآن وتطبيقها عليه اخذاً بالمقياس الصحيح الوارد عن ائمتنا (عليهم السلام)

ما وافق كتاب ربه فخذوه وما خالف كتاب ربه فاطرحوه

٣ قد اورد (دام ظله) عدة مباحث خلقية واجتماعية وفلسفية وقصصية بعد الفراغ عن

تفسير الآيات بما يناسبها مقتصداً في ذلك بلا اطناب يخرجها عن حدها

نعم الى تلك النواحي يعد الكتاب الذي يشتمل الجزء الرابع منه المطبوع درة باهرة وفيه بغية الطالب

امنية المفسر وغاية المحدث ويعد مؤلفه من حسنات الدهر ومن مفاخر الطائفة

فليشكر المسلمون وفي طليعتهم الافاضل للافذاذ ايادي السيد على العلم واهله والله ولي التوفيق

في [illegible] المعظم ١٣٧٦ الاحقر السيد كاظم الشريعتمداري

مكتوب نامهٔ تقريظ بر الميزان از آيت‌الله شريعتمدارى

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن والميزان فى تفسيره

لا عتب على اليراع أن وقف عن الإفاضة فى توصيف كلام تحدى عن التشابه بكلام المخلوق، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون آية خالدة يهتدى بسناها العالمون، ويعيشو بضوئها التائهون، ويرجع إليها القاصرون والمقصرون وهو ذلک الکتاب الذى لا ريب فيه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وصفه الله عزوجل بقوله عز من قائل: { قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ }[1] و { مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }[2].

وبقوله عز شأنه: { وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[3].

وبقوله تعالى شأنه { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }[4].

وقد أمر النبى ﷺ بالتمسک بالقرآن إذا التبست علينا الفتن كقطع الليل المظلم معلّلاً بأنه شافع مشفع وماحلٌ مصدق، وأن من جعله إمامهُ قادهُ الى الجنة، ومن جعله خلفه ساقهُ إلى النار.

وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب تفصيلٍ و بيانٍ وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فَظاهرهُ حكم وباطنهُ علم، ظاهرهُ أنيق وباطنهُ عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لا تُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعروف لمن عرف الصفة، إلى آخر الحديث[5].

[1]. الأنعام: ۱۰۴ .

[2]. النور: ۳۴ .

[3]. الأعراف: ۵۲.

[4]. الإسراء: ۹ .

[5]. الحديث ذكره الشيخ الكلينى فى أصول الكافى، كتاب فضل القرآن، حديث ۲ .

وعلى الجملة، القرآن كتاب سماوى فتح أمام البشر أبواب العمل، وأسّس أساساً لترقية الروح والجسد، نزل نُجوماً على نبينا محمد ﷺ حسب الحوادث الطارئة فكان هو ذلك الكتاب الذى ملأ الخافقين نعوته وأوصافه، وهو بقوانينه المتقنة أدهش أساطين القانون وعلماء الحقوق الذين أفنوا أعمارهم فى هذا المضمار، وبفصاحته أخرس فرسان الفصاحة وقادة الخطابة، وببلاغته قهر أرباب البلاغة وملوك البيان وخلب عقولهم، وكَلّ عند براهينه الدافعه كُلّ حكيم منطيق وفيلسوف عارف، وهو حق ألزم كل عالى الحجة ودل كل باحث على المحجة، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما فى الصدور.

وقد اعتنى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين من أساطين الشيعة والسنة بتفسيره وتوضيحه وحَلّ غوامضه ومشكلاته حتى فاضوا فى أعماق لججه وشققوا الـ .....[1]، فى الصباح حججه، وفى طليعتهم شيخنا شيخ الطائفة المحقة وبعدهُ عدة من الفطاحل الأعلام، واولئک الأفذاذ مع أنهم ألفوا موسوعات كبيرة حافلة وذخائر نفسية لا يقف على تلک الكنوز إلا الباحث الكبير عن تراجمهم، قد تحملوا جهوداً جبارة فى تفسير القرآن، فصَنّفوا مختصرات ومطولات على حسب مُقتضيات الظروف.

نعم ربما إنقد على تلک الطبقة الصالحة بأنهم اعتمدوا على المراسيل والمقطوعات والقصص المروية عن أناس لا يصح الأخذ منهم، لكن القارئ جِدُّ عليم بأن لهم فى ذلک الباب عذراً واسعاً والشاهد عليه مؤلفاتهم الفقهية فإنها طافحة بنقل الأقوال والآراء والاستدلال على المختار من بعض الطرق التى لا يرضونها ما كان يمكنهم فى تلک الأيام الإعراض عن هاتيک الآراء مع من بيئته العراق وإيران وسائر العواصم الإسلامية كانت تزاحم بهم وبآرائهم، أجل هذه الآراء قد بلغتْ فى أعصارنا إلى حدّ لا يرغب فيها من كان يرغب فيها بالأمس حتى تركها أولياؤها وراءهم ظهريا.

لقد فيّض المولى سبحانه فى هذا العصر الزاهر رجل العلم والفضيلة سيدنا العلامة الأوحد

[1]. كلمة غير مقروءة، قد محى جزء منها.

والنحرير النيقد صاحب الآثار الجليلة والتآليف الثمينة آية العلم وحجة الدين السيد محمد حسين الطباطبائى "دامت بركاته" حتى تحمل جهوداً كبيرة لا يستهان بها فى تأليف كتابه فى هذا المضمار جامعاً لعدة نواحى فنية لا تكاد تجتمع فى غيره ولذلك بلغ ما بلغ، وإليك بعض خصوصيات الكتاب والنواحى الفنية فيه:

١- لقد توفق "دامت بركاته" معظم التوفيق فى حفظ ظواهر الذكر الحكيم وجعل الميزان فى الاهتداء إلى حقائقها نفس القرآن الكريم قائلاً بأن الآيات يفسر بعضها بعضاً، والله سبحانه جعله تبياناً لكل شيء، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه.

والتحفظ على كرامة الذكر الحكيم بحفظ ظواهره وإن كان ذا عوامل وعلل إلا أن عرض القرآن بعضه على بعض يعد حجراً أساسياً على تلك الأمنية الكريمة.

وأيمن الله إن سماسرة الأهواء وأسراء الشهوات والميول قد تلاعبوا بظواهر القرآن إلى حدّ يضطرب القلم فى مقام نقله، وشروه (أو نشروه) وبنوا على ذلك أصولاً وعقائد.

٢- الأحاديث المروية فى تفسير القرآن عن أئمة الهدى وقرناء الكتاب على أقسام شتى، فقيها الصحيح والسقيم، أوجد ذلك الاختلاف الشديد مشكلة عويصة فى المقام على العلماء الأبرار (فى) التفسير، فلا يمكن طرح الجميع إذ فيها الصحيح والمستفيض وما حاز شرائط الحجية، ولا يمكن الركون إلى عامتها كما هو غير خفى على (من) راجعها.

وبهذه الناحية التى تعد من عويصات الفن مما عولج فى هذا التفسير الشريف، فقد عقد فى مواردها مباحث روائية حكم مؤلفنا فى الأخبار المروية عن طرقنا وطرق أهل السنة بالقضاء الصحيح والرأى المبرم، واستعان فى تمييزها وتمحيصها بعرضها على القرآن وتطبيقها عليه آخذاً بالقياس الصحيح الوارد عن أئمتنا عليهم السلام : ما وافق كتاب الله فخذوه

وما خالف كتاب الله فاطرحوه .

٣- قد أورد "دام ظله" عدة مباحث أخلاقية واجتماعية وفلسفية واقتصادية بعد الفراغ عن تفسير الآيات بما يناسبها مقتصداً فی ذلک بلا إطناب يخرجها عن حدّها.

فلأجل تلك النواحي يعد الكتاب الذی يمثل الجزء الرابع منه للطبع درة باهرة، وفيه بُغية الطالب وأمنية المفسر وغاية المحدّث، ويُعدّ مؤلفه من حسنات الدهر ومن مفاخر الطائفة، فليشكر المسلمون وفی طليعتهم الأفاضل الأفذاذ أياديه البيضاء على العلم وأهله، والله ولی التوفيق.

فی شعبان المعظم ١٣٧٦ هـ

سيد كاظم شريعتمداری

[١]. راجع أصول الكافی، كتاب فضل العلم، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب، الأحاديث ١ إلى ٥.

شكر وتقدير على هامش «الميزان»

أجد من اللازم باعتباري خادماً وعاملاً في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام أن أتقدّم بالشكر والتقدير إلى حجّة الإسلام السيّد هادي خسرو شاهي الذي قام بمهمّة اعداد مجموعة مؤلّفات وآثار العلّامة الطباطبائي وطبعها في حلّة قشيبة.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى المرحوم حجّة الإسلام السيّد الآخوندي ونجله الكريم الفاضل الحاج مرتضى الآخوندي اللذين نهضا باعباء طبع ونشر «تفسير الميزان» بالرغم من كلّ المصاعب والمشكلات وكذا فضيلة الدكتور أحمد أحمدي الذي قام بتصحيح وتقويم النصوص ومراجعة المصادر التوثيقيّة كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى آية الله آذري قمي ونجله الكريم ونجله المرحوم الحاج حسن آقا آذري لقيامهما بترجمة تفسير الميزان (إلى الفارسيّة) وطبع عشرة أجزاء منه حيث استكمل طبع الأجزاء الباقية العالم السيّد محمّدي أردهالي، وكذلك المرحوم الاستاذ السيّد سعيد أختر رضوي الذي قام بترجمة هذا السفر الجليل إلى الانجليزيّة الّا انه لبّى دعوة الحقّ فنهض لاستكمال هذه المهمّة نجله السيّد محمّد رضوي أسأل الله تعالى أن يجزل لهم الأجر في الدنيا والآخرة انني أذكر ذلك لأوصل رسالة إلى الجيل الراهن كيف كانت تسير الأُمور والطريق الصعب الذي كان يسلكه العظماء والمنعطفات الخطيرة التي مرّوا بها والتحدّيات القاسية التي كانوا تقف في طريقهم.

لقد كان المخاض الذي مرّ به «الميزان» شاقاً وعسيراً ومليئاً بالآلام.

واني لأتمنّى على أبنائنا اليوم أن يتصفّحوا تاريخ تلك الحقبة المريرة من تاريخ الثقافة والفكر لاستلهام الدروس والعبر، واكتشاف الأبعاد الانسانيّة والأخلاقيّة لشخصيّات من قبيل العلّامة الراحل السيّد الطباطبائي رضوان الله عليه.

لم يكونوا يحملون هموماً دنيويّة أبداً كان همّهم الوحيد نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام فقدموا التضحيات الجسام وتحمّلوا المحن والآلام في سبيل نشر الصورة الحقيقيّة المشرقة للاسلام.

لقاء مع العلّامة الطباطبائي

في عصر أحد الأيّام توجّهت لزيارة العلّامة وكان في مجلسه عدد من الضيوف من بينهم آية الله سيد حسين قاضي المعروف بـ «قاضي كوچه حرمي» ومعه ابن عمه آية الله ميرزا حسن تيلي[1] وكانوا يرتشفون الشاي ويتحدّثون؛ حييت الجميع وجلست اصغي إلى ما يدور من حديث علمي بينهم وبين العلّامة الطباطبائي.

---

١. المرحوم حسن تيلي تبريزي «خاكي» من فضلاء قم نجل المرحوم معين الشرع من علماء مدينة تيل في اقليم اذربيجان ولد عام ١٣٢٤ هـ. ق كان من تلامذة الميرزا محمّد الهمداني وآية الله حجت وأمين سرّه وبعد وفاة المرحوم حجّت التحق بالمرحوم البروجردي وبعد وفاة الأخير أصبح من أصحاب المرحوم شريعتمداري، توفي في شتاء عام ١٩٨٥ عن ٨٢ عاماً ودفن في مقبرة أبو حسين بقم.

فجأة التفت إليّ العلّامة وسألني عمّا يدور في عالم المعرفة والفكر في إيران والعالم ومشكلات الثقافة الدينيّة؛ وبسبب ارتباطي بعالم النشر والكتاب وعلاقتي بالأوساط العلميّة ومتابعاتي المستمرّة فقد توفّرت لدي حصيلة في هذا المضمار وكنت عادة أُسأل عن الأوضاع الثقافيّة.

ورحت أشرح للسيّد العلّامة ما يتعلّق بهذا الموضوع واطلعه على آخر الأخبار الثقافيّة وكان يصغي بانتباه شديد بينما لم يبد الجالسون أي اهتمام، وظهرت علائم عدم الارتياح على وجه العلّامة فابتسم كعادته وقال لهم بالتركية:

ـ اضحكوا أقل واصغوا أكثر لما يقول!

ولم يكترث السادة واستمروا في دردشتهم فأعرض عنهم وأقبل عليّ يسأل وأُجيب ثمّ قال:

ـ سأفكّر في الموضوع وسأبذل قصارى ما استطيع من خدمة سأخصّص وقتاً للتباحث معاً في هذا الموضوع.

وبعد أيّام ذهبت إلى زيارته كان الموضوع ما يزال يشغل ذهنه لكن من جانب آخر قال بمرارة وأسف: زارني أحد السادة العاملين في مكتب أحد المرجعيات الدينيّة كما فهمت ـ حينها ـ وتحدّث معي حول مشكلات المرجع والرسائل التي ترد واجوبتها التي تأخذ من وقت المرجع الكثير!

وبعد أن انصرف الزائر، قلت في نفسي والآن أقول لك يا سيّد أنصاريان: ان الرسائل التي ترد إلى هذا السيد ـ المرجع ـ وغيره فانه لا يقرأها بنفسه وإنّما تقرأ عليه ويكون الجواب عادة «يجوز» أو «لا

يجوز» «افعل» أو «لا تفعل» وبعدها يشير بيده المباركة إلى المنشيء (السكرتير) أن أختم!

أما أنا فيردني يوميّاً عدد من الرسائل يتضمّن بعضها عدداً من الأسئلة التي تستلزم جواباً مفصّلاً مدعماً بالاستدلال والتوثيق العلمي والمنطقي الذي يناسب مستوى السائل ليكون قابلاً للفهم.

ولاذ العلّامة بالصمت عند هذا الحد وكنت أعرف انه وقبل اصابته بالرعاش كان يجيب عن الرسائل بنفسه ولم يكن عنده كاتب أو سكرتير بل كان يحمل الرسائل الجوابيّة بنفسه إلى دائرة البريد.

لقد كان يبثني بعض همومه واعرف أنه يريد تشجيعي على المضي في العمل الثقافي في مجال النشر.

وبعد كلّ هذه السنين الطويلة في نشر فكر وثقافة أهل البيت عليهم السلام أشعر أنّني مدين لذلك الانسان الالهي؛ أجل كنت عندما أنظر إليه أشعر بالأمل والقوّة والحماس.

دقائق ملكوتيّة

ذات يوم ذهبت إلى منزله وأتصوّر كنت قد أخذت منه موعداً للقاء بعض الزائرين وكان لديهم عدد من الأسئلة؛ وفيما كان الضيوف يتحدّثون مع العلّامة دق جرس الباب، فاستأذنته لفتح الباب فسمح لي.

فتحت الباب فاذا شخص يريد الحديث مع السيّد بضعة دقائق قلت له انتظر حتّى استأذن لك.

ابتسم وقال:

ـ طبعاً هذه الدقائق ملكوتيّة!

وكان يقصد أن الدقائق هذه ستطول كثيراً.

قال وما تزال الابتسامة على شفتيه:

ـ ليدخل وأرى ما شغله؟

العباءة

مرّت ساعة وانتهى اللقاء ودقّ الجرس مرّة أُخرى فتحت الباب فاذا العلّامة محمّد تقي الجعفري، رحبت به ودعوته إلى الدخول فقال: حتّى تستأذن لي السيد!

فاستأذنت له، ورحب العلّامة بضيفه الكريم الذي بدا وكأنه يريد لقاءً خاصّاً لذلك جلس في غرفة محاذيه للباب.

فوجئت ان الغرفة خالية من أيّ بساط، تصوّرت أن ربة البيت أرسلت السجّاد للغسيل.

قلت للضيف ينتظر حتى أحضر بساطاً! فقال الشيخ بمودّة: لا داعي يا سيّد أنصاريان.

ثمّ خلع عباءته وبسطها فوق أرضيّة الغرفة، وبدا الأمر عادياً جداً لأن السيّد جاء وجلس فوق عباءة الضيف وانشغلا في الحوار.

هذه العبارة تذكّرني بعصر يوم عاشوراء عام (١٣٤٢ هـ. ش /

١٩٦٣م) كان المرحوم الإمام الخميني قد توجّه إلى مدرسة الـ «فيضيّة» حيث ألقى كلمته التاريخيّة.

كان قد سبقه في الحضور آية الله الياسي خرّمآبادي حيث ألقى كلمته، وكان قد فرش عباءته فوق المنصّة التي وضعت عند الباب المؤدّية إلى مرقد السيّدة معصومة، وعندما فرغ من كلمته جاء الامام الخميني فأمر باعادة عباءة الشيخ إلياسي وألقى عباءته وجلس عليها ليلقي كلمته التاريخيّة التي غيّرت المسار التاريخي في إيران كنت أراقب ما جرى عن كثب!

والآن وبعد مرور كلّ هذه السنين الطويلة ما تزال تلك الذكرى ماثلة متوهجة في الذكرة

كم كانوا عظماء عندما كانت حياتهم بسيطة بعيدة عن التكلّف وكان في سيرتهم صدق عميق مؤثّر في النفس؛ لقد كانوا مثالاً ساطعاً وصورة مصغرة تعكس مجد الأنبياء.

اذكر انه عندما كان العلّامة الطباطبائي يختلف إلى منزل آية الله السيّد مصطفى صفائي الخونساري في صباح الجمعات وينضم إلى بعض الفضلاء من قبيل الشيخ السبحاني والاستادي وكان يدور فيها حوار علمي بعد قراءة دعاء مأثور عن أهل البيت عليهم السلام في التوسّل بهم إلى الله عزّوجلّ فهم الوسيلة التي أمر الله عباده أن يبتغوها.

واذكر أيضاً ان الامام الخميني رحمه الله بعد عودته إلى مدينة قم واستقراره فيها واستقباله لمراجع التقليد والعلماء الأعلام وكان الامام يقوم بزيارة من

زاره كتقليد سائد قام بزيارة العلّامة في منزله المجاور لمحل سكناه واقامته، وبعد تبادل عبارات ودّية اعتذر الامام للعلّامة بسبب الازدحام لدى زيارة فئات الشعب للامامﷺ وقال له من باب الملاطفة ربما:

ـ ان الطريق الوحيد هو أن ترفع شكوىٰ! لرفع الزحام.

وكان البعض يحمل ذلك على انّ قصد الامامﷺ أن يشتكي إليه فهو القائد الأعلىٰ في البلاد.

كان منزل العلّامة في شارع «الحجّتيّة» جوار مستوصف «القرآن والعترة».

التقوىٰ الفكريّة

عندما كنت أسكن في زقاق «أرك» كان العلّامة يسكن في زقاق قريب يدعىٰ «باغ» وكان في ركن الزقاق حمام عام اسمه «آملك» كانت داراً صغيرة وأظنّ بأنّه قد استأجرها وبعد ذلك باع أرضاً له في مسقط رأسه تبريز واشترىٰ داراً في زقاق «ناصر» والخلاصة أن تشرّفي بمعرفته يعود إلى سنة ١٣٤٠ هـ. ش (١٩٦١ م) وقبلها.

وأستطيع القول بجرأة انّ العلّامة الطباطبائي كان يعاني كثيراً وكان يقاسي كثيراً لكنّه كان يكظم آلامه ويكبت معاناته الّا انّه ربما بثّ بعض ما كان يعانيه لأحدهم بهدف الاصلاح في المجتمع والحوزة، فلقد كانت همومه كبيرة.

وكنت أُلاحظ بين فترة وأُخرىٰ بعض تلامذته أو أبنائه في لقاءات

تلفزونيّة يتحدّثون عن ذكرياتهم مع العلّامة وينقلون بعض ما كان يعانيه.

وقد قرأت في بعض مؤلّفات المرحوم آية الله السيّد دواني ذكرياته مع العلّامة بشأن كتاب «الأسفار» حيث أشار إلى حياة العلّامة في مدينة النجف الأشرف وكان المرحوم دواني يرويها عن نجله الأكبر السيّد عبدالباقي.

وقد روى المرحوم الدواني انه التقىٰ العلّامة الطباطبائي يوماً ورجاه انه عندما يريد تدريس جانب من «الأسفار» أن يشير إلى المصدر يعني رقم الجزء والصفحات لكي نقوم بالمراجعة والدراسة.

وكانت المفاجاة ان العلّامة أجاب انه لا يملك نسخة من «الأسفار» وانه لا يملك المبلغ اللازم لاقتناء دورة «الأسفار».

أجل هكذا كانت حياة العلّامة الطباطبائي.

طبعاً ينبغي الاشارة إلىٰ انّ العلّامة كان يتمتّع بذاكرة قويّة جدّاً تغنيه عن اقتناء مجلّدات الأسفار ورأىٰ أنّه من الاسراف صرف مبلغ لاقتناء نسخة من الكتاب.

اذكر انّه طلب مني عنواناً فذكرته له وكان من المقرّر أن يذهب إلىٰ ذلك العنوان، ويبدو أنّه لم يذهب لأنّه بعد مدّة طلب منّي العنوان مرّة أُخرىٰ فقلت مستغرباً لقد ذكرت لك العنوان أنسيته بهذه السرعة؟!

فقال العلّامة:

ـ لا يا سيّد أنصاريان ولكن أليس حيفاً أن يملأ الانسان خلاياه العصبيّة بهذه المعلومات انّها مكان للعلوم والفكر الديني.

عينان متألّقتان

في أواخر عمره المبارك كان يتعرّض لانتكاسات صحيّة باستمرار وكانت حالته تتدهور إلى أن أدخل «مستشفىٰ آية الله الگلپايگاني» كنت أزوره باستمرار لتفقد أحواله أو لانجاز بعض أُموره.

وخلال تلك الفترة كانت زوجه المحترمة السيّدة «روزبه» ترافقه لرعايته.

همست في اذنه تعلمه بحضوري، فتح عينيه بصعوبة ونظر إليّ نظرات قرأت فيها الكثير من المرارة والحزن نظرات لا يمكن أن أصفها!

تجمّعت في عيني الدموع..

كانت نظرات مليئة بالطهر والنقاء والمعاني السامية فيها حزن عميق وشعور بالغربة و...

حتّى انّني عندما غادرت المستشفىٰ توجّهت من فوري إلىٰ آية الله (إبراهيم) أميني[1] واطلعته على حالة السيّد الطباطبائي!

---

١. يقول آية الله أميني في ذكرياته يصف غربة ووحدة العلّامة الراحل قائلاً «لم يرافقه في تلك الفترة أحد سوىٰ زوجه الوفية. عندما ذهبت إلى عيادته قالت لي: لم أصل الظهر والعصر أرجو أن تبقىٰ لرعايته ريثما أُصلّي، بقيت إلى جانبه حدود ساعتين حتّى عادت السيّدة! شعرت بالألم لهذا الاهمال لشخصيّة علميّة كبيرة! هل من اللائق أن يبقىٰ هذا العالم الربّاني وحيداً في المستشفى؟ يا لقسوة الدهر.

بقي العلّامة مدّة أُسبوع في حالة اغماء ولم يكن يزوره سوى عدد ضئيل من محبّيه.

جدير ذكره ان السيّد محمّد تقي أنصاريان الذي كان في طليعة مريديه جاءني ورجاني ←

وقد بادر السيّد أميني فاتصل بمكتب الإمام في طهران وجاء السيّد أحمد لعيادة العلّامة وعرض فكرة ارساله للعلاج في الخارج، وهناك تفاصيل كثيرة في مقالات الشيخ رسول جعفريان يرويها عن الشيخ «الأشعري القمّي» وكذلك ذكريات الأخير.

بعد ثلاثة أيّام توفّي العلّامة ورحل إلى الله، وبعد تشييعه صلّى على جثمانه آية الله الگلپايگاني ليوارىٰ الثرىٰ في حرم السيّدة فاطمة المعصومة.

وكانت وفاته ورحيله صدمة بالنسبة لي؛ صدمة ولكن رضاً برضاه سبحانه وتسليماً لأمره.

هل من الممكن ألا تسألني!

قصّة نشر كتاب الشيعة في الاسلام «الترجمة الانجليزيّة»:

ما إن اطلعت على صدور كتاب «الشيعة في الاسلام» باللغة الانجليزيّة في امريكا حتّى بادرت إلى شراء نسخة من خلال أحد الأصدقاء وقد كلّفني ذلك ٢٥٠ توماناً وهو يومئذٍ مبلغ كبير جدّاً، يعد

⬅ أن أتّصل ببيت الإمام الخميني من الأفضل أن يرسل أحداً من قبله لعيادة العلّامة.
اتّصلت بمكتب الإمام في طهران.
أرسل الامام على وجه السرعة نجله المرحوم الحاج أحمد (الخميني) لعيادته.
وفي ضحى يوم الأحد ٢٤ آبان ١٣٦٠ هجري شمسي توفّي (العلّامة) ورحل إلى لقاء الله».
ذكريات آية الله أميني، مركز اسناد (الوثائق) ص ١٢١.

راتب شهر كامل فقد كنت اتقاضى هذا المبلغ كراتب شهريّاً!

كانت فرحتي لا توصف لسببين: الأوّل صدور كتاب يعرّف مدرسة أهل البيت عليهم السلام باللغة الانجليزيّة في امريكا، والثاني ان العلّامة كان ما يزال يعاني من ضغوط شديدة بسبب الأجواء في الحوزة، لذلك أخذت الكتاب وتشرّفت بلقاء العلّامة وأطلعته عليه، وأوضحت له نقطة تتعلّق بالمقدّمة التي كتبها الدكتور حسين نصر (مترجم الكتاب) إذ هناك مقدّمة أُخرى بقلم شخصيّة تنتمي إلى احدىٰ الفرق!

وليس من الصلاح صدور الكتاب مع هذه المقدّمة فالأجواء المعادية للعلّامة في الحوزة سوف تستغل ذلك وتروّج إلى انّ العلّامة ينتمي إلى تلك الفرقة وسيزداد الطين بلّة!

لذلك أشرت على العلّامة أن يذكّر الدكتور نصر لأنّه من المحتمل أيضاً ان تصادر تلك الفرقة الكتاب لمصالحها الخاصّة وفي نفس الوقت فانّ ذلك سوف يفتح على العلّامة جبهة جديدة، خاصّة وانّ الأجواء كانت مسمومة وهناك من يبحث عن هفوات أو نقاط لمهاجمته.

وذكرت للعلّامة سعر الكتاب وأنّه مكلف جداً واقترحت عليه اعادة طبعه في إيران وتوزيعه في الخارج.

سكت العلّامة لحظات ثمّ قال بكلّ وقار: «هل من الممكن ألّا تسألني؟!» وأدركت ما يرمي إليه العلّامة ونوايا الخير في أعماقه.

ثمّ قال: من المحتمل أن أُكلّفك زحمة؟!

قلت: سيّدي انّها رحمة لا زحمة!

اشرقت ابتسامة على وجهه وقال: توصل رسالتي إلى الدكتور نصر في مكتبه، فان أجاب عن الرسالة فجئني برسالته وإلّا فهو سيأتي بالجواب!

وفي اليوم التالي سلّمني الرسالة وتوجّهت إلىٰ طهران يملأني الحماس لأنّ العلّامة استمع إلى وجهة نظري واتّخذ قراره بسرعة وكلّفني بهذه المهمّة.

وتمكّنت من لقاء الدكتور بعد لأي!

قرأ الدكتور الرسالة في حضوري وقال: انّه سيوجه إلى السيّد العلّامة رسالة جوابيّة، فاستأذنت للانصراف وقفلت عائداً إلى قم.

ما إن وصلت قم حتّى توجّهت من فوري إلى منزل آية الله الگلپايگاني والتقيت المرحوم الحاج مهدي وشرحت له قصّة كتاب الشيعة في الاسلام وطبعه في إيران.

قال: وماذا تريد أن تفعل؟

قلت له: انّ شراء هذه النسخة كلّفني راتبي كلّه ولا أملك شيئاً لطبعه، لذا أطلب مساعدتكم

قال: وكم يكلّف طبع النسخة الواحدة؟

قلت: ١٤ توماناً.

قال: اطبع ٥٠٠٠ نسخة من الكتاب وسأحول لك سبعين ألف تومان!

اتّفقت مع السيّد برقعي صاحب مطبعة الـ «صدر» ووقعنا عقداً يقضي بطبع ٥٠٠٠ نسخة وأن يكتب عنوان الناشر على هذا النحو:

« پاكستان، كراچي، ناظم آباد، ناظم آباد ٢، زقاق ٨، رقم البناية ٥ ».

وبالطبع لم يكن لهذا العنوان وجود خارجي.

وفي هذه الطبعة تمّ حذف المقدّمة المثيرة للجدل، كما تمّ ادخال بعض الملاحظات التي ابداها كلّ من الدكتور أحمد أحمدي والدكتور كوپر والسيّد محمّد الرضوي وبموافقة العلّامة.

طبع الكتاب وتمّ توزيعه، ولعلّه الكتاب الأوّل من نوعه حول الشيعة والتشيّع.

وبعد مدّة أخبرني الاستاذ السيّد هادي خسروشاهي انّ الدكتور نصر بعث رسالة إلى الدكتور فريدوني سفير إيران في پاكستان يسأل فيها عن الجهة التي قامت بطبع الكتاب والعنوان المسجّل، وأنّ السفير أظهر عدم امتلاكه أيّة معلومات عن ذلك!

طبعاً بعد مدّة اخبرت الدكتور نصر عن طريق أحد الأصدقاء بالقصّة كلّها فالتزم الأخير الصمت وقد فسّرت سكوته بأنّه علامة على الرضا وبعد هذه السنين أتصوّر ان طبعة الكتاب كانت خطوة مباركة حظيت بموافقة العلّامة ومساعدة الحاج السيّد مهدي الگلپايگاني وسكوت الدكتور نصر لتثمر عن توفير الكتاب بأقل من عشر الطبعة الاميريكيّة كما ان حذف تلك المقدّمة كان في سلّم الأولويّات لأنّ العلّامة ابدىٰ عدم رضاه بها.

واليوم فان ذلك الكتاب الجليل مترجم إلى عشر من اللغات الحيّة ولم يعد كتاباً مهجوراً.

ذكريات أُخرى

أنا أعتبر آية الله البروجردي الحاكم الشرعي

زرته في عصر ذلك اليوم الشتائي، كان الجو بارداً، وكان السيّد قد انتقل حديثاً إلى زقاق «ناصر».

رأيت في مجلسه عدداً من علماء وأساتذة الحوزة وعدداً آخر من تلامذته وصادف وصولي حضور أحد الشخصيّات الرفيعة في الحوزة ولم يكن للعلّامة من يساعده في تقديم الشاي.

وانفضّ الحضور إلّا من الأشخاص المقرّر الحوار معهم وكانوا من المقرّبين لديه.

لقد مرّ زمن طويل على هذا اللقاء ومن المحتمل جداً أن انقص أو أزيد فيما قاله العلّامة؛ يومئذٍ أتذكّر انّه بدأ الحديث قائلاً:

عندما جئت من تبريز وتشرّفت بالاقامة في قم كان هدفي احياء الامور المعنويّة وأداء الرسالة الالهيّة في نشر وتبليغ الدين وتهذيب النفس وتزكية الأخلاق وتنمية أفكار الطلّاب وتصحيح العقائد الحقّة وطهارة السرّ والعلاقة مع عالم المعنى.

عندما بدأنا درس (تدريس) الأسفار كان عدد الحضور مئة طالب تقريباً لا أدري كيف ولماذا وصل الخبر إلى آية الله البروجردي وما الذي قيل له ليقع تحت تأثير ذلك؛ بحيث يصدر أمره بقطع الشهريّة (المنحة

الماليّة التي تقدّم شهريّاً للطلّاب) عن الطـلاب الذيـن يـحضرون درس الأسفار.

عندما وصلني الخبر قلت في نـفسي: يـا الهـي! هـؤلاء المـحصّلين (الطلّاب) الذين جاءوا من ديار بعيدة لا يملكون شيئاً غير هذه الشهريّة لتمشية معيشتهم، وإذا عطلت درس الأسـفار فسـيكون ضـربة قـاصمة لمستوىٰ الطلّاب العلمي والعقائدي، كما انّ العلّة في هجرتي إلىٰ قم أداء هذه الرسالة الالهيّة.

لم أعطّل الدرس ودعوت الله عزّوجلّ أن يجعل لنا فرجاً ومخرجاً ممّا نحن فيه.

في اليوم التالي جاء الحاج أحمد خادمي وكـان مـن خـدّام آيـة الله البروجردي يحمل رسالة شفويّة.

ـ يقول السيّد (البروجردي) عندما كنّا ندرس في الحوزة العلميّة في إصفهان كان أحد دروسنا «الأسفار» وكان أُستاذنا المـرحـوم جـهانگير قشقائي ولكن سرّاً وكنّا عدداً قليلاً، والآن وبالنظر إلى الوضع المـوجود للحوزة ليس من الصلاح تدريس الأسفار رسميّاً (علنيّاً) فاتركه (أوقفه) مدّة

قلت (السيّد الطـباطبائي) فـي جـواب آيـة الله البـروجردي للسـيّد خادمي: لقد درّست الدروس (العلوم) المـتعارفة والرسـميّة وبـامكاني تدريسها وليس بأقل شأناً ممّن يدرّسون «الفقه» و«الأُصـول» ولكـنّي هاجرت من تبريز إلىٰ قم من أجل التصدّي لعقائد الماديّين وغيرهم من

ذوي العقائد الباطلة.

وعندما كان جنابكم السامي تحضرون درس المرحوم جهانگير خان فانّ الطلّاب وغالبيّة الناس يومئذٍ وبحمد الله لديهم عقيدة قويّة، أمّا اليوم وللأسف فانّ الحوزة تموج بالشبهات والاشكالات ويجب علينا مواجهة الماديّين من خلال اعداد الطلاب على نحو صحيح وتسليحهم بالفلسفة الاسلاميّة الحقّة، وبلطف الله فانّ أكثر التلامذة لديهم الاستعداد.

ومع ذلك (الكلام للسيّد العلّامة) فانّني اعتبر آية الله البروجردي الحاكم الشرعي فاذا حكم بألا نقوم بتدريس الأسفار فتكون مسألة أُخرىٰ.

وأضاف العلّامة ربما في نفس هذا اللقاء أو في مناسبات أُخرى قائلاً:

ـ بعد أن أبلغت آية الله البروجردي رسالتي (الشفهيّة) لم يصلني شيء ولم يعترض عليّ أحد وبقيت أدرّس كتب الفلسفة «الشفاء» و«الأسفار» وغيرهما، ولم أجد في تعامل «بيت آية الله البروجردي» إلّا غاية الاحترام وأرسل لي مرّة مصحفاً (القرآن المجيد) كان من أصحّ الطبعات ولعلّه الأفضل هدية من سماحته.

أسرة العلّامة

من التوفيقات الالهيّة تعرّفي على جناب المهندس عبدالباقي الطباطبائي وعدد من أفراد هذه الأُسرة الكريمة وخاصّة الأصهار المحترمين السيّد القدوسي والمناقبي والمنتسبين إلى هذا العالم الكبير.

وقد جاء تعرّفي عليهم بسبب تردّدي على زيارة العلّامة مع انّني أحاول مراعاة أحوال العلّامة وأُسرته الكريمة وكان المهندس عبدالباقي طالما يقول لي: سيّد انصاريان أصبحت أحد أفراد الأُسرة والسيّد (العلّامة) يودّكم كثيراً ويدعو لكم دائماً.

السيّد عبدالباقي نجل العلّامة الطباطبائي شخصيّة محبوبة جدّاً وهو صهر آية الله الشيخ مرتضى الحائري اليزدي وعديل آية الله السيّد مصطفى الخميني انسان تقي ورع والحق انّه ورث كثيراً من صفات والده الجليل ويعدّه والده من مفاخر الأُسرة متواضع مهذب يسعى دائماً لتقديم الخدمة وللعلّامة أحفاد من ولده هذا يفتخرون بانتسابهم إلى العلّامة وخلال تلك الفترة تعرّفت على اصهار العلّامة من قبيل المرحوم الدكتور مناقبي وهو من الخطباء المفوهين في طهران وقم وكان يدعى إلى بعض المدن للخطابة.

واذكر انّ آية الله السيّد ابن الرضا كان يدعوه للخطابة (المنبر الحسيني) في خونسار اضافة إلى الخطابة في منزل جدّي المرحوم الحاج سيّد محمّد بني هاشمي حيث تعرّفت عليه في هذا المكان وما زلت على علاقة وطيدة بنجله الحاج أميرحسين المناقبي وهو بحمد الله من الخطباء الموفّقين جدّاً.

ويعود تعرّفي علىٰ صهره الآخر آية الله الشهيد قدوسي إلى تلك الفترة التي كنت أتردّد فيها على مدرسة حقّاني لانجاز بعض الأعمال المختلفة وقد أصبح الشهيد بعد انتصار الثورة الاسلاميّة المدّعي العام للبلاد.

كانت شخصيّته منظمة تتسم بالتقوى وتتفهم ما يجري في المجتمع.

وللعلّامة من صهره الشهيد أحفاد ورثوا صفات الراحل يتسنمون مواقع في المجتمع وقد وقعت حوادث على صلة مع بيت آية الله شريعتمداري وآية الله قدوسي أذكرها في مناسباتها إن شاء الله.

لا تنس الله، «بيوت أذن الله أن ترفع»

ذاع صيت العلّامة الطباطبائي في الداخل وعبر اسمه حدود إيران والعالم الاسلامي وأصبح لافتة تتبرّك باسمه شوارع وأزقّة ومدارس دينيّة ومدارس حكوميّة وجامعات ومؤسّسات بحثيّة وثقافيّة.

وكان من يدخل الزقاق الذي يسكن فيه لا يعرفه ولا يعرف أين تقع داره؟

لقد أضحى منزل ذلك الفيلسوف العارف مركزاً علميّاً للدراسات القرآنيّة بعد أن اشتراه السيّد أنصاري من ورثته.

وقد أخذ على عاتقه المسؤوليّة في ادارة العمل الثقافي وعقد المؤتمرات العلميّة والقرآنيّة الفاضل الكريم السيّد نجفي.

لقد كان العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي عظيماً لا لأنّه كان فيلسوفاً كبيراً ومجتهداً بارعاً وأُستاذاً عالياً بل لأنّه كان على خلق عظيم.

كان مجده الأخلاقي هو سرّ عظمته وخلوده ولم يأت هذا المجد بلا ثمن بل دفع ثمن ذلك المجد باهظاً في معاناة مريرة في تهذيب النفس

وتنمية الأخلاق وتحمل المشاق واللجوء إلى الله وحده وحده أو ليس الله بكاف عبده.

وعلى مدى سنين طويلة كنت أسمعه في لقاءاته وفي اجاباته يقول لمخاطبيه:

ـ «لا تنس ذكر الله في كلّ حال».

كان يقولها لي ولغيري في كلّ مناسبة؛ إنّ التأكيد على هذه الجملة من قبل فيلسوف إنّما يتضمّن رسالة في الاصلاح فهو يرى عماد حياة الفرد والمجتمع بذكر الله، ذلك ان نسيان الانسان لله يفضي إلى نسيان النفس ونسيان الانسان نفسه هو أكبر كارثة يتعرّض لها الانسان في حياته[1].

وعندما أذهب لزيارة الضريح الطاهر للسيّدة المعصومة أقف على قبور اولئك العظماء الذين رقدوا في ظلال الحرم المطهّر وتنبعث ذكرياتي معهم.

وعندما أقف على قبر العلّامة الراحل تتوهج هذه الكلمات في أعماقي:

ـ «لا تنس ذكر الله في كلّ حال».

يجدر بي أن أذكر وللامانة التاريخيّة وعرفان الشكر والتقدير ان حجّة الإسلام السيّد جواد الشهرستاني صهر آية الله السيستاني وهو من وراء

---

١. ﴿ يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا ٱللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾.

تحويل دار آية الله الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي إلى مركز ثقافي وتلا ذلك دار العلّامة الطباطبائي، اذ عرفت مؤخّراً ان شراء السيّد الأنصاري لدار العلّامة تمّ بتوصية من السيّد جواد الشهرستاني وعلى أيّة حال أسأل الموفقيّة للجميع.

لقاء جديد

في عام ١٣٨٣ هـ. ش (٢٠٠٤ م) زارني المرحوم المهندس السيّد عبدالباقي الطباطبائي نجل العلّامة في مكتبتي وتحدث عن قيام جامعة العلّامة الطباطبائي بعقد مؤتمر تكريمي للعلّامة الراحل في قاعة فندق «صفاء» في قم وفي الأثناء جاء السيّد ارادتي وقدّم لي بطاقة الدعوة لحضور المؤتمر.

وكعادتي وبسبب مشاغلي الكثيرة لم أكن أحضر أو أُشارك في المؤتمرات والمهرجانات.

فقلت للمهندس عبدالباقي: ما أنا والحضور في هذا المحفل!

طبعاً كان مرادي انّ الذين ينبغي عليهم الحضور والمشاركة هم أصحاب البحوث أو تلامذة العلّامة.

قال المهندس بأدب: أنت يا سيّد أنصاريان الوارث الأخلاقي لوالدي، وكنت أُلاحظ أخلاصك له سيّما في السنوات الأخيرة من عمره أثناء معاناته المرضيّة.

واحتراماً لذكرى العلّامة وقدوم نجله السيّد عبدالباقي لبّيت الدعوة الكريمة.

وكانت فرصة طيّبة للتعرّف على علماء في الحوزة وأساتذة في جامعة العلّامة الطباطبائي برئاسة الدكتور نجفقلي حبيبي والدكتور من أبناء مدينتي «خونسار» فحظيت من لدنه بترحيب حار والتقيت في المؤتمر آية الله أميني وآية الله (إبراهيم) جنّاتي وآية الله أُستادي وغيرهم من فضلاء الحوزة.

وقد حظيت كلمة آية الله أُستادي على قصرها باستحسان بالغ.

ترك المؤتمر التكريمي لديّ ذكرى طيّبة فقد كان لاجتماع تلامذة العلّامة ومحبّيه تحت سقف واحد نكهة خاصّة، لقد عقدت عشرات المؤتمرات احتفاءً بذكرى العلّامة غير ان هذا المؤتمر انفرد ببعض الخصائص ميزته عن غيره وفي رأيي ان اجتماع تلامذته ومحبّيه والكلمات التي ألقيت والمقالات التي كتبت أضفت على فندق الـ «صفا» حالة فريدة من الصفاء.

اطلعني الشيخ مهدي الأنصاري على رغبة والده آية النجفي الهمداني المعروف بـ «عرب زاده»[1] في زيارة العلّامة وبدوري أخبرت العلّامة إلّا أن مرور ثلاثين عاماً وكثرة مشاغله أنسته الزائر إذ أبدىٰ عدم معرفته وفي

---

١. من كبار العلماء وصهر المرحوم الميرزا النائيني نشرت جملة «نور علم» ترجمة لحياته، وكذا توجد ترجمة لحياته وسيرته في كتب التراجم لأعلام محافظة «همدان».

الوقت المحدّد وصل الضيف ومعه أبناء الشيخ مـهدي والدكـتور هـادي الأنصاري.

وفي أثناء اللقاء عرّج آية الله النجفي الهمداني على ذكرياته في النجف الأشرف يوم كان زميلاً للعلاّمة خلال تلك الفترة من دراسـته ويـبدو انّ العلّامة انشرح لتلك الذكريات فبدت حالة من الفرح في عينيه وانعكست في ابتسامة ارتسمت على شفتيه.

وانتقل الحديث إلى تفسير القرآن ويبدو انّ آية الله الهمداني كان يشتغل في تلك على التفسير، إلى جانب شرح أُصول الكافي، وكانت الغاية من زيارته إلى جانب تفقد أحوال العلّامة عرض بعض الأسئلة العلميّة ونهاية اللقاء قدم الضيف مجموعة من مؤلّفاته إلى العلّامة حيث راح يـتصفّحها باهتمام واحترام.

بعدها غادر الضيف وانصرف وقد ملأت الفرحة نفسه لقد كان الزائر في غاية الانشراح.

علّمه البيان

لا أتذكّر جيداً المناسبة التي حدت بمجموعة من الطالبات الجامعيّات من طهران وإصفهان للمجيء إلى قم ولقاء العلّامة الطباطبائي.

لذلك طلبوا مني التوسط لترتيب اللقاء وأخذ الاذن بالموافقة.

وفي تلك الفترة كان العلّامة يعاني من المرض وتقدّم السـنّ لذا كـان يميل إلى العزلة، من أجل هذا لم أعدهم قلت لهم سأطلع العلّامة فـقط،

وهذا ما فعلته، كنت أظنّ إنّ العلّامة لن يوافق على اللقاء غير اني رأيته يتبسّم ويقول: حاضر! تفضّلوا!

الحقيقة كنت مرتاحاً للموافقة لذلك أسرعت لترتيب اللفاء.

ما إن استقرّ المجلس وتبودلت كلمات ودّية قلت للعلّامة: سيّدنا هذه فتيات جامعيّات ملتزمات دينيّاً بالرغم من الأجواء الثقافيّة السائدة في الجامعة[1] وهي أجواء غير مناسبة لذلك فان وجود هذه الفتيات نعمة في ذاتها، لذا يحتجن إلى ما يقوي عزيمتهنّ وارادتهنّ!

ابتسم العلاّمة وما يزال يحدّق في نقطة ما في أرضيّة الغرفة وقال:

ـ على عيني.

تصوّرت انّه سيبدأ مثل معظم السادة بمقدّمة رسميّة وديباجة يزوّق فيها الكلام ويتكلّف في التعبير، فاذا به يقول دون مقدّمة:

ـ كونوا مع الله واخشوه، وليكن في علمكم إن الله شاهد عليكم ويراقبكم وليكن عملكم خالصاً له واستعينوا به فانّه لا نصير إلّا هو ولا معين غيره وهو المؤنس والظهير والحبيب والعطوف وحده. الله! الله! الله! ولا أستطيع أن أقول شيئاً أكثر من ذلك.

كانت كلمات موجزة ولكنّها أحدثت تأثيراً عميقاً في نفوس الحاضرين، حتّى انه عندما انتهى اللقاء كانت عيون البعض ما تزال تتألّق بدموع الخشوع.

---

١. يعود تاريخ اللقاءات إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في شباط ١٩٧٩ ـ المترجم.

لقد اوتي العـلّامة قـدرة عـلى مـعرفة المـخاطب وتـوجيه الخـطاب الارشادي الملائم ان ذكـر الله والاحسـاس الدائـم بشـهوده وحـضوره ومراقبته هو الذي يرشّد حركة الانسان ويضعه في الاتّجاه الصحيح.

هكذا كان العلّامة يوجّه خطابه التوجيهي قبل الثورة واستمرّ على هذا النحو بعد الثورة.

طبعاً في السنوات الأخيرة من عمره وفقده زوجته ومن ثـمّ الاقـتران بامرأة فاضلة وبسبب بعض المشكلات كان العلّامة يؤثر العزلة والابتعاد عن صخب الحياة.

جميل من كلّ الزوايا

كما الشموع والجبال من أي زاوية نظرت إليها تراها مهيبة جميلة هكذا هي شخصيّة السيّد الطباطبائي، جميل في أخلاقه وجـميل فـي صـفاته ومهيب في وقاره وعظيم في أدبه وخلقه وحكيم في سيرته ومنطقه.

صادفته مرّتين أو ثلاث في شارع «صفائيّة» بعد انتقال محل سكـناه إلى ذلك الشارع، واقفاً ينتظر سيّارة تاكسي كغيره من الناس[١].

تقدّمت نحوه مرّة وقلت: سيّدي! هذا رقم تـلفون المـنزل والمكـتب اتّصلوا فقط وأنا أوصلكم إلى المكان الذي تريدون.

---

١. في عموم المدن الإيرانيّة تدور سيارات التاكسي في الشوارع ويقف الناس على امتدادها يلوحون بأيديهم إلى المكان أو الحيّ الذي يريدون ويفهم السواق مـن اشـارات الأيـدي المقصد فيتوقفون أو يمضون في طريقهم ـ المترجم.

ابتسم كعادته وقال: حاضر ازاحمكم! غير انّني اصادفه مـرّة أُخـرى واقفاً ينتظر سيّارة تاكسي.

وقد اعتاد السيّد أن يتردّد على بيوت العلماء الأعلام وفـي طـليعتهم السيّد شريعتمداري والسيّد المرعشي والسيّد الگلپايگاني، للمشاركة في المجالس الحسينيّة.

كما كان يتردّد على دار التبليغ الاسلامي للتدريس أو لحضور بـعض الاجتماعات الخاصّة التي تعقد في الدار.

واذكّره سيّدي ألم نتفق؟! فيبسم ويقول كعادته: حاضر! غير انّني أراه واقفاً في الشارع.

عندما كنت أراه أتصوّر ان جسمه موجود فقط أمّا روحه العظيم فـفي مكان آخر.

كنت ألمح في عينيه نظرات بعيدة تنفذ من خلال الأشياء إلى آفاق لا ندركها نحن الذين لم نواكب رحلته العميقة في تفسير القرآن الكريم.

أكاد أرى موجات السعادة في أعماقه.

في داخل شخصيّته احساس عميق بالرضا، يـنعكس واضـحاً عـلى شكل سكينة وطمأنية وشعور غامر بالسلام.

حتّى تكسّرات الحزن التي تبدو في عينيه لا يمكنها أن تـحجب ذلك النبع المتدفّق من الرضا في أعماقه.

والخلاصة لم يتّصل بي تلفونيّاً حتّى مرّة واحدة لقد كنت أتمنّى من كلّ

قلبي أن يتّصل لأقدم له الخدمة التي يشرّفني تقديمها إلى انسان هو من بين القلائل الذين يستحقون كلمة انسان.

الانسان الذي ينطوي صدره الرحب على قلب يكاد يتّسع للناس جميعاً، قلب لا يتمنّى إلّا الخير للجميع حتّى اولئك الذين كانوا يسيئون إليه ويتمنّون أن لا يرون له ظلّا فوق الأرض.

ياد نامة

اذكر انّنا عندما كنّا ندير «انتشارات شفق» أنا وصديقي العزيز السيّد «وافي» قمنا بطباعة ونشر الكتاب القيم «يادنامه علّامه طباطبائي» الذي يشتمل على دراسات وبحوث علميّة وأخلاقيّة وعرفانيّة.

وقد حظي الكتاب باستقبال فريد في المحافل الحوزويّة والجامعيّة حتّى انّه أصبح مرجعاً للعديد من الباحثين والكتاب.

وتدور البحوث والمقالات في الـ «يادنامه» حول الحياة الروحيّة للفيلسوف والعلّامة الراحل ومنزلته العلميّة.

وقد بذل السيّد وافي جهوداً مضنية في جمع المقالات وترتيب البحوث لترى النور في حلة قشيبة أسأله تعالى أن يوفّقه لما فيه الخير.

وقد اشتمل الكتاب على بيانات بمناسبة رحيل العلّامة الطباطبائي صدرت من لدن شخصيّات رفيعة في البلاد في طليعتها بيان الامام الخميني، آية الله المنتظري، جامعة المدرسين، رئاسة الجمهوريّة، رئاسة مجلس الشورى الاسلامي، رئيس الوزراء، قصيدة في رثاء الراحل

للأُستاذ محمّد حسين بهجتي شفق، مدخل ومقالات وبحوث بقلم كلّ من:

الشيخ محمّد تقي مصباح، الشيخ جعفر سبحاني، الشيخ الأُستاذ حسين‌زاده آملي، الشيخ إبراهيم أميني، محمّد محمّدي گيلاني، أبوالقاسم رزاقي، جوادي آملي، علي أحمد ميانجي، السيّد أبوالحسن رفيعي قزويني وفي الختام اشعار منتخبة من نظم السيّد الطباطبائي الراحل.

جدير ذكره انّ مقدّمة الكتاب الرائعة كانت بقلم صديقي وزميلي الحاج علي آقا وافي.

وقد صدر الكتاب بمناسبة الذكرى الأُولى لرحيل العلّامة الطباطبائي رضوان الله عليه.

جاء فيها انّ رحيل العلّامة الطباطبائي لا يعني غيابه فما تزال آثاره الخالدة تؤكّد حضوره فهو شاهد حاضر، فان غاب شخصه فما تزال شخصيّته تتألّق في ضمير الانسانيّة.

وقد ضمن مقدّمته باللغة الفارسيّة بيتاً من الشعر العربي:

إنّ آثارنا تدلّ علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

بوصلة التفوق

من خصائص العلّامة الراحل انّه كان يكتشف القابليّات والامكانات لدى تلامذته ويعمل على تنميتها، وقد لاحظ العديدون من تلامذته هذه

الظاهرة في شخصيّته انّها روح المسؤوليّة في أعماق ذلك الانسان الالهي تملي عليه تنمية الانسان المصلح في داخل الحوزة والمجتمع.

ذات يوم سافر العلّامة الطباطبائي إلى طهران لزيارة أحد أصدقائه القدامى وهو آية الله سيّد صدرالدين الجزائري، وكان الأخير قد درس مدّة في النجف الأشرف وتتلمّذ على اساتذتها من قبيل الكمپاني والنائيني والخوئي وفي مشهد على يد آية الله الميلاني وفي قم درس عند العلّامة الطباطبائي وبالرغم من أنّه كان في حكم زميله في الدراسة الّا انه كان يعتبر العلّامة أُستاذاً له.

وفي تلك الفترة كان السيّد صدرالدين يدرّس ابنه السيّد مرتضى وكان وقتها في الخامسة عشرة من عمره، ويبدو انه كان يطرح العديد من الأسئلة على والده وأُستاذه فلا يجد الأخير جواباً.

لذلك وجد في حضور العلّامة فرصة ذهبيّة فقال لابنه:

ـ اطرح أسئلتك التي لم أجب عنها على جناب سيّدنا العلّامة.

كانت أسئلة سيّد مرتضى تكشف عن نباهة وفطنة وطاقة علميّة واعدة، لذلك قال لصديقه القديم السيّد صدرالدين: لماذا لا ترسل ابنك إلى قم لاستكمال دراسته؟! انّ لديه عقليّة علميّة ينبغي استثمارها!

تمكّن السيّد الطباطبائي من اقناع صديقه ووجد سيّد مرتضى طريقه إلى الحوزة في مدينة قم المقدّسة والتتلمذ على أيدي كبار الأساتذة فيها.

وفي عام ١٣٢٥ هـ ش المصادف لـ ١٩٤٦ م غادر سيّد مرتضى مدينة

طهران إلى مدينة قم ليستكمل دراسته على أيدي كبار أساتذة الحوزة فيها.

من وحي الذاكرة

عندما لا تسجّل بعض الحوادث الوقائع فانّها تبقى عالقة في الذاكرة وبمرور الأيّام والسنين تتعرّض للتآكل شيئاً فشيئاً فعلى سبيل المثال أذكر حكايتين سمعتهما من السيّد الطباطبائي غير ان هاجساً راودني ربما سمعتهما من غيره! ثمّ تحقّقت من بعض الأصدقاء إلى أن تأكّدت تماماً من أن مصدرها هو العلّامة الطباطبائي رضوان الله عليه.

الحكاية الأولى

في عالم البرزخ:

روى العلّامة عن أحد الأساتذة أو الأصدقاء كانت له مناظرة مع عالم سنّي في قضايا العقيدة وكان متحمّساً للحوار والجدل خاصّة العالم الشيعي الذي كان يأمل أن تثمر مناظرته إلى استبصار العالم السنّي، وتوقّفت المناظرة إذ ان العالم الشيعي سافر وكان يأسف لتوقّف اللقاءات، وبعد عودته من السفر وجد صاحبه قد توفّي فترحّم عليه ودعا له.

وذات ليلة رآه في عالم الرؤيا جالساً في غرفة جميلة فقال له: ليتك لم تتوفّى وحتّى تتمّ المناظرة وتبصر الهدى وتتولّى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب!

فقال العالم السنّي: لا تغتم انّ الامام علي ما انفك يرسل إليّ من يعلّمني ويرشدني حتّى استبصرت.

وسواء كان العلّامة هو العالم الشيعي في هذه الحكاية أو أنّه رواها عن أحد أصدقائه فانّها تؤكّد على وجود فرص للهداية والنجاة في عالم البرزخ وهذا من رحمة الله عزّوجلّ بعباده.

الحكاية الثانية

قال العلّامة الطباطبائي كان لأخي (الحاج السيّد محمّد حسن الهي الطباطبائي) في تبريز تلميذ في الفلسفة، وكان التلميذ يقوم بتحضير الأرواح وقد اتّصل أخي من خلاله بالعديد من الأرواح.

ومن العجائب والغرائب انّ أخي بعث برسالة إليّ جاء فيها انّ هذا التلميذ قام باحضار روح الوالد ﵀ وكان يعتب عليك انّك لم تشركه في ثواب التفسير الذي ألّفته!

يقول العلّامة انّ هذا التلميذ لم يكن يعرفني ولم يسمع بشأن التفسير وعدم اشراكي أبي بثواب التفسير مسألة لا يعرفها أحد لأنّها من الأُمور القلبيّة وعدم اشراكي إيّاه بالثواب لأنّني أعتقد ان ما قمت به لا قيمة له حتّى اشرك أبي بثوابه!

عندما قرأت الرسالة شعرت بالخجل وقلت: اللهمّ إن كان هذا التفسير مورد قبول من لدنك فانّي أهدي ثوابه إلى روح والديّ، وبعد أيّام وصلتني رسالة من أخي قبل أن أكتب إليه رسالة وأخبره بما فعلت.

جاء في رسالته الثانية انّه تحدّث مع روح والدنا وانّه كان مسروراً جدّاً ودعا لك قائلاً: أطال الله عمر سيّد محمّد حسين وأيّده.

وقد وردت هذه الحكاية في كتاب «معادشناسي» (معرفة المعاد) لآية الله محمّد حسين الطهراني.

أين قبر الزهراء عليها السلام؟

سمعت هذه الحكاية من المرحوم العلّامة الطباطبائي أو من شخص آخر سمعها منه غير انّي وجدتها في مذكرات الأُستاذ الفاضل أحمد عباسي حيث أوردها بالتفصيل.

مناظرة بين آية الله السيّد محمّد حسين درچئي وعالم سنّي

السيّد درچئي من كبار العلماء وأساتذة الفقه والأُصول في النجف الأشرف وكان استاذاً للعديد من مراجع التقليد من قبيل:

آية الله السيّد أبو الحسن الإصفهاني، آية الله رحيم أرباب، آية الله البروجردي، آية الله الميرزا علي آقا الشيرازي، آية الله النجفي القوچاني، آية الله جمال‌الدين الگلپايگاني، آية الله الميرزا النائيني وآخرين.

كان المرحوم درچئي من تلامذة الميرزا حبيب الله الرشتي والميرزا الشيرازي المجدّد المبرزين وقد ذاع صيته ونبوغه العلمي في النجف.

اشتهر بذاكرته القويّة وسرعة البديهة وأدلّته العلميّة وتوثيقاته التاريخيّة

وكان يقطن في مدينة النجف يومئذٍ عالم من أهل السنّة ولديه دار في الكوفة وكان ذلك العالم السنّي يتمتّع بمنزلة رفيعة لدى أبناء مذهبه، حتّى أصبح منزله في النجف مركزاً يجتمع فيه أهل السنّة علماء ومن عموم الطبقات الاجتماعيّة.

وكان متضلعاً في العديد من العلوم، وخبير في عقائد الاماميّة والمذاهب الاخرى ويعد من أبرز مرجعيّات أهل السنّة على اختلاف مذاهبهم.

وشاء القدر أن يلتقي العالمان وجهاً لوجه وكان كلاهما قد سمع بنبوغ صاحبه العلمي.

وهكذا بدأت سلسلة من الحوارات في العقيدة وفي الفقه والقرآن.

وذات يوم وصل الحوار إلى نقطة حسّاسة وهي بحث مسألة «المذهب الحقّ» وبسبب تعقيدات هذا الموضوع اتّفقا على عقد سلسلة من اللقاءات وهكذا تمرّ الأيّام والعالمان يلتقيان في أوقات دوريّة محدّدة وخلال الجدل المحتدم كان كلّ منهما يستدل على حقّانيّة مذهبه ويستشهد بوقائع تاريخيّة معيّنة.

احياناً كانا يتمشّيان في مقبرة وادي السلام[1] ويتحدّثان وللاستراحة يجلسان قليلاً في زاوية من الزوايا، ويستمرّ الجدل ويستمرّ النقاش وكلّ ينافح عن عقيدته بقوّة واصرار وعناد حتّى دخل الجدل مرحلة ساخنة

---

١. أكبر مقبرة في العالم على الاطلاق تشتمل على أكثر من ثلاثة ملايين قبر، في طليعتها قبر النبي صالح والنبي هود ـ المترجم.

وشعر الجانبان بالاعياء فاتّفقا على ميثاق شرف يراعي فيه الطرفان الانصاف في الحكم وألّا يصرّان على موقف ما دون دليل محكم وموثق ثمّ ودع كلّ منهما صاحبه وافترقا.

انطلق العالم الشيعي إلى ضريح الامام علي عليه السلام لأداء الزيارة وصلاة المغرب والعشاء.

وفي هذه المرّة جلس العالم في زاوية تحت القبّة الطاهرة وراح يخاطب الامام قائلاً: يا سيّدي ويا مولاي أسأل الله أن ينصرني في هذه المناظرة وأثبت حقّانيّة مذهب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وطفرت من عينيه الدموع وهو يقول: أنت تعلم كم اودّكم يا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة فاعنّي على أن أخرج ظافراً من هذه المناظرة.

وفي الليل عندما أوىٰ إلىٰ فراش النوم راح يتمتم وكأنّه يناجي نفسه قائلاً: سأبقى أتولّى عليّاً وأهل بيته إلى الأبد ان ولاءه يسري في دمي وعروقي وهو عوني في اظهار حقانيّته ومظلوميّته.

هكذا كان يحدّث نفسه حتّى غمضت عيناه فرأى مولاه في عالم الرؤيا.

يقول المرحوم درچئي: رأيت مولاي في تلك الليلة قلت له: سيّدي أنت تدري ما وقع وتعلم ما جرى فدلّني يا أميرالمؤمنين!

فقال له أميرالمؤمنين: أسأله غداً عن قبر السيّدة الزهراء أين؟ فإن كان المكان مجهولاً فلماذا اخفي قبرها؟

يقول المرحوم: فاستيقظت من النوم وفي عيني دموع الشوق وفي

الوقت المقرّر انطلقت إلى موعد المناظرة وقد ملأ قلبي عزم قوي.

قلت لصاحبي: قبل أن نستأنف البحث أُريد أن أسألك سؤالاً!

قال: تفضّل!

قلت: أين قبر السيّدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وذكراه الغالية؟! ولماذا ولأيّ سبب أُخفي قبر سيّدة نساء العالمين؟!

يقول المرحوم: ورأيته وقد سرت رعدة في أوصاله حتّى ظهرت على لسانه إذ انّه أجهش بالبكاء قائلاً:

ـ أخبرني عمّن علمك ولماذا لم تسألني قبل ذلك؟

يقول المرحوم: عندما رأيت هذه الثورة وقد احتدمت في أعماقه شرحت له بالتفصيل عمّا جرى مذ افترقنا بالأمس.

قلت له: لقد ذهبت إلى حرم أميرالمؤمنين وطلبت منه العون، فرأيت مولاي في عالم الرؤيا يقول لي: اسأله عن قبر الزهراء أين؟

ما إن سمع العالم السنّي ذلك حتّى قال: أُقسم بالله انّي لأودّ أهل بيت العصمة والطهر ولقد زاد حبّي لهم وزادت مودّتي.. ولقد كنت بالأمس وأنا أقول بأنّ الحقّ مع علي عليه السلام وعلي عليه السلام مع الحق في كلّ المراحل وانّ حقّه قد صودر في سقيفة بني ساعدة ولو انّهم سلموا بخلافته لعمّت العدالة ولأصبح العالم جنّة.

صحيح انّني ابدو في الظاهر من أهل السنّة ولكن عقيدتي في الحقيقة هي التشيّع ولكنّي لا أحل لك أن تظهر للناس ذلك، وأرجو ألا تخبر أحداً

بقصّة هذه المناظرة واعلم انّ ايماني وولائي لأهل البيت قد أصبح أضعافاً مضاعفة.

نور من وراء الغيب

جاء في كتاب «جرعهاى از دريا» (جرعة من البحر) لآية الله السيّد موسى الشبيري الزنجاني: انّ السيّد الطباطبائي أيّام إقامته النجف الأشرف كانت تأتيه مبالغ ماليّة عليها يعيش فتوقّف وصولها بضعة أشهر ووقع في ضيق من العيش وذات ليلة استغرق في التفكير (أشرنا إلىٰ هذه الحادثة في المدخل) وكان الوقت بعد منتصف ليل شتائي قارس البرد، ماذا أفعل وماذا أقول؟! فجأة علت طرقات شديدة علىٰ الباب، ولمّا فتح الباب وقع بصره علىٰ شخص غريب يرتدي عمامة غير مألوفة حيّاه وقال له: جئت من قبله يقول لك يا سيّد محمّد حسين هل قصّرنا معك طوال ١٨ عاماً لتفكّر «لآن في ترك دراستك».

ثمّ عرّف نفسه قائلاً: «أنا شاه حسين ولي» قال ذلك ثمّ غادر المكان وغاب في ظلمة الليل ثمّ انتبه ليجد نفسه في الغرفة حيث كان يطالع بعض الكتب.

واستغرق في تفكير عميق! وثارت التساؤلات؛ لقد نهضت من مكاني وفتحت الباب ورأيت شخصاً يعرفني ولا أعرفه ويعرّف نفسه قائلاً: أنا شاه حسين ولي!!

ثمّ من يكون شاه (ملك) حسين هذا؟ أو شيخ حسين؟

الذي لا تشبه هيئته الملوك! وإذا كان اسمه شيخ حسين فلماذا تختلف عمامته عن العمائم التي يعتمّ بها الشيوخ ثمّ ما معنى الثمانية عشر سنة، إذا كان يقصد مدّة الاقامة في النجف فهي لا تتعدّى العشر سنوات؟ وإذا كان يقصد مدّة الدراسة الدينيّة فهي أكثر من ثمانية عشر سنة!

ثمّ انتبه السيّد الطباطبائي انّه قد مرّ ثمانية عشر سنة على ارتدائه العمّة الخاصّة بطلبة العلوم الدينيّة.

يقول السيّد الطباطبائي بعد عودتي إلى تبريز ذهبت إلى المقبرة بعد صلاة الفجر لقراءة سوة الفاتحة وكنت قد اعتدت عى الذهاب إلى مقبرة وادي السلام والتمشي هناك بعد أداء صلاة الفجر.

لهذا ذهبت إلى المقبرة فلفت نظري قبر أعلى من القبور المجاورة له، قرأت شاهدة القبر فاذا اسمه شاه حسين ولي وقد توفي ثلاثمئة سنة!

هذه الحكاية رواها حجّة الاسلام السيّد الموسوي الهمداني مترجم الميزان إلى اللغة الفارسيّة وكان يقيم في دماوند[1] في ضواحي طهران وكان قد سمعها من العلّامة الطباطبائي.

ذكريات حول العلّامة الطباطبائي

الجميع يعرف العلاقة الوطيدة بين الشهيد مطهّري والعلّامة الراحل ولقد كان الشهيد يعتبر السيّد الطباطبائي استاذه ومعلّمه.

وكان الشهيد مطهّري يرافق العلّامة في الكثير من أسفاره، حتّى عندما

---

١. أعلى قمة في إيران يبلغ ارتفاعها ٥٧٠٠ متر وهي مكللة بالثلوج دائماً ـ المترجم.

انتقل الشهيد مطهّري إلى طهران فقد ظلّ على تواصل واتّصال مع العلّامة.

وفي كلّ مرّة يزور فيها السيّدة المعصومة يجد لزاماً عليه لقاء العلّامة وقد شهدت أغلب لقاءاتهما وشهدت مدى تواضع الشهيد مطهّري في محضر العلّامة ومدى سرور العلّامة بحضور الشهيد وعادة ما يجري حوار علمي بينهما حيث يطرح الشهيد بعض الأسئلة ويصغي إلى أجوبة العلّامة.

ومن المؤسف انّه لم يتمّ تسجيل هذه اللقاءات بين هاتين الشخصيّتين العلميّتين فقد كان الشهيد مطهّري التلميذ المبرز للعلّامة.

ولم يكن اللقاء يقتصر على قضايا الفكر والعلم وإنّما يشمل قضايا عائليّة وهموم شخصيّة.

انّني مازلت أتذكّر الجوّ الحميمي الذي كان يسود اللقاءات.

ذات يوم سرد الشهيد مطهّري على العلّامة رؤياه التي يبدو انّها أوردها في واحد مؤلّفاته قال: في شهر محرّم أحد الأعوام قرّرت ألّا أصعد المنبر وأجلس في المنزل لاتمام تأليف كتابي، مرّت بضعة أيّام من المحرّم وفي ليلة رأيت في عالم النوم أبي حزيناً جدّاً فسألته ما هذه الحال؟ فقال:

ـ لماذا اخجلتني هذا العام عند النبي وفاطمة الزهراء والأئمّة المعصومين بتركك المنبر؟!

فاستيقظت من النوم وأنا أشعر بالحيرة؟

اسبغت وضوئي وارتديت ثيابي وانطلقت إلى حرم السيّدة المعصومة فأدّيت الزيارة وعاهدت نفسي انه أوّل من يصادفني ويطلب منّي ارتقاء المنبر ألبّي طلبه!

في الطريق اعترضني رجل محترم يبدو أنّه قروي وقال: هل تأتي معي إلى القرية فتصعد المنبر؟ فقلت على الفور:

ـ نعم!

فقال: هيابنا!

فرافقته وصعدنا في السيّارة ووصلنا إلى احدى القرى في الضواحي في قرية من قرى «كهك»[1].

وفي الطريق قلت له: عندي شرطان! الأوّل انّي لا آخذ أيّ مبلغ من المال لقاء منبري! والثاني أن توفر لي غرفة أتفرّغ فيها لانهاء تأليف كتابي!

ما إن بدأت الخطابة حتّى انتشر خبر المجلس الحسيني في المناطق القريبة والبعيدة عن تلك القرية، وراح الناس يتوافدون وكان بعضهم مستغرباً كيف يمكن لـ«مطهري» أن يأتي إلى هذه القرية النائية؟

فأخبرتهم عن الرؤيا التي رأيتها في مطلع شهر المحرّم، وكان من لطف الله انّني فرغت من تأليف الكتاب في تلك الغرفة وفي تلك القرية، وكان ذلك من بركات سيّد الشهداء عليه السلام.

---

١. تقع في الضواحي الجنوبيّة للمدينة على مسافة ٣٠كم وكهك مدينة صغيرة تزدان بالخضرة وتمتاز باعتدال مناخها وتعد مصيفاً جميلاً، اطلق عليها بعد انتصار الثورة اسم «نوفل لوشاتو» احياء لذكرى اقامة الامام الخميني رحمه الله في نوفل لوشاتو في ضواحي باريس في الشهور الأخيرة قبيل عودته إلى أرض الوطن من أبرز معالمها الأثريّة «منزل ملّا صدرا» أو صدر المتألّهين حيث ألّف هذا الفيلسوف كتابه الشهير في عزلته «الأسفار الأربعة» إلى جانب وجود معاصر الزيت التي يعود تاريخها إلى بضعة قرون ـ المترجم.

آية الله جوادي آملي

نشرت جريد كيهان في عددها الصادر يوم الثلاثاء ٢٤ آبان ١٣٦٢ هش ملحقاً خاصّاً بمناسبة الذكرى الثانية لرحيل العـلّامة الطـباطبائي حـيث اجرى موفدها لقاءً مع آية الله جوادي آملي قال فيه الأخير:

ـ لقد تمكّن (العلّامة الراحل) من خلال كتابيه القيّمين: «القرآن فـي الاسلام» و«الشيعة في الاسلام» من تعريف الاسـلام وخـاصّة التشـيّع للعالم الغربي وأن ينقل الفكر الإسلامي إلى الغرب، وذلك عندما طرحت قضيّة الامامة وعندما طرحت العقيدة الشيعيّة بوجود (العـلّامة الراحـل) ضرورة وجود الانسان الكامل إلى زمن القيامة في الفكر الشيعي (الامامي الاثني عشري).

يقول المرحوم الاستاذ العلّامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه: انّ البروفيسور «هنري كوربان» ذكر لي انّه طرح هذا الموضوع في مؤتمر غربي حول وجود الانسان الكامل فـي عـصر ليكـون واسـطة الفـيض (الالهي) والعلاقة بين الخالق والخلق، فـوجئ المـؤتمرون بـهذا الفكـر الجديد ودفعهم للتأمّل.

وعليه فانّه (السيّد الطباطبائي) تمكن من تـعريف الاسـلام وخـاصّة التشيّع وفكره التحرّري لعالم الغرب من خلال مؤلّفاته ومن خلال تربية تلامذته.

في مأتم الحبيب ورفيق الدرب

تشرفت بلقاء آية الله الشيخ إبراهيم الأميني وتطرق الحديث إلى ذكرياته عن العلّامة الراحل فقال:

بعد وفاة زوج العلّامة رحمها الله وانتهاء مراسم التشييع والصلاة ومواراتها الثرى رأيت العلّامة ينتحب باكياً وكان حزيناً جداً ومفجوعاً.

تقدّمت إليه وقلت: يا سيّدنا أنت توصينا بالصبر في المصائب فلماذا هذا النحيب؟

فقال وهو يذرف الدموع: نعم يا سيّد أميني انّ موضوع الصبر في المصائب صحيح لكن دعني اذكر شيئاً عن سلوك هذه السيّدة المحترمة لم أر مثلها في ادارة شؤون البيت وكانت تتعاون معي إلى أقصى الحدود وكانت تعرف مدى حساسيتي أثناء التأليف والكتابة، فكانت تهدّىء الأطفال حتّى لا يتشتّت تفكيري.

وكانت تعرف مدى حبّي للشاي ولذلك فانّها تفتح باب الغرفة بهدوء وتحمل لي كوباً من الشاي الساخن وتمشي على أطراف أصابعها فتضع الكوب بهدوء وتأخذ الكوب الفارغ واحياناً تجد كوب الشاي السابق بارداً فتحمله وتخرج بهدوء وصمت كما دخلت.

وطوال كلّ هذه السنين لم تطلّب مني شيئاً حتّى في أحرج الظروف سواء عندما كنت في النجف أو في تبريز أو في قم.

يا سيّد أميني ألا تستحق هكذا سيّدة الشعور بالفجيعة؟! لقد فقدت

رفيقة درب وشريكة حياة.

من أجل ذلك عوضه الله سبحانه عنها بامرأة جليلة القدر هي السيّدة «روزبه» أُخت السيّد «روزبه» وكانت هذه المرأة خدومة للغاية وطيّبة للغاية رافقته إلى آخر عمره رضوان الله عليه.

وكان شقيقها من الفضلاء الوجهاء وهو الذي أسّس مدرسة «علوي» ومدارس أُخرى في طهران، وكان على استعداد للذهاب إلى نقطة نائية في إيران من أجل نشر الثقافة الإسلاميّة، فقد عاش هم ثقافة الاسلام في ظل نظام كان يحاربها ويسعى إلى تقويضها.

فجاء تأسيسه لهذه المدارس التي تركز على الثقافة الاسلاميّة والفكر الاسلامي.

وقد آتت مشاريعه ثمارها بعد انتصار الثورة الاسلاميّة حتّى انّ العديد من خريجي المدرسة أصبحوا من كبار المسؤولين في نظام الجمهوريّة الاسلاميّة وكوادرها الثقافيّة المتقدّمة.

توفّي الفاضل «روزبه» ودفن في «قبرستان نو»[1] (المقبرة الجديدة) إلى جوار قبر الحافظ كربلائي كاظم واحياناً يوفّقنا الله لزيارة قبره سائلين الله أن يوفّقنا على السير في طريقه.

ومن كرامات هذا الرجل ما ورد في كتاب «آنچه شنيدم» (ما سمعته) في ص٣٤١ على لسان الحاج الشيخ حبيب الكاظمي: اصيب السيّد

---

١. تقع في غرب «النهر» الجاف مقابل ضريح السيّدة معصومة تقريباً ـ المترجم.

روزبه بوعكة صحيّة الزمته الفراش فدعا الله سبحانه متوسّلاً بجاه الامام الرضا عليه السلام، فرأى في عالم المنام انّه يزور الامام الرضا عليه السلام وامـامه يـأمره بزيارة ضريح الامام أميرالمؤمنين فـي النـجف الأشـرف، فـامتثل لذلك وسافر إلى النجف وزار قبر الامام أميرالمؤمنين عليه السلام وفي تلك اللـيلة رأى أميرالمؤمنين في عالم الرؤيا يعطيه قطعة لحم ويقول له: ضعها في الشاي وسطها حتّى يصبح خلّا ثمّ اشرب منه تشفى من علّتك.

ولمّا استيقظ من النوم وجد في كفّه قطعة لحم، فقام بما أُمر به وشفي وكان رحمه الله يعطي مقداراً منه لبعض المرضى فيشفون ببركته.

البشارة

في يوم وفاة المهندس السيّد عبدالباقي الطـباطبائي (نـجل العـلّامة) التقيت آية الله الأميني فحدّثني عن العلّامة ذكر له مرّة ان زوجه كانت في فترة الحمل تتعرّض لاسقاط حملها وبقينا سنيناً دون ولد وذات ليلة زارنا آية الله السيّد علي القاضي رحمه الله (أُستاذ العلّامة) فلمّا نهض ليخرج قال لي: ان ابنك يبقى هذه المرّة فسمه عبدالباقي (مع أنّ السيّد القاضي لم يكـن يعرف بأن زوج العلّامة كانت حاملاً) وشاء الله سبحانه أن يكتمل الحمل ويولد الطفل ذكراً فأسميناه «عبدالباقي».

وحدّثني آية الله الأميني في مجلس آخر قائلاً:

ـ زرت العلّامة الطباطبائي ذات يوم في منزله وكان في حوار عـلمي يسأل فيجيب، فاستأذن شخص في الدخول وكان ظاهره يوحي بأنّه من

تجّار السوق في طهران أو تبريز ومن مريدي العلّامة، فجلس في حضرته وسلّمه مبلغ ٢٥٠٠٠ تومان على انّه سهم الامام، فلم يقبل العلّامة تسلّم المبلغ وقال: أنا لا أصرف سهم الامام (في تمشية حياته المعيشيّة) فأصرّ التاجر وقال اصرفها في الوجه الذي تشاء.

يقول الأميني وكنت أعرف الظروف الصعبة التي يمرّ بها العلّامة يومذاك وقد كان في أمس الحاجة للتومان الواحد ومع ذلك رفض المبلغ لأنّه لم يكن على استعداد أن يعيش على «سهم الامام».

الشهادة

الشهور الاخير من عمر العلّامة الراحل كانت مريرة وكنت كلّما زرته وتشرّفت بلقائه اشعر انه في عالم آخر، جسمه ماثل أمامنا وروحه السامي في عالم آخر.

وفي تلك الفترة عزمت على حج بيت الله الحرام فأردت لقاءه وتوديعه، وكان يسكن في احدى قرى «دماوند» فسافرت إلى طهران من أجل ذلك.

استأذنت في الدخول وجلست انتظر في غرفة قرب باب المنزل.

جاء العلّامة بعد دقائق وحيّاني ورحّب بقدومي ثمّ اطرق واستغرق في صمت عميق، فجأة رفع رأسه وقال:

ـ أين شيخ جعفر؟

تصوّرت انّه يقصد آية الله الشيخ جعفر السبحاني، فقلت:

ـ موجود في قم!

لماذا سأل هذا السؤال وماذا كان يمرّ في خلده؟ لا أدري!

وجدت فرصة مناسبة لأطرح هذا السؤال:

ـ لماذا يقال للشهيد شهيداً لأنّه في ميدان الجهاد والصراع؟

فقال:

ـ لا! لا اسمى (من ذلك) لأنّه حاضر (شاهد) في مقام صعود الأعمال.

ثمّ عاد السيّد الطباطبائي إلى صمته المهيب، أردت كسر حالة الصمت فتحدّثت ولم أكن أعرف هل كان يصغي أم لا؟!

بعد لحظات نهض وغادر الغرفة عائداً إلى الداخل وهو يقول:

ـ بستان جميل! ألا تريدون التفرّج عليه؟ قلت: نعم، وتصوّرت انه نسي الموضوع ولكن بعد مرور لحظات جاءت زوجه المحترمة وقالت: انّ السيّد ينتظركم في البستان.

غادرت الغرفة ورأيت العلّامة يتمشى في البستان وقد ارتدى عباءته واعتمّ بعمامته.

تمشّيت معه خطوات وتوقّف أمام شجرة كرز كانت محمّلة بثمار الكرز كانت حبّات الكرز تتألّق ببهاء.

جاء البستاني وألقى تحت الظلال الوارفة فراشاً ودعانا إلى الجلوس.

جلس العلّامة وجلست في حضرته وبعد قليل احضر البستاني طـبقاً من الكرز كان قد قطف عناقيده وغسلها بماء عذب بارد زلال تشتهر به هذه المناطق على سفوح «دماوند» تناول العلّامة بضعة حبّات وأنا أيضاً، وفي الأثناء قلت له:

ـ سيّدي أُريد الذهاب لحجّ بيت الله وزيارة قبر رسول ا ﷺ والدعـاء لكم هناك.

أطرق برأسه مستغرقاً في فكر عـميق، هـذه الحـالة تـثير تسـاؤلات الكثيرين! لماذا يقال انه مصاب بـالنسيان وإذا كـان كـذلك فـما مـعنى أجوبته؟

انتهى اللقاء وغادرت المكان عائداً إلى قم والاستعداد لرحلة الحجّ.

الرؤيا العجيبة

في رحلتي لحج بيت الله وفي ليلة عرفة اتّجهنا إلى المشعر، عـلى أن نذهب صباح غد إلى صحراء عرفات في اخريات اللـيل غـفوت قـليلاً فرأيت رؤيا عجيبة.

رأيت مسؤول الحملة يقول لي:

ـ هل تعلم بأنّ العلّامة الطباطبائي تشرّف بالحجّ؟

قلت: لا!

قال: تقدّم لآخذك إليه وفي الطريق رأيت فلاة واسعة جداً وفي زاوية

من تلك الفلاة الجرداء رأيت حائطاً طينياً جميلاً للغاية التفت إليّ رئيس حملة الحج وأشار إلى الحائط وقال: هنا بستان كبير.

رأيت أشجاراً باسقة وأنهاراً جارية وأشخاصاً يعملون.

وكلّما تقدّمنا كانت الأشجار تزداد طولاً حتّى وصلنا إلى آخر شجرة متدلّية الأغصان لكثرة ثمارها.

ورأيت في وسط البستان بناية مستديرة غاية في الجمال متعدّدة الأواوين ورأيت العلّامة واقفاً في أحدها قد شبك يديه وراء ظهره ينظر إلى الأشجار الباسقة.

انتبهت من النوم قبيل الفجر وقد حيّرتني الرؤيا وتصوّرت انّه قد توفي!

وفرغت من أداء مناسك الحجّ وعدت إلى إيران وبعد أيّام ذهبت لزيارة العلّامة في مكان اقامته في «دماوند».

رأيته جالساً على فراشه مرتدياً «جليقة خاصّة» وإلى جانبه الحاج يحيى البرقعي، حقيقة كان البرقعي يكنّ للعلّامة حباً كبيراً، جلست في حضرة السيّد وحدّثته بشأن الرؤيا فابتسم قائلاً:

ـ رؤيا خير!

بعد أيّام تعرّض لانتكاسة صحيّة فنقل إلى مستشفى الگلپايگاني رحمه الله.

أحياناً كنت أذهب لعيادته في المستشفى، ذات مرّة وعندما ذهبت قالت زوجه: حسناً فعلت بقدومك أرجو أن تبقى مع السيّد ريثما اذهب

للصلاة فقد يستيقظ وينزع المغذّي عن وريده!

لقد فعل ذلك في المنزل قبل نقله إلى المستشفى وكانت زوجه وحدها وفي الأثناء وصل السيّد الأنصاري الشيرازي.

ما يحز في النفس أن تكون شخصيّة علميّة بهذا المستوى الرفيع تعاني من الوحدة في مثل هذه الظروف، لم يكن يرافقه سوى زوجه التي لم تكن تفارقه لحظة حتّى انها تنتظر زائراً يزوره أو صديقاً يعوده، فتطلب منه المكوث حتّى تؤدّي فريضة الصلاة!

الذي يحز في النفس أكثر أن أحد الفضلاء نقل إلى نفس المستشفى وفي ردهة قريبة فخصصت له وحده مع حرس وخدم وامكانات وخدمات.

بينما كان العلّامة يعيش غربته وحيداً!

بعد يومين أغمض عينيه ورحل وغادر عالم الفناء.

آية الله الأميني كان يتحدّث عن هذه الأيّام بأسى ومرارة وأسف عميق وتصوّرت انه إذا كتب يوماً ذكرياته فانه لابدّ وأن يتطرّق إلى ذكر هذه الأيّام المريرة.

وهذا ما حصل فقد صدر كتاب «خاطرات» (الذكريات) وتضمّن اشارات قويّة إلى تلك الأيّام ولمصلحة ما تمّ حذف الاشارة إلى تواجد أحد الفضلاء حيث تمتع برعاية خاصّة وحرس وخدم و...

وأورد الأميني في كتابه الاشارة إلى التأثير الذي احدثه العلّامة في نفس البروفيسور «هنري كوربان» واعتناقه الاسلام وتشيّعه.

ان شخصيّة مثل كوربان ما كان لها أن تختار الاسلام ديناً لولا تأثرها بروح العلّامة وصفاته ومجده الأخلاقي الكبير.

ابن الرضا

قبل أن أذكر ما تحدّث به آية الله السيّد مهدي ابن الرضا أرى من المفيد أن أعرج على ديار «خونسار» مدينتي ومهد الذكريات، المدينة التي احتضنت وربّت رجال العلم والفقه والاجتهاد ومراجع الدين، مدينة الفنون واحدى مراكز الحضارة الاسلاميّة واحياء آثار أهل البيت.

وتشهد الحوزة العلميّة في اصفهان على وجود أكثر من أربعمئة طالب وعالم خونساري يعيشون في اصفهان وأصبح بعضهم مراجع تقليد ورجال علم يشار إليهم بالبنان، فكانت خونسار في فترة ليست بالبعيدة كوكباً ساطعاً في سماء التشيّع.

وكانت أُسرة ابن الرضا هي محور هذه النهضة في تأسيس حوزة «ولي العصر عجّل الله تعالى فرجه العلميّة وحسينيّة تخرج منها جيل من علماء الدين.

في ذي القعدة عام ١٣٩٣ هـ. ش ١٤٣٥ هـ ق وبمناسبة ذكرى الميلاد السعيد لعالم آل محمّد ثامن حجج الله على عباده علي بن موسى الرضا عليه السلام وفقنا الله عزّوجلّ للزيارة بحضور والدتي المكرّمة وأخي الكريم الحاج حميد واخواتي المحترمات وكانت رحلة وزيارة مباركة.

وفي تلك الرحلة التقيت السيّد مهدي ابن الرضا وأبناءه المحترمين في

حسينيّة «مهديان» اضافة إلى آية الله كريمي جهرمي وكان الخطيب في تلك الفترة.

وفي احدى الليالي تحدّثت مع السيّد ابن الرضاوأخبرته بأنّني بصدد الاعداد لكتاب حول السيّد الطباطبائي ورأيت ان من الضروري مفاتحتكم واضافة ذكرياتكم معه رضوان الله عليه فقال: ليست لدي ذكريات كثيرة عن السيّد ﵀ سوى دراستي الأسفار في حلقته اضافة إلى حضوري دروس التفسير التي كان يلقيها في «مسجد سلماسي» بقم واذكر انّني درست عنده تفسير سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف و... وكان رضوان الله عليه في تلك الفترة مستمراً في تأليف تفسير الميزان.

جدير ذكره انه كان في أيّام الدراسة واينما يصل في (التدريس) فانه يقوم بالتأليف.

وأشار ابن الرضا بعد الاطّلاع على الحوار الذي جرى في اصفهان ان أجوبته رضوان الله عليه موجودة في الغالب في «الميزان».

لهذا فان من يريد التحقيق في ذلك يمكنه أن يجد تفاصيل أكثر في «تفسيره» خاصّة القضايا المطروحة التي قد يصعب ادراكها من قبل الكثيرين.

رأس المال ثلاثون ريال!

وفي اللقاء نفسه تحدّث ابن الرضا عن تأسيسه حوزة «ولي العصر»

العلميّة، قائلاً ان ذلك يعود إلى ليلة مباركة (١١ ذي القعدة مولد الإمام الرضا عليه السلام) بين الأعوام ١٣٤٥ ـ ١٣٥٠ هـ ش (١٩٦٦ ـ ١٩٧١م) وكان كلّ ما كنت أملكه ثلاثين ريالاً فقط[١].

اشترى ابن الرضا قلما بـ ٢٧ ريال و٣ أوراق بريديّة مع طابع بـ ٣ ريالات! لاعداد النظام الداخلي الخاص بالحوزة.

وكان ابن الرضا قد حصل على عدد من النظم الداخليّة لعديد من المؤسّسات والمدارس الدينيّة طالعها بدقّة ومن خلال ذلك كتب النظام الداخلي «حوزة ولي العصر» على نحو لا تعترض عليه مؤسّسات النظام السابق.

وفي تلك الفترة كنت سمعت من السيّد «مناقبي» انّ العلّامة يسافر إلى طهران لالقاء محاضرات لعدد من كبار الحقوقيّين (١٠ حقوقيين) في البلاد، لذا قررت المشاركة والحضور في تلك اللقاءات.

لذلك اصطحبني العلّامة وذهبنا إلى طهران وتحديداً إلى منزل السيّد «ذوالمجد» الذي يقع في شارع «بهار» (الربيع) وفي بداية اللقاء قدّمني العلّامة للحضور وأشار إلى تأسيسي الحوزة العلميّة.

وتحدّثت إلى السادة الحقوقيين عن النظام الداخلي للحوزة ثمّ وضعت نسخة بين أيديهم.

وفي اللقاء التالي دار البحث حول النظام الداخلي للحوزة ووجهت إليّ

١. يساوي التومان الواحد ١٠ ريالات ـ المترجم.

بعض الأسئلة حول «رأس المال» والميزانيّة وكانت أجوبتي «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» فكان الجوّ السائد انه لا أمل بظهور هذه الحوزة إلى النور لأنّ المشروع يفتقر إلى مقوّمات النجاح.

تبادل الحضور نظرات ذات معنى لا توحي بأيّ أمل؛ الشخص الوحيد الذي يبتسم كان هو العلّامة رضوان الله عليه قال متحمّساً:

ـ ان هذه المؤسّسة والحوزة قد تأسّست وانتهى الأمر.

وكان مراده ﵀ انّ المشروع يستند إلى حول الله وقوّته وهذا ما حصل فقد اثنىٰ العلّامة وقتها على النظام الداخلي واسندت ادارة الحوزة والاشراف عليها إلى آية الله العظمى الحاج السيّد أحمد الخونساري.

كرامة

وفي نفس اللقاء تحدّث نجل ابن الرضا السيّد محمّد فقال:

ـ في حوالي عام ١٣٦٠ هـ ش ١٩٨١ وقبل شهور من وفاة العلّامة الطباطبائي تشرّفت بزيارة الحرم الطاهر لثامن الحجج الامام الرضا ﵇ جلست إلى الضريح ورحت أُناجي الامام بقيّة الله الأعظم عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

لا أدري هل كنت بين اليقظة والنوم عندما طلبت من الامام رؤية أحد أولياء الله وقد دمعت عيناي شوقاً.

مرّت دقائق وإذا أنا أرى الدكتور «مناقبي» وبعد السؤال عن الأحوال

قال: لقد جئت بمعيّة سيّدنا العلّامة الطباطبائي فسألت عن امكانيّة لقائه؟

قال: نعم غداً في الساعة الحادية عشرة يمكنك زيارته في محلّ إقامته.

وتشرّفت بلقائه في الوقت المقرّر سألته بعض الأسئلة فأجابني وعند الوداع قلت له: عظني يا سيّدنا!

ـ انّ الله تعالى يقول: «فاذكروني أذكركم».

وذكر الله سبحانه أن تدرك ان الله سبحانه شاهد وناظر وحاضر وهو وحده المؤثر في العالم فاستعن به وحده واطلب العون منه، فانّ الله لا ينساك وسوف يعينك.

وعندما يأتيك العون من أحد فهو من الله فهو مصدر جميع الكمالات طبعاً هذا وعد الهي على نحو الشرط والجزاء وقد قال سبحانه: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَاد**﴾.

شعرت بأن كلمات السيّد قد نفذت إلى قلبي وغمرني خشوع فأدركت انّ الله سبحانه قد استجاب دعائي في لقاء أحد أوليائه المتّقين.

وهنا أضيف (الحاج أنصاريان) فأقول: حقّاً انّ العلّامة كان من أولياء الله وان ادراك هذه الحقيقة يتطلّب الاطّلاع على ابعاد شخصيّته العلميّة والروحيّة والأخلاقيّة.

يقول ابن الرضا في نفس هذا اللقاء:

اذكر انّ الدكتور مناقبي قال للعلّامة عندما عرّفني لديه: انه من أهالي «خونسار» ولذا تطرق الحديث فذكر آية الله العظمى الحاج السيّد أحمد الخونساري فقال الدكتور: انّ آية الله الخونساري ألّف وهو في التسعين

من عمره كتاب «العقائد الحقّة» فقال العلّامة مستبشراً:

ـ «انه شامخ كالجبل شامخ كالجبل».

كان العلّامة في ذلك اللقاء مصاب بالرعاش حتّى انه كان يرتشف الشاي بصعوبة ومع ذلك فانه لا ينفك يسير ماشياً لزيارة حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام يجرجر قدميه وحيداً فلا يجد أحداً يساعده، تغمّده الله برحمته الواسعة ورضوانه وغفر لنا جميعاً.

مصباح

كنت مشغولاً بجمع ذكرياتي عن العلّامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه فخطر على ذهني لقاء آية الله مصباح، وشاء القدر أن يتم اللقاء في مجلس قراءة الفاتحة على روح المرحوم آية الله الشيخ يحيى أنصاري شيرازي.

تحدّثت إليه حول الموضوع وكان سماحة الشيخ مصباح قد كتب مقالاً بمناسبة رحيل العلّامة «يادنامه» فرأى اعتماده والاقتباس منه قدر المستطاع يقول الشيخ مصباح بحقّ العلّامة:

ـ العلّامة الطباطبائي مظهر الوقار والطمأنينة وعزّة النفس والتوكّل والاخلاص والتواضع والحنان وسائر الفضائل الأخلاقيّة؛ تتجلّى في محيّاه عظمة الروح وسطوع القلب والاتّصال بماوراء الطبيعة.

وقد بلغ من المهابة أن تلقي بظلالها على الحاضرين على مجلسه تدفع بالحضور إلى الصمت العميق.

حتّى انّ المرء يتذكّر شعر الفرزدق في الامام السجّاد عليه السلام:

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته

ومن أبرز صفات هذا الرجل الالهي تلك الاستكانة والخضوع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله لقد كان دائم التوسّل إلى عزّوجلّ بهم وكان يتعامل مع الأحاديث الشريفة الواردة عنهم بكلّ اجلال واحترام حتّى الأحاديث المرسلة منها فلا يبدر منه ازاءها أدنى اساءة في الأدب وكان يرى مجده في التشيّع لهم صلوات الله عليهم

ومع تفوقه في الفقه والأُصول الّا انه وجه جهده العلمي صوب تفسير القرآن الكريم والفلسفة فقد رأى ان الظروف التي تمرّ بها الحوزة العلميّة والمجتمع تتطلّب منه التركيز على هذا الجانب.

بعض ما قاله الشيخ مصباح:

كان العلّامة الطباطبائي يتمتّع بروح الاصلاح في سلوكه.

يقول الشيخ مصباح:

١ ـ كان (رضوان الله عليه) لا يتعرّض إلى آراء الآخر بالنقد المباشر ولم أذكر ولو مرّة واحدة انه قال: لقد قمت بحلّ المسألة الفلانيّة وانّ الآخرين عجزوا عن حلّها.

حتّى عندما يشكل على بعض القضايا بصورة قطعيّة فانه يطرح الاشكال بهدوء تام نابع من تواضعه ولذا فانك لا تجد حتّى في مؤلّفاته اعتراضاً صريحاً على رأي ما بل أنه يقوم باجراء مقارنة بين الآراء وتوثيق ما يقول بالمصادر.

٢ ـ لقد رأيته وهو في سن السبعين يبحث في الأزقة عن دار للايجار.

٣ ـ ومن تواضعه الشديد أنه يجيب بعض السائلين: «لا أعلم» وعند ما يجيب فانه يقول: «هكذا يبدو».

انس العلّامة بآية الله البهجت

عندما كنت بصدد البحث عن ذكريات للعلّامة الراحل اتّصلت بالشيخ علي آقا بهجت نجل آية الله بهجت أعلى الله مقامه الشـريف مـن أجـل اجراء حوار حول ذكريات والده المرحوم مع العلّامة الطباطبائي فقال:

ـ تعود علاقة والدي مع المرحوم العلاّمة الطباطبائي ﵀ على ما روى لي إلى فترة اقامة الوالد في كربلاء.

وكان العلّامة عندما يذهب لزيارة العتبات المقدّسة في كربلاء يسكن عند أخيه آية السيّد حسن الهي في مدرسته، وهناك تمّ اللقاء بين الوالد والسيّد الطباطبائي.

وتوطدت العلّامة بينهما في النجف الأشرف عندما غادر الوالد كربلاء إلى النجف فكانا زميلين في حلقة درس سيّد العرفاء السيّد القاضي.

وعندما عاد العلّامة مع شقيقه إلى تبريز بقي الوالد يراسلهما وذكر الوالد انه كان يأنس بالعلّامة غاية الأنس وكان كثيراً ما يزوره في منزله، وحينها كان نجل العلّامة السيّد عبدالباقي طفلاً صغيراً يستقبلنا بفرح وذات مرّة قال العلّامة: عندما ذهبتم بكىٰ عبدالباقي؛ حقاً الانسان من الأنس!

وكنّا نحن (أبناء آية الله بهجت) ندعوه بـ «عمو» واحياناً كنّا نمازحه ويمازحنا قال لوالدي مرّة يمازحه: لماذا أنتم الرشتيّين رؤوسكم عموديّة من الخلف؟

فقلت له: أنا لست رشتيّاً أنا فومني[1] كما ان رأسي ليس عموديّاً من الخلف!

قلت له (الحاج أنصاريان): العلماء قديماً يطلقون على جميع مناطق الشمال الايراني المتاخمة لسواحل بحر الخزر يعني محافظتي گيلان ومازندران اسم «رشت» وكلّ سكان تلك المناطق الشماليّة يعتبرونهم رشتيّين.

واذكر ان أحد فضلاء الحوزة يقول عن زميل له انه «رشتي» مع ان زميله هذا من مدينة «آمل» فيقال له: يا رجل أين رشت من آمل وأين آمل من رشت؟

فيقول: لا فرق كلاهما سواء!

يقول نجل آية الله بهجت: مع تفوق العلّامة الطباطبائي العلمي واجتهاده فقد عاش مجهولاً.

واذكر ان السيّد عبدالباقي واجه مشكلة في قضية ما وامتثل أمام القاضي الذي سأله من تقلّد؟

---

١. تكتظ فومن في شمال إيران بالغابات الكثيفة، كانت هذه الغابات مسرحاً لثورة الغابة (١٩١٤ ـ ١٩٢١) بقيادة الثائر الشهير ميرزا كوچك ـ المترجم.

فقال نجل العلّامة: اقلد والدي!

قال القاضي: وهل أنّ والدك ملمّ بالفقه؟

لقد صنعوا جوّاً جعل من قاضي العدل يجرؤ على مقام العلّامة بهذه الوقاحة! مع انّ العلّامة كان المبرز بين زملائه والمتفوّق عليهم.

يضيف نجل آية الله بهجت: كان العلّامة يتمتّع بخطّ جميل وقد أسهم في استنساخ أبواب في كتاب الشفا وكان ما يزال مخطوطاً.

ثمّ قال: سمعت من الوالد المكرّم: انّ العلّامة عزم مع أخيه على السفر إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العبّاس عليه السلام وكانا قد وفرا مبلغاً من المال لنفقة السفر ثمّ قرّرا أن يتبرّعا بالمال إلى استاذهما «السيّد حسين البادكوبي» وقالا: انّ في اهداء المال إليه نكسب ثواب الزيارة لأنّه بأمسى الحاجة للمال

وهذا يعكس وفاءهما واخلاصهما لاستاذهما وتكريمهما لمنزلة الاستاذ في منظومة التعليم في الحوزة؛ يذكر ان الاستاذ حسين البادكوبي كان ثرياً في موطنه «بادكوبه» ولكن البلاشفة صادروا ممتلكاته وجاء النجف فقيراً.

وروى نجل آية الله بهجت عن والده انه كان زميلاً للعلّامة في درس السيّد القاضي وكان العلّامة كثير السؤال والاشكال وكان السيّد الحكيم (السيّد محسن الحكيم) يحضر الدرس احياناً إلّا انّه كان يلتزم الصمت ويكتفي بالاصغاء إلى أسئلة العلّامة وأجوبة السيّد القاضي وكان الأخير ربما أجاب تلميذه بحدّة على الرغم من حبّه إيّاه.

العقلانيّة في سلوك العلّامة

ويروي نجل آية الله بهجت عن نجل السيّد القاضي انّ والده الجليل (القاضي): انّ الطباطبائي بقي على أعتاب الباب قد منعه العقل من الحركة لا إلى ذلك الجانب ولا إلى هذا الجانب.

وقد سمعت ما يشبه هذا بتعبير آخر ومن زاوية أُخرى في مشهد من السيّد البلخي وهو من العرفاء ومن أصحاب العلوم الغريبة (ربما تعود هذه الذكريات إلى أيّام الشباب في حياة العلّامة عندما كان في النجف الأشرف (قدم العلّامة النجف في العشرين وغادرها بعد عشر سنين).

ومن ذكريات آية الله بهجت ان الطلبة في النجف الأشرف (طلبة السيّد القاضي) كانوا يأتمون بالعلامة اذا تغيّب السيّد القاضي عن الحضور للصلاة يقول آية الله بهجت: اذكر انه كان يقرأ في السجدة الأخيرة من كلّ صلاة: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمٰوٰاتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾.

ومن ذكرياته أيضاً: انّ العلّامة كان يقيم مجلساً حسينيّاً في منزله ليالي الخميس (في النجف الأشرف) وكان السيّد الخوئي يحضر تلك المجالس.

واذكر انّ بحثاً كان يدور في تلك المجالس حول الاستصحاب التعليقي وقد بقي العلّامة مصراً على رأيه ومن المحتمل أن يكون هو المصيب

واذكر ان المرحوم الاصفهاني الكمپاني قد فقد بحثه في الاستصحاب فكان يبحث عمّن قرّر دروسه من بين طلبته فكان العلّامة الطباطبائي، فطلبه منه، ولعلّ البحث المطبوع عن الاستصحاب هو تقارير العلّامة الطباطبائي.

وكان الكمپاني قد سأل السيّد الخوئي عن مستوى العلّامة ومقامه العلمي ربما لمنحه «الاجازة» (شهادة حوزويّة) فأجاب السيّد الخوئي: «متجزّئ» (غير ان السيّد بهجت يبتسم) ويقول: ليس بأدنى من السيّد الخوئي[1].

ومن الذكريات عن العلّامة الطباطبائي ان أحد فضلاء الحوزة كانت لديه شبهات حول «علم الامام» (المعصوم) فخطر على ذهنه أن يقصد العلّامة الطباطبائي في منزله، فطرق عليه الباب وكان الذي فتح له الباب العلّامة نفسه فقال للطارق: تفضل!

فقال: سؤال حول «علم الامام»!

فقال على الفور: أتذكر يا فلان! في العام الفلاني في المكان الفلاني وقد فعلت ما فعلت؟

ثمّ أغلق الباب وترك السائل في حيرة من أمره انه لا يعلم بما فعله

---

١. ومع كلّ ذلك فما أكثر الاتّهامات التي وجّهت إليه «والعياذ بالله»» لقد كان السيّد الطباطبائي في مستوى المرجعيّة ولكنّه آثر على ذلك دخول معترك الصراع الفلسفي مع التيارات الفلسفيّة الماديّة في زمن وصل فيه الغزو الثقافي لأن تناقش الأدبيّات الماركسيّة في المدن المقدّسة وفي طليعتها النجف الأشرف ـ المترجم.

(قبل سنين) الّا الله! وتبددت جميع الشبهات حول علم الامام أمام الباب.

ـ فهذا السيّد وهو تلميذ في مدرسة أهل البيت علم بحالي! فكيف بالامام المعصوم وحجّة الله البالغة؟!

العلاّمة يودع النجف الأشرف

كنت قد ذكرت (الحاج أنصاريان) في صفحات سابقة ان العلّامة كان يفرّ من الشهرة وذيوع الصيت وكان يميل إلى الحياة في الظل بعيداً عن الأضواء، وقد شهد لعلميّة السيّد الطباطبائي العلماء في الفقه والأُصول ما يجعله في مصاف زعامة الحوزة والمرجعيّة العامّة إلّا انّه كان يعتبرها من حقّ الآخرين وفي هذا درس كبير للجيل الحوزوي الجديد.

يروي آية الله بهجت، انّ العلّامة لما عزم على مغادرة النجف الأشرف قال للسيّد الخوئي على سبيل المزاح:

«اترك لكم النجف وزعامتها وأودعكم».

يقول السيّد الخوئي أردت أن أُجيبه بشيء ولكن لم أفعل (ثمّ يخبر السيّد الخوئي آية الله بهجت بما كان يريد قوله للعلّامة).

غير ان آية الله بهجت أبقى ذلك سرّاً قائلاً: وأنا أيضاً لاأُريد قوله!

وقد أدرك العديدون انّ السيّد الطباطبائي كان مسدّداً في توجهاته، فلم يتّجه لزعامة الحوزة العلميّة فقد كانت حلبة الفقه والأُصول تكتظ برجالات الفقه والأُصول، كما انه لم يخلف السيّد القاضي في دروس

العرفان لأنّ الأخير عين شخصاً آخر هو الشيخ إبراهيم السيستاني الأمر الذي أثار تساؤلات عديدة لأن العلّامة كان أعلى منزلة والمبرز في هذا الدرس!

أجل في تلك الفترة العصيبة كان المجتمع الاسلامي وحتّى الحوزة العلميّة في مهب غزو فكري وكانت المدارس الفلسفيّة الماديّة في أوج قوّتها.

لذلك نذر العلّامة نفسه وسخّر جميع امكاناته العقليّة والعلميّة لمنازلة الفكر المادي والفلسفة الماديّة.

الحريّة

نحن الآن في عالم ٢٠١٤ حيث يحتدم الجدل حول موقف الاسلام من الحريّات الفرديّة والاجتماعيّة في الأوساط الحوزويّة والجامعيّة وفي غمرة هذا المشهد تتجلّى شخصيّة العلّامة الذي تحدّث عن هذا الموضوع المصيري قبل ثلاثة عقود تقريباً.

نشرت مجلّة «مكتب اسلام» الغرّاء في صفحاتها في العددين العاشر والحادي عشر وبمناسبة رحيل العلّامة الطباطبائي مقالاً تحت عنوان «آزادي وحرّيت» (الحريّة) تحدّث عن شخصيّة العلّامة وموقفه من الحريّات الفرديّة والاجتماعيّة وفيما يلي جانب من المقال:

الحريّة التكوينيّة والحريّة التشريعيّة

يظنّ البعض انّ الاسلام يؤمن بحريّة العقيدة على نحو مطلق حيث يسمح لكلّ شخص في اعتناق أي دين يشاء (حتّى الشرك والوثنيّة) وهذا غير صحيح تماماً.

كيف يمكن للاسلام الذي ينهض على صرح التوحيد ونفي الشرك أن يسمح للناس بتبني عقيدة تخالف أصل التوحيد؟! ان هذا تناقض صارخ ان هذا يشبه تماماً في عالم اليوم منح الحريّة للناس في معارضة القوانين والضوابط السائدة في المجتمع! ذلك انّ هذه الحريّة تتعارض مع العقد الاجتماعي وسنّ القوانين.

هؤلاء يتشبّثون بآيات قرآنيّة من قبيل الآية الشريفة: ﴿**لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ**﴾ ظانّين بأنّها تنطوي على هذا المعنى في اعتناق أيّ عقيدة، في حين ان مقصود الآية ودلالتها يختلف عن هذا المعنى.

ان الآية تبين هذه الحقيقة وهي ان حقيقة الاسلام قد تجلّت في ظلال آيات القرآن الكريم وكلمات النبيّ الأكرم ولا حاجة لإكراه الناس على اعتناق الاسلام وما يؤيّد ذلك هذه الجملة: «قد تبيّن الرشد من الغيّ».

والحقيقة ان علّة جملة «لا إكراه في الدين» يعني ان الحق والضلال بات واضحاً بحيث لا حاجة للاكراه اضافة إلى ذلك ان الاكراه والاجبار لا يؤثر إلّا في أداء الأعمال الظاهريّة والحركات البدنيّة، أما الاعتقادات

القلبيّة فهي خارجة عن نفوذ الاكراه أساساً ولها علّة اخرى من سنخ الادراكات ومن المحال أن تتحقّق بدون هذه المقدمات عن طريق الاكراه والاجبار الظاهري.

والحقيقة ان جملة «لا إكراه في الدين» هي حقيقة تشريعيّة تستند إلى حقيقة تكوينيّة وهي من قبيل الأحكام الارشادية يعني: لا تكرهوا شخصاً على اعتناق الدين الحق، لأنّه من المستحيل أن تحقّقوا مرادكم عن طريق الاكراه.

واضافة إلى ذلك فان هذه الآية الشريفة تدعو الناس إلى ترك التقليد في العقائد واتباع المنطق والاستدلال، ذلك انه من المؤكّد ان العقيدة التي تنهض على الاكراه لها جانب تقليدي.

وعلى أيّة حال ان هذا الموضوع يعني النهي عن الاكراه في الدين يختلف عن قضيّة حريّة الأفراد في انتخاب العقيدة التي يشاؤون.

يسري في عروق الحياة

تحدّث آية الله مكارم الشيرازي في المجلّة المذكورة وفي مقال تحت عنوان: «عظمت قرآن وويژگيهاى تفسير الميزان» (عظمة القرآن وخصائص تفسير الميزان) فأشار إلى نكتة جميلة ودقيقة في خصوص العلّامة.

فقد أشار إلى دور العلّامة وسعي هذا العالم المثقّف في «حلول القرآن في كلّ عروق الحياة» الأمر الذي يعدّ في واقع الأمر مفتاحاً ذهبيّاً لكلّ

الباحثين في مجال الدراسات القرآنيّة.

«انه أحد كبار المفسّرين الذين سعوا إلى ضخّ القرآن في جميع عروق الحياة الانسانيّة.

لقد سعى العلّامة الطباطبائي إلى ادخال القرآن الكريم من خلال أثره الخالد «الميزان» إلى أن يحلّ القرآن في جميع مجالات الحياة، معتقداً انّ حياة الانسان لا يمكن أن تكتسب مجدها إلّا من خلال ذلك وفي هذا ابداع إذا ما أردنا أن نتحدّث عنه بما يستحقّ فان هذا المقال سوف يتحوّل إلى كتاب ضخم.

وأشار آية الله مكارم شيرازي إلى نقطة أُخرى في الجهد التفسيري وسعي المفسّر إلى الاشارة إلى تعدّد الآراء بشأن تفسير آية ما، ومع انّ العلّامة الراحل اعتمد هذا المنهج إلّا ان القارئ لا يشعر بتشويش في الرؤية جرّاء ذلك التعدّد، ذلك انّ العلّامة كان يأخذ بيد القارئ وبهدوء إلى الرأي التفسيري الرصين الذي ينسجم مع مقاصد النصّ القرآني المبين.

واختتم الشيخ مكارم شيرازي مقاله إلى أنّ الخصائص التاريخيّة للعلّامة الطباطبائي الكبير لا تنتهي عند حدود أثره التفسيري الخالد كما ان ما ذكرنا لا يمثّل إلّا غيظاً من فيض «الميزان» وخصائصه الواسعة.

الفيلسوف

أشار آية الله سبحاني في مقالة تحت عنوان «الفلسفة الاسلاميّة»:

«والاستاذ العلّامة الطباطبائي اضافة إلى تبحر العلّامة في ثلاث مدارس

فلسفيّة فقد كان عالماً بالفلسفة المشائيّة والفلسفة الاشراقيّة والحكمة المتعالية أو فلسفة ملّا صدرا».

وأضاف: انّ العلّامة تمكّن من فصل الفلسفة اليونانيّة عن المدارس الاسلاميّة.

وتدلّ حواراته مع البروفيسور «هنري كوربان» إلى تعمّقه وتبحّره في هذه الفلسفات الثلاث، فقد كان استاذاً فيها جميعاً ويعدّ فريداً في تدريس الفلسفة الصدرائيّة وما «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» إلّا دليلاً ساطعاً على تضلّعه في الفلسفة ناهيك عن تسجيل آرائه الفلسفيّة الخاصّة.

ومن خلال متابعاته وبحوثه تمكّن من تحديد زهاء مئتي مسألة فلسفيّة يونانيّة نفذت إلى داخل الفلسفة الاسلاميّة فأضاف إليها الفلاسفة المسلمون خمسمئة مسألة أُخرى.

آية الله العظمى السيّد البروجردي: أسألوا العلّامة!

من المؤسف حقّاً انّ بعض من يؤرّخ لحقبة تاريخيّة أو لشخصيّة معيّنة لا يرى سوى النصف الفارغ من القدح، فيذكر على سبيل المثال طلب السيّد البروجردي من العلّامة تعليق درس الفلسفة، ومن حسن الحظّ انّ مجلّة «مكتب اسلام» في ملفّها الخاصّ بالعلّامة الراحل نشرت مقالاً للشيخ «كامل خيرخواه» تحت عنوان: «علامه طباطبائي از ديدگاه شخصيّتهای علمي وجهان» (العلّامة الطباطبائي في نظر الشخصيّات العلميّة والعالميّة).

وقد تضمّن المقال الاشارة إلى انّ السيّد البروجردي يكن بالغ الاحترام والمحبّة للعلّامة الطباطبائي.

واستشهد كاتب المقال بزيارة الأمين العام لمؤتمر مكافحة المخدّرات للسيّد البروجردي واستطلاع رأي الاسلام حول الموضوع.

جدير ذكره ان المستشرقين الغربيّين كانوا يرتكبون مغالطات عن جهل أو عمد في حين نلاحظ انّ الأمين العام لهذا المؤتمر أو البروفيسور «هنري كوربان» كانوا يستقصون الحقيقة في معرفة قضايا الاسلام ومن ثمّ تعريف ذلك للعالم. مع العلّامة التي كشفت عن مجد السيّد الطباطبائي العلمي حيث أسفرت عن تأليف كتاب تحت عنوان «التشيع» قام بنشره كوربان في عدد من اللغات الحيّة.

وعود إلى بدء يستطرد كاتب المقال فيشير إلى تلك الزيارة التي قام بها الأمين العام للمؤتمر وعندما كان الجميع ينصتون إلى جواب السيّد البروجردي إذا به يشير إلىٰ العلّامة الطباطبائي الذي كان جالساً إلى جانب السيّد ويقول: إنّ هذه المهمّة ستوكّل إلى السيّد محمّد حسين الطباطبائي أحد علماء الاسلام، فهو خبير محقّق باحث له تفسير هو مبعث فخر لنا، ويتعيّن عليه أن يكتب رسالة في مسألة المخدّرات ويبيّن فيها رأي الاسلام بالاستناد إلى أدلّته الخاصّة من ثمّ يقوم بارسالها إلى المؤتمر[1].

---

١. مجلّة مكتب اسلام السنة ٢١ العدد ١١ ص٣٣.

روحي فداه!

يعد الشهيد مطهّري من أبرز تلامذة العلّامة الراحل، وكان الشهيد يجلّ أُستاذه ويعدّه من أئمّة الإسلام، وطالما أشار إليه في مؤلّفاته ومحاضراته فما ذكره إلّا قال: روحي فداه!

وقد أشار مرّة إلى انّ استاذه يوجز في القول ويعبّر عن الفكرة بكلمات قليلة وهذا غاية البلاغة فهو يشبه اسلوب ابن سينا في ذلك كلمات قليلة تشتمل على معان كثيرة.

وفي مضمار العرفان وشخصيّة العلّامة الروحيّة والسير والسلوك والمكاشفة يقول الشهيد مطهّري انّ العلّامة بلغ حدّ التجرّد البرزخي حتّى أمكنه رؤية الصور الغيبيّة في عالم الشهادة.

وكان العلّامة الطباطبائي رضوان الله عليه قد ذكر مرّة ان استاذه المرحوم آية الله الآخوند الكاشي قال له انّه كان يرى الملائكة بوضوح!

العبقري

ونقل أحد أساتذة الحوزة انّ السيّد الخوئي قال بشأن العلّامة انّه عقل مفكّر وانسان استثنائي في قدراته العقليّة والروحيّة ولا يخفى انّ السيّد الخوئي كان بصدد البدء في تفسير القرآن الكريم وصدر الجزء الأوّل من تفسيره «البيان» وبعد صدور «الميزان» توقّف السيّد الخوئي عن

الاستمرار في مشروعه «البيان» واقتصر على الجزء الأوّل فقط[1].

اذكروني أذكركم

وأشار الشيخ علي أكبر حسن اللنگرودي في مقاله في مجلّة «مكتب إسلام» إلى انّ السيّد الطباطبائي لم يكن يعظ الآخرين بقوله: افعل أو لا تفعل!

وإنّما كان يعض بسيرته الأخلاقيّة، وعندما يصرّ بعضهم على الموعظة فانّه يكتفي بتلاوة قوله تعالى:

﴿ فَاذْكُرُوني أَذْكُرْكُمْ ﴾[2].

مودّته لأهل البيت عليهم السلام

وفي ظرف عصيب عندما احتدم الجدل حول قضايا تتعلّق بأهل البيت والإمام صاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف، انبرى العـلّامة الراحـل للدفاع عن أهل البيت وعلم الامام، وكان له سلسلة حوار مع البروفيسور «هنري كوربان» في الدفاع عن الإمام المهدي ومسألة الولاية التكوينيّة.

---

١. روى الشيخ الآصفي رضوان الله عليه في الاحتفال التأبيني بمناسبة الذكرى الأولى لرحيل العلّامة رحمه الله انّه قدّم نسخة من «الميزان» إلى السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر الذي اطّلع عليه وكان رضوان الله عليه سريع القراءة فقال:

ـ لقد ملأ فراغ ألف سنة في اشارة إلى تفسير الشيخ الطوسي رحمه الله ـ المترجم.

٢. سورة البقرة: ١٤٧.

والعلّامة رضوان الله عليه كتاب جليل في «الولاية التكوينيّة» سوف يصدر قريباً باذن الله.

كان العلّامة ملتزماً باقامة مجالس العزاء في «الأيّام الفاطميّة» حيث يشارك فيه جميع أقاربه بما في ذلك بناته الكريمات كنّ يأتين من طهران ومدن أُخرى للمشاركة في مراسم العزاء.

كان يزور مشهد الإمام الرضا عليه السلام سنويّاً حتّى بعد تدهور صحّته في الشهور الأخيرة، وكان يصرّ على تقبيل الضريح ويذرف الدموع شوقاً وحبّاً ومودّة لاهل البيت عليهم السلام.

الحكمة... البداية والنهاية

اطّلعت على كتاب «در جستجوي أمر قدسي» (البحث عن الأمر القدسي) الذي يتضمّن حواراً أجراه «السيّد رامين جهانبگلو» مع السيّد «حسين نصر» ترجمة السيّد مصطفى شهر آييني الذي صدر عام ١٣٨٥ ش / ٢٠٠٦م وسجّلت بعض الملاحظات، وعندما بدأت كتابة ذكرياتي عن العلّامة الراحل رأيت من المناسب نقل بعض تلك الملاحظات:

▣ احياناً كنّا نقرأ الأناجيل وكان العلّامة الطباطبائي يقوم بتفسيرها من خلال رؤية اسلاميّة، وكانت في الحقيقة تجربة ثريّة جداً.

▣ احياناً كنت التقي العلّامة الطباطبائي في دماوند وفي أماكن مشابهة واحياناً في احضان الطبيعة البكر ونبحث بعض الآيات القرآنيّة.

▣ اصدرت «حسينيّة ارشاد»[1] في طهران كتاباً حول «الاسلام والأديان العالميّة» وعندما اطّلع السيّد الطباطبائي على مقالتي في الكتاب (حسين نصر) قال: انه مقال رائع! مقال رائع ويتعيّن عليك الآن أن تكتب حول موضوع آخر.

الآن يجب أن تكتب حول علاقة الاسلام بأديان العالم الأُخرى.

▣ عندما ألّف العلّامة كتابيه «بداية الحكمة» و«نهاية الحكمة» اللذين أصبحا ضمن المنهج الدراسي في الحوزة العلميّة في قم... وعندما التقيته قال لي وهو يبتسم بعذوبة:

ـ تفضّل يا دكتور هذا ما كنت تصرّ عليّ في كتابته!

▣ وهكذا بالنسبة للكتاب «القرآن في الاسلام» و«التشيّع في الاسلام» (الحديث لحسين نصر) فقد زارني «كانت كراگ» في ايران وذكر انّه بصدد نشر ثلاثة كتب حول التشيّع، وثمّة مركز جديد في جامعة «كولگيت» مختصّ بدراسة الأديان، غير انّه لا توجد مصادر جيّدة في هذا المضمار، لذلك تحمّلت مسؤوليتي وطلبت من العلّامة أن يكتب في هذا الموضوع.

▣ ومن خلال هذه الكتب عرف الغرب التشيّع لأوّل مرّة.

▣ يعدّ العلّامة أفضل من ردّ على الفلسفة الماركسيّة في كتابه «اصول الفلسفة والمنهج الواقعي».

---

١. اكتسبت «حسينيّة ارشاد» في طهران شهرة خاصّة بعد محاضرات الشهيد مطهّري و«شريعتي» ـ المترجم.

▣ وعلى كلّ حال كان العلّامة رجلاً عظيماً لم يكن فيلسوفاً فقط ولا مفسّراً فحسب بل كان أديباً متعمّقاً في اللغتين العربيّة والفارسيّة وله أشعار رائعة ونثر بليغ والحق انّه كان مجدّداً للفكر الاسلامي.

الدكتور علي قائمي

اتّصلت هاتفيّاً بالدكتور علي قائمي وكنت قد حصلت على رقم هاتفه عن طريق والد زوجتي السيّد علي أكبر غفّاري ما إن اتّصلت به وعرّفته بشخصي حتّى بادرني بأنّه يأتي إلى قم احياناً لالقاء محاضرات أو زيارة ابنه المقيم في قم وأنّ لديه مؤلّفات جاهزة للطبع: ١ ـ لماذا الدين؟؛ ٢ ـ لماذا الإسلام؟؛ ٣ ـ لماذا الشيعة؟

قلت له على سبيل المزاح: يا حضرة الدكتور اتّصلت بك لأمر ما وإذا بك تقلب الآية!

اعتذر بلطف وقال: تحت أمرك:

في البداية هنأته على مؤلّفاته الجديدة، ثمّ اطّلعته على اني بصدد اعداد كتاب حول ذكرياتي عن العلّامة الطباطبائي وفيه فصل حول ذكريات بعض الشخصيّات لذلك اتّصلت بكم!

فأنعم لي ووعدني بأنّه سيكتب شيئاً ويرسله إلي، وبعد أيّام تسلّمت رسالته وفيها ما يلي:

اتّفقت مع بعض الأصدقاء على زيارة العلّامة «ذلك المفسّر الكبير صاحب تفسير الميزان المعروف بتفسير الميزان».

وعندما التقيناه وجدت نفسي في حضرته كما لو كنت حصاة صغيرة على سفح جبل شامخ!

لم أجرؤ على افتتاح الحديث، ومع انّه كان يجثو بتواضع على ركبتيه إلّا أنّ هيبته القت بظلالها على المكان... السجّادة التي كان يجلس عليها قديمة وقد بهتت ألوانها، وقام بنفسه لاحضار أكواب الشاي!

مع انّنا اصررنا عليه ألّا ينهض من مكانه قائلاً:

ـ أنتم ضيوف أعزّاء!

سرعان ما عاد يحمل «الصينيّة» بيدين ترتعشان، كانت اللحظات التي غادر فيها المكان ثمّ عاد يحمل أكواب الشاي لضيوفه مع ابتسامته المليحة مليئة بالدروس... هذا الانسان العظيم يزداد مهابة كلّما تواضع، هذه البساطة في العيش هذه العفوية في السلوك هذه الطيبة هذه.

تبادلنا أطراف الحديث ووجدت الشجاعة في أن أقول له:

ـ سيّدنا الجليل! انّ تفسيركم يبلغ من الروعة والجلال ما يعجز عنه الوصف في دقّته ومنهجيّته.. والحمد لله انّكم أتممتم العمل وفرغتم من تأليفه... سؤالي ما هي الآية القرآنيّة التي شعرتم بأنّها تشمل على الدروس الأكثر الهاماً وتأثيراً؟!

رأيت ملامح وجهه قد تغيّرت وقال:

ـ انّ هذا السؤال من أصعب الأسئلة وقد وضعتني فيه أما تكليف شاق! كيف لي أن أجيب؟! ان جميع آيات القرآن الكريم مفعمة بالدروس

الملهمة والعبر، لماذا تكلّفني ما لا يطاق؟[1]

ـ لم أقصد ازعاجكم يا سيّدنا! إنّما أردت الاستفادة من فيض علمكم اضيء به طريقي في الحياة.

شعرت بأن اسارير وجهه قد انفرجت وقال:

ـ حسناً جداً تأمّل جيداً في هذه الآية الكريمة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[2].

إنّ الذين ينسون الله عزّوجلّ سوف ينساهم الله سبحانه وتعالى وينسيهم أنفسهم وسوف يكون مصيرهم الضياع.

لقد خلق الله «الفطرة البشريّة» وجعلها مستودع سرّه وعندما ينسى

---

١. ذكّرتني هذه الانفعالات بلقاء مع الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر في مطلع ربيع الأوّل عام ١٩٧٧ وما تزال الأجواء مشحونة بعد بسبب انتفاضة صفر كان طالب جامعي قد أعدّ قائمة طويلة من الأسئلة وكان بعضها حسّاس وخطير!

كان السيّد رضوان الله تعالى عليه جالساً في زاوية مكتبته كتلة من الهدوء والوقار والمهابة والتواضع... نعم كتلة من الهدوء، وجه باسم مشرق بهالة من نور ينفذ في القلوب فجأة ارتفع صوت الأذان: الله أكبر!

وإذا بهذه «الكتلة» ترتج واذا بهذا الوجه الباسم المشرق ينخطف لونه فاصفرّ واربدّ هتف الطالب الجامعي!

ـ سؤال أخير سيّدنا!

لكم السيّد الشهيد قد هبّ كعبد يمتثل لنداء سيّده العظيم!

لقد مرّ على هذا الحادثة زهاء أربعين سنة وما تزال تشتعل في الذاكرة تتحدى غبار الزمن وأتربة السنين ـ المترجم.

٢. سورة الحشر: ١٩.

الانسان ربّه فهو في الواقع ينسى نفسه، ويصبح كائناً غريباً عن آدميّته، لن يعود بمقدوره أن يستوعب معنى الكرامة الانسانيّة.

وفي ضوء القرآن ان ثمن النفس هو الجنّة والخلود... غير انّ الانسان الذي ينسلخ عن كرامته ويسقط في مستنقع الرذيلة سوف يصبح حيواناً بل وما هو أسوأ من الحيوان ولن يكون له بعد ذلك من مكان في الجنّة.

انّ تاريخ اللقاء بالعلّامة يعود إلى حدود عام قبل رحيله، وما تزال كلماته حيّة نابضة تسطع في وجداني فيتداعى في ذهني اصطلاح غربي في مضمار معرفة النفس وبناء الشخصيّة وهو «اليناسيون» أو حالة «الاستلاب» في مدرسة «اگزيستانيساليسم» (اصالة الوجود) التي يكثر الجدل فيها.

أسأله تعالى أن يرفع من مقامه ودرجاته ويشمله بواسع رحمه ومغفرته إن شاء الله.

نور السماوات

في حديث له قال آية الله ممدوحي أثناء عيادته للحاج الشيخ قدرة الله مشايخي وكنت يومها في منزل الأخير وتطرّق الحديث إلى ذكر العلّامة الراحل يقول ممدوحي:

كان السيّد إبراهيم خسروشاهي أحد تلامذة السيّد الطباطبائي المبرزين وكان السيّد رحمه الله ذات ليلة في منزل آية الله الحاج الأنصاري الشيرازي وعندما أراد مغادرة منزل الاخير والعودة إلى بيته كانت الأزقة

غارقة في ظلام دامس فقال له تلميذه:

ـ اسمحوا لنا أن نعقد جلسات اللقاء في منزلكم فالأزقة مليئة بالمطبات!

فقال العلّامة:

هل تظننا نستضيء بنور الشمس نهاراً أنّه نور آخر ذاك الذي يدلّنا!

وأضاف آية الله ممدوحي قائلاً:

وجهت رسالة إلى سماحة السيّد القائد حول فكرة شراء دار العلّامة وتحويلها إلى مكتبة كبرى، وقد وافق سماحته ووجه بالتعاون لانجاز المشروع... للأسف عندما باشرنا العمل وقف بعضهم وحال دون اتمامه!

جميع من فوق التراب!

في بيت آية الله گرامي القمّي وفي الليالي العشر الأواخر من شهر صفر كان يعقد مجلس للدعاء والتوسّل إلى الله عزّوجلّ، وكنت أواظب على حضور ذلك المجلس لما فيه من الصفاء والروحانيّة بعدها يرتقي الخطيب فيتحدّث حول موضوع قرآني أو حديث نبوي شريف وفي تلك الليلة (٢٥ صفر) كان الحديث عن شخصيّة الصاحب بن عبّاد رئيس الوزارة في الدولة البويهيّة وذلك بمناسبة مرور ألف عام على وفاته افتتح الخطيب محاضرته بهذا البيت من أشعار الصاحب بن عباد:

أنا وجميع من فوق التراب ... فداء نعل أبي تراب

وتطرّق الخطيب إلى جانب من سيرة الصاحب بن عباد وإلى وزارتـه في الدولة البويهيّة الشيعيّة التي أعلنت يوم عاشوراء ولأوّل مـرّة عـطلة رسميّة[١] فكانت بغداد آنذاك تمتلئ بمواكب ومجالس العزاء على سـيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وفي شهر رمضان المبارك كان الصاحب بن عباد ينصب موائد الافطار لمئات الصائمين.

وكان عندما يخرج من منزله فانّه يأخذ معه مبالغ من المال لمساعدة المحتاجين.

وصادف ان نسي مرّة فخرج ولم يكن معه مال فلمّا عـاد إلى قـصره طلب من غلامه ومرافقه الخاص أن يذهبا إلى السوق، فأوّل فقير يصادفه يدعوه!

فوجد رجلاً يريد أن يزوّج ابنه وليس لديه مال يستعين به على ذلك، فما كان من الوزير إلّا أن قضى كلّ متطلّبات الزواج.

ومن خصاله دعمه للعلماء واهتمامه بهم وحبّه للعلم من ذلك تشجيعه ودعمه للشيخ الصدوق على التأليف فكان كتابه الجليل «عـيون أخـبار الرضا عليه السلام» وكتب أُخرى.

---

١. جدير ذكره انّ الدولة البويهيّة أعلنت كذلك يوم الغدير عيداً رسمياً للدولة وللصاحب بن عباد «غديريّة» رائعة تعدّ من نفائس الأدب العربي وكانت بغداد في عيد الغـدير تـزدان بالاعلام الملوّنة حيث تقام الاحتفالات بهذه المناسبة ويتبارئ الشعراء بالقاء قصائد المديح لأهل البيت عليهم السلام ـ المترجم.

كان يملك أكبر مكتبة وكان يعتزّ بها حتّى انّه عندما سافر إلى ايـران تطلّب نقلها عشرات الجمال.

وتعود جذور التشيع في اصفهان إلى جهود آل بويه والوزير الصاحب بن عباد.

وقبره في اصفهان مزار يزوره المؤمنون ويترحّمون عليه.

وفي المجلس طلبت من آية الله گرامي أن يتحدّث عن ذكـرياته مـع العلّامة الراحل، فأشار إلى أسفاره ولقاءاته بالعلّامة فـي تـرجـمة بـعض نصوص الميزان إلى الفـارسيّة وتـحدّث عـن أبـعاد شـخصيّته وأخـلاقه وبساطة عيشه وسموّ أخلاقه «لقد كان وقوراً مطمئن النفس وكان عظيماً في صبره العجيب، سمعت من ولده السيّد عبدالباقي يقول: انه احياناً كان يعود إلى المنزل وجسمه ينتفض من الغضب مما يلقاه من الأذى، الّا انّه كان كاظماً لغيظه وكان يحزّ في نفسه انّه كان يتلقّى الطعنات من بـعض الأصدقاء ومن داخل الأوساط التي يعيش فيها.

كان يحنو على طلّابه وتلامذته ويشاركهم همومهم، واذكر انّني زرته مرّة وتشعّب الحديث إلى الأراضي والعقار وكان العلّامة قد انتقل حـديثاً إلى دار اخرى فقال لي:

ـ يا سيّد گرامي! اشتر الأرض التي ذكرتها لي!

فقلت له: انّ ثمنها غال جدّاً!

فقال: انّها ستكون أغلى بكثير بعد مدّة قصيرة!

كان هذا في سنة ١٣٤٧ هـ. ش (١٩٦٨م) وفعلاً بعد حوالي سنة قفزت

أسعار العقار بشكل مفاجيء... لا أدري هل كان العلّامة يرى صفحات من المستقبل؟

وعبّر آية الله گرامي عن أسفه لأن أحداً لم يقم بتسجيل محاضراته في درس الفقه وغيره ثمّ ترنّم بأشعار من نظم العلّامة رضوان الله عليه:

أينما ألقي عصا الترحال يوماً؛

تراني راحلاً عند الغدِ؛

لم أجد يوماً أنسي؛

كم ذرفت الدموع كم نزفت دماً؛

لم أكن شوكاً في الطريق؛

كيف يسعى في هلاكي ذاك الصديق؛

كلّ ذنبي انّني حرّ وهذا قدري؛

وأحبّ العيش من دون ادّعاء.

صلاة مودع

يروي الأُستاذ حسين انصاريان (الخطيب المعروف) واحدة من ذكرياته عن العلّامة الراحل؛ يقول:

رأيته ذات مرّة في طريق الحرم المطهّر للسيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام وقد لحق به شخص واستوقفه فوقف إلى جانب الرصيف، وكنت قريباً فتقدّمت أسمع تحاورهما، كان العلّامة مطرقاً كعادته ينظر إلى الأرض

ويصغي إلى سؤال الرجل الذي قال له في بعض أسألته:

ـ كيف وصلت إلى هذا المقام فلعلنا نوفق للاقتداء بك؟

العلّامة بكلّ تواضع ومع أن السؤال لم يكن مناسباً زماناً ومكاناً قال له:

ـ انّ الطرق كثيرة ولكن من بينها طريقان يحظيان بأهميّة بالغة وأنا أفتخر بهما وأعدّهما من أفضل الطرق؛ أحدهما أداء صلاة الليل باخلاص واستمرار، والطريق الآخر البكاء على الامام الحسين عليه السلام.

يقول أنصاريان: ولذا كان العلّامة يحضر باستمرار مجالس العزاء على سيّد الشهداء أبي عبدالله، حتّى انّه عندما يبكي، يبكي الناس لبكائه!

الشكران

ذات يوم زرت العلّامة الطباطبائي بصحبة آية الله إبراهيم جنّاتي، وفي اللقاء ذكر العلّامة الطباطبائي زميله في الدراسة في النجف الأشرف العلّامة صدرا البادكوبئي وكذا أُستاذه آية الله السيّد حسين البادكوبئي، وتحدّث الشيخ جنّاتي عن منزلة العلّامة صدرا في النجف وانّه كان الأوّل في الحكمة والفلسفة وأُصول الفقه وغير ذلك من العلوم.

وقد اعتبر الشيخ جنّاتي ذكر العلّامة الطباطبائي زميله وأُستاذه بالثناء من صفات الانسان العارف، لأنّه لا يرى نفسه شيئاً أمام الله ولذلك فان أيّ لطف من أيّ انسان كان يعتبره من نعم الله التي ينبغي أن يحمد الله عزّوجلّ عليها.

وقد ذكّرني الشيخ جنّاتي بحكاية سمعتها من الشـيخ مـحمّد نـظري ومفادها انّ السيّد صادق شمس الواعظ قال: ذات يوم شتائي وكان الجوّ قارس البرد زرت العلّامة في منزله، فرأيته قد ارتدى ثياباً شتويّة كـثيرة وكانت الغرفة باردة جدّاً فقلت: لماذا لم تشعل المدفأة؟ سـوف تـصاب بالزكام من شدّة البرد!

فقال: ليس عندنا نفط سنحصل إن شاء الله على النفط ونشعل المدفأة!

(في تلك الفترة كانت الحكومة قد قنّنت النفط)[١].

تأثرت لوضع العلّامة بشدّة وغادرت المنزل فوراً وأحضرت كميّة من النفط وأشعلت المدفأة فشكـرني العـلّامة بـلطف وقـال: الحـمد لله ربّ العالمين.

هكذا كان يعيش العلّامة في ضنك من العيش ولم يكن أحد يعلم عن أحواله شيئاً لأنّه لم يخبر أحداً بذلك إلّا إذا اضطرّه الظرف.

طريق التكامل

آية الله مسعودي من فضلاء الحوزة العلميّة ومن أساتذتها (فـي قـم) وتعود صداقتنا إلى تعيينه مسؤولاً عن «بيت الامام الخميني) (بعد تحوّله إلى متحف) في حي «يخچال قاضي» ثمّ أصبح مسؤول مكتب «جامعة مدرّسين».

---

١. قنّنت الحكومة الايرانيّة وبعد قيام نظام حـزب البـعث بشـنّ الحـرب الظـالمة واجـتياح الأراضي الايرانيّة بعض المواد الغذائيّة والوقود ـ المترجم.

ذات يوم اتّصل بي تلفونيّاً وطلب منّي الحضور، قال لي:

ـ السيّد مصباح يزدي وبسبب بعض المشكلات الروحيّة يحتاج إلى سفرة فسألته عمّا إذا يحب أن يرافقه أحد؟ فقال: فلان، لذا استعدّ للسفر إلى سوريا لمدّة أُسبوع، وسافرنا طبعاً جاءت معه أُسرته وأنا أيضاً معي أُسرتي وكانت سفرة مثمرة مليئة بالفوائد.

على أيّة حال تمّ تعيين آية الله مسعودي متولّياً للآستانة المقدّسة للسيّدة المعصومة عليها السلام سألته عمّا إذا كانت لديه ذكريات مع العلّامة الطباطبائي فقال: كثيرة غير انّي أذكر لك اثنتين منها فقط:

الأُولى:

تعود إلى حوالي أربعة أشهر من وفاته رضوان الله عليه، وكان الشتاء قارس البرد زرته في منزله لتفقد أحواله؛ زيارة تلميذ لأُستاذه، عندما قرعت الجرس إذا به يفتح الباب وقال: تفضّل!

دخلت كانت الغرفة عبارة عن ثلاجة من شدّة البرد وكان السيّد يرتجف من البرد اضافة إلى الرعاش الذي كان يعاني منه!

سألته: لماذا ترتجف!

فقال: المدفأة مطفأة نفد مخزنها من النفط!

وشعرت بالأسى! لماذا هذا الاهمال من قبل المسؤولين لشخصيّة فريدة كالعلّامة؟ لماذا؟ لماذا؟

كان ابني معي فأرسلته فوراً ليحضر بضعة ألتار من النفط ملأت خزان

المدفأة بالنفط وأشعلتها جلست قليلاً ثمّ استأذنته بالانصراف.

الثانية:

ربما تعود هذه الذكرى إلى شهرين قبل رحيله رأيته في مرقد السيّد المعصومة عليها السلام فتقدّمت إليه أسألة عن أحواله فقال:

ـ كماترى! راضٍ برضاه سبحانه.

فقلت له يا سيّدي أوصني!

فقال بضعة كلمات أضاءت طريقي في الحياة، ستقول: ماذا قال لك؟ غير اني لن أبوح بما قال أبداً...

ثمّ خنقته العبرة ووضع سماعة التلفون وانقطع الاتّصال!

معكم إلى الأبد

روى لي الشيخ تقي‌زاده وهو من فضلاء الحوزة ومن محبّي أهل البيت عليهم السلام غزير الدمعة على الامام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام بعض ذكرياته عن العلّامة الراحل رضوان الله تعالى عليه، يقول:

ذات يوم زرته لأمر خاص، فقضي والحمد، وفي أثناء توديعي له عند الباب حيث شيّعني بكلّ تواضع قلت له: ادع لي يا سيّدي ألّا نبتعد عن الامام الحسين عليه السلام.

فقال لي باللغة الآذريّة (التركية) وبصوت مرتعش لكنّه هادئ:

ـ انّهم «أهل البيت عليهم السلام» لا يبعدون أحداً؛ بل انّهم يهبون لهـدايـتنا إذا ابتعدنا.

مجد أبي الفضل العبّاس

واذكر أيضاً انّني كنت في منزل آية الله الميلاني في مشهد وكان الفصل صيفاً وكان العلّامة حاضراً وقد أحاطت وجهه هـالة مـن نـور فـقال له شخص:

ـ انّ الله عزّوجلّ يوفق عباده ويهبهم حظّاً ونصيباً (من علم أو تصنيف كتاب أو تلميذ مبرز) فما الذي وهبت ما تفتخر به؟!

فرأيته يطرق متأمّلاً ومفكّراً ثمّ قال:

ـ كلّ ما ذكرته حسن ولكنّ أملي بأبي الفضل وبه أفـتخر، ليس مـن خلال اعتقاد العارف أو الفيلسوف أو الفقيه بل بـايمان مـن نـوع ايـمان الآذريّين الأميين الذين يعيشون في الجبال وحبّهم لسيّدنا العبّاس عليه السلام ثمّ وضع كفّيه على وجهه واستعبر باكياً.

بسم الله الرحمن الرحيم... خلاصة الدين والقرآن الكريم

انّني لا أعد نفسي من تلامذته ومع ذلك فقد كان العلّامة يغمرني بعطفه وحنانه، أذكر انّني تجرّأت عليه يوماً فقلت: أحبّ أن أقضي وقـتاً أكـثر معكم!

فقال: غداً إن شاء الله اذهب إلى مقبرة «أبو حسين» فتعال معي.

ويشهد الله انّني من شدّة شوقي لم أنم تلك الليلة.

وفي صباح الغد قلت له ونحن في الطريق إلى المقبرة:

ـ سيّدي! أنا عجول لا صبر لي فبيّن لي عصارة جميع المعارف في جملة واحدة!

فابتسم العلّامة بعذوبة وصفاء ونظر إليّ بحنان ثمّ قال:

ـ كن طيباً مع الجميع، عامل الأصدقاء بالمروءة والأعداء بالمداراة.

واعلم انّ خلاصة الدين كلّه والقرآن الكريم في «بسم الله الرحمن الرحيم» اذكر اسم الله في كلّ خطوة تخطوها وكن رحماناً مع جميع الخلق ورحيماً مع أهل الايمان.

وكان ما يزال مبتسماً عندما تتمتم بصوت مرتعش:

ـ لو كان في البيت أحد، فحرف واحد يكفي! العلم نقطة! العلم نقطة! العلم نقطة!

ومرّة طلبت منه أن يعلّمني ذكراً، فقال: إنّ أعظم الذكر الصلاة على محمّد وآل محمّد.

الشيخ رسولي يروي ذكرياته

الشيخ رسولي اراكي من خطباء البلاد المعروفين له مؤلّفات وترجمات تحدّث عن ذكرياته مع العلّامة الراحل قائلاً:

ـ كنت أُواظب على حضور دروسه في التفسير والحقيقة كانت دروسه المصدر الرئيسي لمحاضراتي ومؤلّفاتي.

كان منهجه في التدريس حيويّاً أعني الطلّاب كانوا يطرحون اسئلتهم واشكالاتهم وكان يجيب عنها احياناً كان جوابه: لنفكر في ذلك أو لتفكروا في الموضوع؛ كلماته كانت تنفذ في العقول وفي القلوب!

اذكر انّني صادفت السيّد الموسوي الهمداني (مترجم الميزان بالفارسيّة) في مرقد السيّدة المعصومة عليها السلام فاقترحت عليه أن نزور أُستاذنا السيّد الطباطبائي، وقتها كانت داره في زقاق (كوچه باغ)، عندما طرقنا الباب كان هو من فتح الباب وبعد جلوسنا قليلاً في غرفة الضيوف الصغيرة، نهض وأحضر لنا أكواب الشاي بنفسه.

كنت حينها أعاني من ألم في القلب، قلت له: سيّدي سأشرب الشاي بقصد التبرّك والاستشفاء أرجو أن تدعو لي!

فقال: على عيني، بعدها أخرج السيّد الموسوي ثلاث قطع من صوره وقدّمها إلى العلّامة ورجاه أن يوقّع خلفها لتقديمها لبعض مريديه.

العلّامة أخذ واحدة منها وقال: هذه للسيّد رسولي يضعها فوق قلبه وإن شاء الله سبحانه يرزقه الشفاء العاجل.

فرجوته أن يضع يده على قلبي ويدعو لي فوضع يده على قلبي ودعا لي ثمّ قلت له: سيّدنا لقد انجزت عشرة أجزاء من الميزان، لذا نرجوك أن تواصل هذا الجهد المبارك لاتمامه قبل حضور الأجل!

فوغزني السيّد الموسوي؛ كان السيّد العلّامة مطرق الرأس كعادته فرفع

رأسه وكانت الدموع تموج في عينيه.

ـ أنا مشغول في تأليف كتاب وسآخذه معي إلى مشهد لاتمامه وبعدها سأتفرغ للميزان فقط.

فشكرته وبعد لحظات استاذنا بالانصراف وودعناه؛ وفي الزقاق، عانقني السيّد الموسوي وقال: كلامك في محلّه وإن شاء الله يواصل السيّد العمل لاتمامه.

آل طه

قال الخطيب القدير السيّد آل طه عن ذكرياته مع العلّامة الراحل:

كان العلّامة يحضر الجلس الحسين في منزل آية الله السيّد مصطفى البرقعي.

كان يجلس في أدنى المجلس، وكنت أدعوه للجلوس في صدر المجلس فيمتنع.

وعندما أذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء كان ينتحب باكياً ويذرف الدموع.

وكنت أتساءل لماذا يرجح العلّامة الحضور في منزل السيّد البرقعي دون غيره من المجالس وهي كثيرة!

فسألته يوماً وهو مطرق الرأس، فرفع رأسه وقال باسماً:

انّ عمر هذا المنزل أكثر من مئة عام والله وحده يعلم عدد المجالس

التي أُقيمت فيه وعدد الناس الذين حضروها انّ جدرانه وفضاءه مضمخة بعبر الكلمات المقدّسة، وأنا أُحبّ أن تشهد لي يوم القيامة.

يا لها من نظرة عميقة (يقول الحاج انصاريان) إلى مفردات الوجود هل كان العلّامة يرى أنواراً على الجدران، وهل كان يشعر بأن ذرّات هذا العالم تعي الكلمات المقدّسة وتختزن آثارها؟![1]

ماذا ستقول يوم القيامة

روى السيّد محمّد الثقفي انّه عندما ألّف السيّد «الهامي» كتاب «زرتشت» (زرادشت) قرأ بعض فصوله على السيّد الطباطبائي، وتظهر ملامح الرضا على وجه العلّامة لكنّه يقول له:

يا سيّد الهامي لو انّ زرتشت (زرادشت) سألك يوم القيامة لماذا قلت هكذا وتحدّثت عنّي هكذا ماذا ستقول؟

ومقاصد العلّامة أنّه ينبغي للباحث المحقّق ألّا يتحدّث عن النتائج التي يتوصّل إليها بهذه الحالة من اليقين والقطع وأن يترك مساحة للاحتمالات الأُخرى وذلك من خلال استخدام عبارات من قبيل «إن قلت» أو يبدو ولعلّ وهكذا!

أقول (الاستاذ أنصاريان) ان هذه الرؤية في عالم البحث العلمي هي

١. أثبتت الدراسات الحديثة ان ذكر الأسماء المقدّسة وفي طليعتها لفظ الجلالة «الله» على كوب الماء فان اشكالاً هندسيّة رائعة تتشكل ومن هنا ندرك استحباب التسمية على الطعام قبل البدء بتناول الطعام ـ المترجم.

من الملامح الرئيسة في منهجيّة العلّامة الراحل، وهي اليوم تعدّ ضالّة الباحثين والمحقّقين ومن المؤسف أن يمسك بعضهم القلم وينبري للحديث عن شخصيّة عملاقة بطريقة بعيدة تماماً عن منهج البحث والتحقيق، وإنّما من خلال ظنون وشكوك يمنحها بكلّ جرأة صفة اليقين ويسعى إلى التشويش عليها وتشويهها لدى الرأي العام!

انّ عليهم أن يضعوا منهج العلّامة نصب أعينهم!

اللهمّ اجعل عواقب أُمورنا خيراً[1].

سلام علىٰ آل ياسين

عندما اطلع الشيخ مهديپور على نيتي في تأليف كتاب عن العلّامة الطباطبائي روى لي بعض الذكريات:

▣ انّ السيّد مناقبي صهر العلّامة عندما اطلق من السجن قال: ذات يوم كنت مهموماً جدّاً وتذكّرت انّ العلّامة الطباطبائي علّمني ذكراً أتوسّل به وهو ذكر معروف، فتوضّأت واتّجهت في جلوسي إلى القبلة ورحت اردّد «اللهمّ صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها» ٥٣٠ مرّة وهو عدد حروف فاطمة صلوات الله عليها.

▣ قام أحد تلامذة العلّامة بترجمة أحد كتبه «علي والفلسفة الالهيّة» إلى الفارسيّة، وقامت «دار التبليغ الإسلامي» بطبع الكتاب وبعد انتصار

---

١. وأنا أقول: اللهمّ آمين ـ المترجم.

الثورة الاسلاميّة، قال المترجم: انّه لا يرضى ان تصدر الطبعة الجديدة باسم «دار التبليغ» ونقل المهندس السيّد عبدالباقي إلى والده رأي المترجم، فقال العلّامة:

ـ وأنا لا أرضى أن يكون اسم هذا المترجم على كتابي!

▣ بعد وفاة آية الله السيّد حسن الهي، شقيق العلّامة الطباطبائي سافر العلّامة إلى مدينة تبريز للمشاركة في مجلس قراءة الفاتحة، وفي أحد اللقاءات تطرّق الحديث إلى البروفيسور «هنري كوربان» فقال العلّامة:

ـ أذكر انّني سألته يوماً ماذا يقرأ في دعائه وهل يستفيد من الأدعية المأثورة أم أنّه يؤلف دعاءً من نفسه؟ فقال (كوربان): انّني استفيد من الأدعية الواردة عن الامام الثاني عشر المهدي «عجّل الله فرجه الشريف» ذلك انّني احبّ أن أدعو الله وأُناجيه بلسان امام حي.

وكان في المجلس الخطيب المفوّه الشيخ عيسى الأهري، فقرّر أن يقوم بجمع الأدعية الواردة عن سيّدنا بقيّة الله عجّل الله فرجه الشريف فظهر والحمد لله كتابه القيم «صحيفة المهدي».

▣ قال آية الله العلوي الگرگاني: قام والدي (وكنت بصحبته) بزيارة آية الله الگلپايگاني وعندما استأذنه بالانصراف قال له: انّني ذاهب لزيارة العلّامة الطباطبائي، فان كانت لك رغبة في زيارته نذهب معاً؟

وهكذا توجّهنا إلى منزله، فلمّا استقرّ بنا المجلس تساءل السيّد الگلپايگاني وقد لفت نظره وجود عدد كبير من مصادر التفسير عمّا هو مشغول فيه؟

فقال: رأيت في المنام ذات ليلة والدتي تقول لي: «يا محمّد حسين اكتب شيئاً يكون له رواج في السوق هنا».

فسألتها: يا أُمّي العزيزة! وما الذي له رواج عندكم؟

قالت: اكتب عن القرآن وعلوم القرآن فانّ لذلك رواج كبير هنا!

لذلك فأنا مشغول في تفسير القرآن الكريم.

المقالة الانصاريّة

السيّد «پارسا»[1] من الشخصيّات المعروفة في حوزة النجف الأشرف وقم واصفهان ويعد من تلامذة آية الله بهجت المبرزين، غاية في الأدب والتواضع والمحبّة، عندما زرته بمعيّة السيّد محمّد الميلاني وذكرت له فكرة تأليف كتاب حول حياة العلّامة الطباطبائي؛ فوعدني بكتابة ذكرياته عن العلّامة الراحل ووفى بوعده اذ وصلني منه مقال تحت عنوان «المقالة الأنصاريّة».

جاء فيها بعد البسملة والحمد والصلاة على محمّد وآله الطاهرين ما يلي:

لأن هذه المقالة جاءت استجابة لطلب السيّد محمّد تقي أنصاريان الخونساري زاد الله عزّه وتوفيقه فقد عنونتها بـ«المقالة الأنصاريّة».

وفي ما يلي مقتطفات ممّا ورد فيها.

---

١. الشيخ محمّد كريم پارسا.

◙ زرت نجل المرحوم السيّد علي القاضي وطلبت منه ارشاداً من آثار والده الراحل، فقال لي: لماذا لا تذهب إلى العلّامة الطباطبائي أو الشيخ بهجت، فقد كانا من تلامذته.

ذهبت إلى العلّامة فقال: نعم درست عند السيّد القاضي أربع سنوات ولكن الشيخ بهجت فقد درس عنده عشر سنوات (نصحه بالذهاب إلى الشيخ بهجت).

◙ وفقني الله لزيارته وكان عنده أحد طلابه فاستأذنه في الاقتباس من الميزان واصدار كتاب حول قصص الأنبياء فأذن له ثمّ قال له بأنّه سيسافر إلى سوريا للزيارة وطلب منه نصيحة فقال العلّامة:

ـ اعرفوا قيمة هذه المراقد!

وقد سمعت (الاستاذ أنصاريان) ما يشبه ذلك في أنّ أحدهم سأل العلّامة في مجلس من مجالس الوعظ عن مرقد السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام الملاصق للجامع الأموي (السؤال حول حقيقة هذا المرقد) فقال العلّامة في جوابه: اقترح أن تتشرف بزيارة المرقد المطهّر والمنوّر للسيّدة رقيّة عليها السلام فاذا بقيت لديك شبهة فتعال لنتباحث في ذلك.

◙ سمعت من أُستاذي الجليل آية الله الشيخ مجتبى اللنكراني رضوان الله تعالى عليه يقول: تشرّفت بزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام وهناك التقيت السيّد الميلاني والسيّد الطباطبائي، فسألت السيّد الميلاني أيّكما أجمل خطّاً أنت أم السيّد الخوئي؟

فقال السيّد الطباطبائي: أنا علّمت السيّد الخوئي الخط!

أذكر انّني في أحد لقاءاتي بالسيّد الطباطبائي سألته عمّن علّم السيّد الخوئي الخطّ ؟ فقال:

ـ كنت في شهر رمضان المبارك في النجف الأشرف اعلّم الطلبة خط «النسخ» و «النستعليق».

وأشار بسبابته إلى الامام وقال: السيّد الخوئي كان يجلس في هذا المكان.

قلت: «الحاج أنصاريان» خلال الحديث انّ السيّد الطباطبائي حتّى بعد اصابته بالارتعاش الّا انّ خطّه ما يزال يؤكد انة كان استاذاً في الخطّ.

وقد بقيت من أيّام شبابه آثاراً قديمة سطرها بيراعه وعندما كان يراها يشعر بالحيرة ويقول: أحقّاً انّ خطّي كان هكذا ؟

▣ السيّد عبدالغفّار المازندراني رضوان الله تعالى عليه له حكاية سمعتها.

آية الله الشيخ بهجت يبدو انّه نقلها عن نجل السيّد عبدالغفّار.

والسيّد عبدالغفّار كان أُستاذ آية الله العظمى الميلاني وآية الله العظمى الخوئي في الفقه والأخلاق.

وسمعت من العلّامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه انه كان عندنا استاذ في الأخلاق غير السيّد القاضي.

قلت له: تقصد الشيخ الفلاني ؟

فابتسم وقال: لا انّه السيّد عبدالغفّار! ثمّ روى هذه الحكاية عن أُستاذه

في انّه توسّل بالامام الحسين عليه‌السلام لثلاث حاجات: الأُولى: هل أنا سيّد؟ الثانية: أُريد داراً؛ والثالثة: الراحة عند الموت!

في المنام رأيت سيّد الشهداء يقول لي: يا بني! لن تكون لك في الدنيا دار، فعرفت انّني سيّد، ولذا كان تلامذة أبي يسعون للحصول على دار وحاولوا فتح الموضوع مع السيّد أبوالحسن الإصفهاني فكان يقول لهم: لا تتجشموا ذلك! لن أملك داراً في الدنيا وأضاف (نجل السيّد عبدالغفّار) قائلاً: اضطررت لترك الدراسة في الحوزة والتحقت للعمل في مديريّة ماء الكوفة وذات صباح أخبروني بوفاة والدي فأسرعت إلى النجف لتجهيزه وتشييعه ودفنه.

بعد أيّام تسلّمت برقيّة من طهران بعثت بها أُختي فيها تعزية، وبعد أُسبوع تسلّمت رسالة منها قالت فيها انّها رأت الوالد في المنام في فراشه وحوله المعصومين الأربعة عشر وقد وضع الامام الحسين عليه‌السلام يده على صدر أبي فقال: هل أنا ميّت يا سيّدي؟ فقال عليه‌السلام: نعم.

دموع من أجل الحسين عليه‌السلام

تحدّث آية الله الشيخ محمّد جواد الطهراني عن ذكريات والده وكان من خطباء المنبر الحسيني:

في أحد الأعياد زار والدي العلّامة الراحل للتهنئة فقال له.

ـ اعرف قدر خدمة الحسين ثمّ روى له حكاية مفادها انّ موكباً للعزاء في عهد الشيخ مرتضى الأنصاري (المرجع الكبير) توجّه إلى النجف

الأشرف، فالتقى (الموكب) عالماً ايرانيّاً من مدينتهم مقيماً في النجف فاقترحوا عليه وألحّوا أن يعود معهم إلى مدينتهم ليكون عالم المدينة.

ولكن العالم قال أُريد أن أبقى في النجف والموت فيها.

فأصرّوا عليه فأبى إلّا أن يحكم الشيخ الأنصاري بعودته إلى مدينته فالتقى رئيس الموكب المرجع وطلب منه ذلك.

استدعى الشيخ الأنصاري ذلك العالم وحكم عليه بالعودة إلى مدينته فامتثل لأمره، ثمّ سافر مع الموكب إلى كربلاء لتوديع سيّد الشهداء.

باتوا ليلتهم في الخان الأوّل، فلمّا أصبح الصباح إذا بالعالم يرفض السفر فقالوا له: ألم يحكم الشيخ الأنصاري بذلك؟ قال: نعم ولكنّي رأيت في المنام ليلتي هذه كأنّي أدخل بستاناً مكتظّاً بالأشجار لم أر مثله في حياتي فسألت عن صاحبه فقيل هو للشيخ الأنصاري، ثمّ دخلت بستاناً ثانياً، فسألت عن صاحبه فقيل هو للشيخ الدربندي، ثمّ دخلت بستاناً صغيراً فسألت عنه فقيل هو لك، وانك ستحل فيه بعد ثلاثة أيّام! فامهلوني ثلاثة أيّام فان لم أمت فأنا آتي معكم!

وبعد ثلاثة أيّام توفّي ذلك العالم «رحمه الله».

▣ يقول الشيخ أحمد الطهراني انه كان يسترشد في سيره (العرفاني) وسلوكه بالعلّامة الطباطبائي يقول: «ذهبت في اليوم السابع أو الثامن من شهر محرم إلى منزله فطرقت الباب فقيل لي: انّه ليس في موجوداً فعدت ادراجي إلى الشارع، وهناك رأيت العلّامة يهم بالترجل من «التاكسي».

فرافقته إلى منزله وفي الطريق توقّف عند احدى التكايا وراح يتأمّلها

بنظرات دامعة والتفت إليّ فأوصاني بالمداومة على قراءة زيارة عاشوراء حتّى يوم الأربعين.

وكنت قد سمعت من آية الله بهجت ان ذرف الدموع على سيّد الشهداء من درجات الشهادة.

▣ ورأيته في المشهد الرضوي المقدّس وقد عثرت قدمه بـ «التربة الحسينيّة» فانحنى وأخذها وقبّلها ثمّ وضعها أمام المصلّي.

▣ وكان أحد الموظّفين المتقاعدين في مشهد يتردّد على محل اقامة العلّامة ويأتمّ به في الصلاة (المغرب والعشاء) وذات ليلة علّق التراب بجبهة العلّامة فقال له الموظف الوقور: فوق جبهتك يا سيّدي ذرات تراب!

فقال العلّامة: ان مجدنا في هذا.

▣ وأردت يوماً تقبيل يده فسحبها وقال: وحق جدّي انّ هذا لا يسرّني!

▣ وسمعته يوماً يقول: ليس لدينا غير الشريعة شيئاً.

▣ آية الله بهجت: السيّد الطباطبائي إذا لم يكن فريداً في جامعيّته (للعلوم) فقد كان من القلائل في ذلك.

سمعت من الشيخ بهجت يشيد بالعلّامة ويقول انّ فقهه أكثر من حكمته وزهده يمنعه من الفتيا، وتعدّد اساتذته في النجف في الفقه والأُصول لا في الحكمة.

وقد جمع الفقه والأُصول والحكمة والنجوم وما أكثر اساتذته ما شاء الله !

▣ وأنا أضيف إلى ذلك انّه كان أديباً وله أشعار جميلة خاصّة خماسيّته في الامام الحسين عليه‌السلام.

الأُستاذ نصرت الله شادنوش

ذكر لي صديقي العزيز السيّد نصرت الله شادنوش انّ الدكتور حسين نصر حكى له قائلاً: كنت أحد تلامذه العلّامة الطباطبائي وكان العلّامة يأتي إلى طهران حيث تعقد جلسات الدرس.

وكانت دروسه مفعمة بالعلم والمعرفة والأخلاق وبكلّ ما يهذب النفس الانسانيّة.

طلب منّي العلّامة ذات يوم أن أدعوا الدكتور شريعتي للحوار، وقد وافق الأخير على ذلك وللأسف وقع حادث حال دون حصول اللقاء.

ويبدو انّ الدعوة للحوار جاءت بعد سلسلة محاضرات كان يلقيها الدكتور شريعتي في «حسينيّة إرشاد» والتي احدثت حينها أصداءً واسعة وأثارت جدلاً حامياً وعمقت من هوّة الخلاف بين الحوزة والجامعة.

ويذكر البعض انّه سمع من العلّامة الراحل قوله: لو انّ السيّد شريعتي حضر للقاء والحوار لأجبته عن أسئلته بما يقنعه!

أقول (الاستاذ أنصاريان): من الضروري الاشارة إلى أنّ لقاءً تمّ بين

الدكتور شريعتي ووالده وبين العلّامة الطباطبائي بحضور آية الله شريعتمداري وقد شهدت اللقاء الذي استغرق ثلاث ساعات.

وقد ترك اللقاء انطباعاً جيّداً لدى الدكتور شريعتي الذي قال في الختام: انّه كان مثمراً جدّاً.

بعدها تغيّر أُسلوب الدكتور في محاضراته ولا أحد كان يعرف السرّ في هذا التغيير الذي طرأ على أدبيّاته وطريقة التعبير عن كثير من آرائه في قضايا الدين وعلماء الشيعة.

يقول السيّد شادنوش:

انّ أحد المعلّمين المتديّنين والثقاة التقى الشهيد مطهّري وأخبره بأنّه تشرّف بزيارة استاذه العلّامة الراحل وروى له حكاية عن والدته (والدة الشهيد) مفادها:

انّ الوالدة لمّا كانت حاملاً به أهداها بعلها سواراً ذهبيّاً ثميناً وبعد ولادة (مرتضى) سقط منها على ضفّة النهر وكانت تغسل ثيابه ولم تنتبه إلى الطائر الذي خطف السوار وطار، فعادت إلى المنزل مكدّرة الخاطر وأخبرت بعلها بما جرى، وانتبه (والد مرتضى) إلى ان ابنه وهو في القماط فتح عينيه وراح ينظر إلى الميزاب، فنهض واستخرج السوار من الميزاب، فتحيّرت الأُمّ وفرحت كثيراً وتفاءلت خيراً بهذا الوليد المبارك الذي سيكون له بالغ الأثر غداً في المجتمع.

يقول الشهيد مطهّري انه عندما حكى هذه القصّة للعلّامة الطباطبائي

ابتسم وقال: نعم يا سيّد مطهّري! وراء الستار ما وراءه من الأسرار التي لا نعرف عنها إلّا القليل.

ثمّ ذكر له العلّامة انّه عندما كان جنيناً في بطن أُمّه كان يسمع صوت والدته وهي تقرأ القرآن، وأن بعض الآيات ظلّت عالقة في ذاكرته واحياناً أقرأها مع نفسي في صباي، وقد وقعت لي حوادث في مقتبل عمري في تبريز تجلّت فيها رعاية الله ثمّ دعا له بالتوفيق.

بحار الأنوار

السيّد مرتضى آخوندي (عديل الأُستاذ أنصاريان) يروي بعض ذكريات والده مع السيّد الطباطبائي وهي ذكريات تعود إلى الفترة التي كان تفسير الميزان يصدر تباعاً باللغة العربيّة تحت اشراف السيّد آخوندي أحد فضلاء الحوزة في قم.

لعلّ أبرز الذكريات ما ارتبط بطبع مجلّدات «بحار الأنوار» مع تعليقات العلّامة الطباطبائي في خريف ١٩٥٦ م / ١٣٣٥ هـ. ش.

كنت في مشهد فاتّصل ولدي من طهران وأخبرني بأنّ السيّد البروجردي بصدد اعادة ما اشتراه من مجلّدات البحار واسترجاع المبلغ (١٠٠ دورة وسعر الدورة الواحدة ١٠٠٠ تومان).

ويبدو انّ السبب في ذلك وجود تعليقات السيّد الطباطبائي (في تلك الفترة كانت الهجمة المعادية للعلّامة قائمة بسبب تدريسه الفلسفة).

بعد عودتي من مشهد ذهبت بصحبة والدي إلى منزل العلّامة

الطباطبائي، فأشار إلى الجدل المحتدم في قم بسبب بعض الأُمور فقال: انّه سيتوقّف عن كتابة التعليقات حول البحار في بقيّة الأجزاء وطلب منّا الاتّصال بالآخرين.

وكان العلّامة في تلك الفترة يرى ضرورة الحفاظ على وحدة الكلمة لذا احتراماً لموقف السيّد البروجردي امتنع عن كتابة التعليقات وأداً للفتنة، فقد تستغل بعض الدوائر التي تعمل لصالح العدو ذلك وتقوم باحداث شق داخل الحوزة.

ثمّ حدث ما بدد قلق السيّد البروجردي (الذي توضحت لديه ما حصل من ملابسات) غير انّ السيّد الطباطبائي لم يتراجع عن قراره في عدم كتابة التعليقات ولكن بسبب كثرة مشاغله هذه المرّة وليس كما يتصوّر بعض السخفاء من ذلك يعود إلى طلب الناشر بسب مخاوفه من عدم تسويق وتوزيع الكتاب.

▣ لسنوات عديدة كان السيّد الطباطبائي في القيظ يقصد طهران للاستجمام في «دركة»[١] حيث يقصد هناك زيارة بعض الأصدقاء.

وفي أيّام الجمعة يجتمع شمل الأصدقاء من البازار ومن قم وطهران وبعد صلاة الجماعة بامامة العلّامة يتحلّق الجميع حول المائدة، وبعدها يتحدّث السيّد حول بعض القضايا.

وفي تلك الفترة التي تلت حوادث «قيام فيضيّة» (١٥ خرداد ١٣٤٢ /

---

١. منتجع في شمال طهران يتمتّع بطقس رائع في فصل الصيف ـ المترجم.

٥ حزيران ١٩٦٣ م) كان السيّد الطباطبائي يقصد شارع بهار في طهران لتدريس بعض كبار الحقوقيّين في منزل «ذوالمجد الطباطبائي» المحامي.

أحياناً عندما نزوره في هذا المنزل نجده يشتغل في تفسير الميزان.

آمنت بالله وتوكّلت على الله

روى لي الفاضل السيّد جعفر الكشفي ذكريات صديق له من أهالي شيراز هو السيّد عبدالمجيد السيفي مع العلّامة الراحل، والأخير كانت له معاناة في العهد المباد، وقد اضطرته الظروف إلى ترك عمله والاختفاء عن الأنظار وقد ظلّ مطارداً من قبل «السافاك» فسافرت إلى طهران وكنت في الحقيقة أنوي التوجّه إلى «مسجد جمكران».

عندما وصلت إلى قم تشرّفت بزيارة المرقد الشريف للسيّدة المعصومة، ثمّ توجّهت إلى مسجد جمكران (٦ كم شرق قم)، وهناك أدّيت فريضة الصلاة وقمت بالأعمال المندوبة من صلاة ودعاء، فألقي في روعي أن أزور العلّامة الطباطبائي فعدت إلى المدينة وكانت قوّة تجذبني إلى هناك.

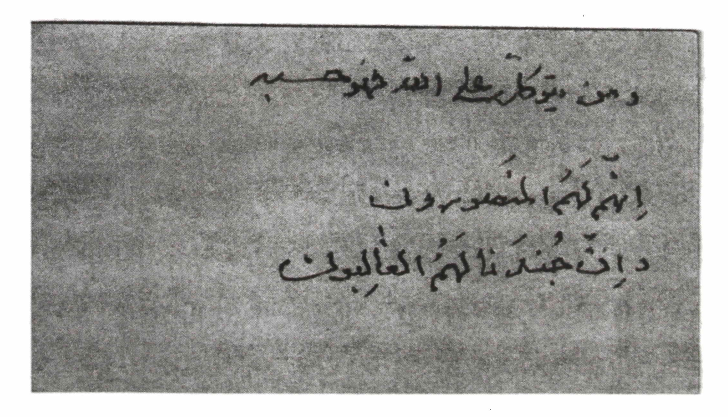
طرقت الباب فاذا به يفتح الباب ويرحب بي، وقادني إلى غرفة الضيوف ثمّ احضر بنفسه أكواب الشاي، ثمّ أقبل عليّ يسأل عن أحوالي فقصصت عليه المشكلات. كانت كلماته تنفذ في أعماقي وتمنحني الاحساس بالطمأنينة، كان معظم حديثه آيات من القرآن الكريم.

علّمني أن أردد بعض الآيات التي تحميني من شرّ السافاك أو الوقوع في قبضتهم، قلت له: يا سيّدي اكتبها في ورقة فأنا لا أستطيع الحفظ!

استغرق اللقاء خمساً وأربعين دقيقة، غادرت المنزل وكلي سكينة وطمأنينة بينما كنت مضطرباً مشوّش الفكر والخاطر.

(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)

آمنت بالله وتوكلت على الله


ومن يتوكل على الله فهو حسبه

إنهم لهم المنصورون

وإن جندنا لهم الغالبون

آيات من القرآن الكريم بخطّ العلّامة الطباطبائي تكون حرزاً للسيّد سيفي

وكنت قد قلت للعلّامة انّني بصدد افتتاح متجر ولم أقل له انّني لا املك رأس المال فقال لي: ومن يتوكّل على الله فهو حسبه.

ولمّا عدت إلى شيراز، لم أتعرّض لأذى السلطات، وافتتحت متجراً من دون أن يكون عندي رأس المال لذلك سوى ثقة تجّار البازار في طهران وكان هذا من نعم الله سبحانه، وبركات ذلك الرجل الالهي.

وازدهرت تجارتي لكن لم تمض فترة حتّى افتتح جيراني دكاناً لبيع أشرطة الغناء المحلّي والأجنبي وكانت مكبّرات الصوت تزعجني، فقطعت علاقتي به.

وفي سفرتي إلى قم للزيارة التقيت العلّامة وشكوت له ذلك فرفع رأسه بعد لحظات سكوت وقال:

ـ هو سيذهب!

ولما عدت إلى شيراز اذا بالرجل بعد أيّام يدخل المتجر ويعتذر إليّ ويقول: انه سيغيّر نوع عمله وينتقل إلى مكان آخر.

وبيمنه رزق الورى!

اتّصلت بالسيّد حسين آقا كاغذيان وهو من الأصدقاء الأعزّاء (عضو هيئة أُمناء دار التبليغ الإسلامي) وكان أحد مريدي العلّامة الطباطبائي.

فروى لي احدى ذكرياته التي تعود إلى حفل تكريمي أُقيم لتوديع البروفيسور هنري كوربان ودار حوار بينه وبين العلّامة الراحل.

وقد حضر اللقاء عدد من المترجمين الايرانيّين والفرنسيّين وتحدّث كوربان وكان ما علّق بذاكرتي قوله:

ـ في فرنسا كانت لي مشاركة في مؤتمر حول الأديان وقد سردت الكثير من المعلومات التي تتعلّق بالفكر الانساني والاسلامي، فتساءل بعضهم عن مصدر هذه المعلومات فذكرت لهم من علماء الشيعة في إيران وفي طليعتهم العلّامة الطباطبائي.

وقد انتقدتهم على عدم اهتمامهم بعلماء الشيعة واعتبارهم إيران من الدول المتخلفة! نعم من الممكن انّ أُوربا قد حقّقت تقدّماً في التكنولوجيا ولكن من ناحية الفكر الانساني والديني الذي تتعطّش له البشريّة في عصرنا الراهن فانّه موجود لدى علماء الشيعة فقط.

وقد سنحت لي فرصة أن أسأله عن رأيه بالامام المهدي عليه السلام حيث الفكر الشيعي يستند إلى الايمان به.

نظر إليّ نظرة أودعها ايمانه بالامام الغائب عجّل الله ظهوره المبارك وقال:

ألم تقرأ:

بيمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسماء؟!

وقد تركت نظرات العلّامة وقد تجمّعت دموع الحبّ والشوق فيهما أثراً قويّاً لدى الحاضرين.

▣ الاستاذ أبوالفضل عربزاده، معروف في الأوساط الحوزويّة وبخاصّة الباحثين إذ تولّى مسؤوليّة المكتبة في مدرسة آية الله

الگلپايگاني[١] التقيته في ظلال مرقد السيّدة فاطمة المعصومة وسألته عن ذكرياته مع العلّامة الطباطبائي.

فروى لي هذه الحكاية قائلاً:

ـ كنت جالساً في مكتبة دار التبليغ فجاء البواب وقال: انّ العلّامة جالس على مصطبة الباب للاستراحة، فبادرت إليه ودعوته للدخول فأبى.

أردت احضار كرسي فمنعني وعزم عليّ ألا أفعل، قلت له: اذن دع «مشهدي[٢] محمّد» يحمل عنك الحقيبة، فابتسم وقال:

ـ لا! صاحب الشيء أحقّ بحمله!

وقبل أن يغادر المكان قال:

ـ ما أجمل أن يحمل الانسان عبئه بنفسه.

وما تزال هذه الحكمة عالقة في الذاكرة.

علال الفاسي

إذا غادر العلّامة (الحوزة) فما الذي يتبقى؟!

---

١. وقبلها مكتبة دار التبليغ الإسلامي، ومكتبة آية الله الحائري الطهراني رحمه الله.

٢. مشهدي تطلق على من زار مشهد الإمام الرضا عليه السلام، وفي العراق وجنوب إيران (اقليم خوزستان) يطلق على من يزور الامام الرضا عليه السلام في مشهد لقب «زاير» و«زايرة» كما يطلق الايرانيّون على من يزور كربلاء لقب «كربلائي» أو «كبلائي» طبعاً هذا قبل عقود طويلة قبل ظهور الوسائط النقليّة الحديثة ـ المترجم.

خلال زيارة البروفيسور علال الفاسي[1] إلى بعض المؤسّسات الثقافيّة في قم، وفي زيارته دار التبليغ الاسلامي تطرّق الحديث إلى انطباعاته عن هذه الزيارة، فأشار إلى لقائه بالعلّامة وما جرى من حوار معه ثمّ قال: تساءلت مع نفسي ترى ما الذي يتبقى في الحوزة لو غادرها العلّامة الطباطبائي؟!

فقلت في نفسي:

«ولا يعرف قيمة التبر إلّا الصائغ».

الدكتور باهر: كان دائم الذكر

التقيت الدكتور باهر فروى جانباً من ذكرياته مع العلّامة أيّام كان راقداً في مستشفى الگلپايگاني وكان يتفقّد حالته الصحّة:

ـ عجيب أمره! لقد كان دائم الذكر.

واذكر انّ الإمام الخميني ﵀ طلب من الدكتور منافي أن يزور العلّامة في المستشفى ويتفقّد أحواله.

وأثر تلك الزيارة تشكّلت جلسة بحضور الدكتور منافي، الدكتور باهر، الدكتور آچاريا الهندي والمرحوم مناقبي صهر العلّامة، المهندس عبدالباقي نجل العلّامة وآخرين، وتمّ الاتّفاق على ارسال الملف الطبّي إلى سويسرا، وجاء الجواب انّه اجريت جميع الاختبارات اللازمة وانهم

---

١. من المغرب العربي زعيم حزب الاستقلال.

ينتظرون وصوله لتلقي العلاج.

اقترح الدكتور منافي نقل العلّامة إلى طهران بالهليكوبتر، وبعد ساعات من ذلك توفّي العلّامة الطباطبائي!

يقول (الأُستاذ أنصاريان): ربما كان للعلّامة روح عظيم وعلى حد تعبير الشهيد مطهّري روح متجرّد، وقد شعر بقرب الأمر فدعا الله عزّوجلّ أن يعرج روحه في مدينة قم من جوار المرقد النوراني للسيّدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

المرحوم الشيخ محمّد مهدي انصاريان وآية الكرسي

كان لوالدي رحمه الله ألفة خاصّة بتلاوة القرآن الكريم والدعاء، ارتياد مجالس الذكر، ذات يوم يلتقي العلّامة بالقرب من تقاطع «بيمارستان» (المستشفى) ويسأله عن آية الكرسي، ما هي حدودها؟

البعض يقول انّها تشمل الآيات الثلاث، وكتب الدعاء بعضها تذكر الآية الأُولى وحدها والبعض الآخر يضيف لها الآيتين بعدهما، ويقول انّها جزء من آية الكرسي يعني إلى «هم فيها خالدون» فقال العلّامة: ألم يقولوا آية الكرسي؟ فهي آية واحدة فقط.

مسك الختام

ومسك الختام في هذه الذكريات ما كتبه أحد كبار العلماء:

في مقالة كتبها السيّد القائد آية الله الخامنئي:

◙ كان المرحوم والدي (آية الله الحاج السيّد جواد الخامنئي) وآية الله الميلاني وآية الله الطباطبائي «سه يار دبستاني بودند»[١] ومعنى هذه الجملة أنّ هؤلاء الثلاثة كانوا يأنسون ببعضهم إلى الحدّ الذي عبّر عنهم آية الله الخامنئي بهذه العبارة.

ان ما أذكره هو ما قرأت وسمعت من آراء كبار العلماء والمفكّرين في شخصيّة العلّامة الراحل الذي عانى ما عانى طعنات الجهلة والمغرضين وفاءً لذكراه الطيّبة:

قال العلّامة الطباطبائي:

ـ قال أُستاذنا المرحوم الكمپاني: الامام الحسين عليه السلام يتجلّى لأهل الجنّة مرّة في كلّ عام.

ـ لا أشكّ في اتّصال اثنين بالامام الحجّة عليه السلام: العلّامة السيّد بحرالعلوم والسيّد ابن طاووس.

ـ كلّ الأحكام الفقهيّة والاخلاقيّة والعقيديّة تجتمع جميعاً في «لا إله إلّا الله» مثلما انّ «لا إله إلّا الله» مبثوثة في الفقه والاخلاق والعقيدة.

ـ هؤلاء الذين لا يعرفون معاني دعاء كميل، دعاؤهم أفضل من الذين يعرفون، لأن لسانهم «فان» في لسان «أميرالمؤمنين عليه السلام».

---

١. جملة غاية في الحميميّة تطلق على أصدقاء ورفاق المرحلة الابتدائيّة من الدراسة، ففي هذه المرحلة تتكوّن الصداقة البريئة والعلاقات الحميميّة والصميميّة بين الأطفال حيث تستمر لعشرات السنين ـ المترجم.

ـ اقتضت مشيئة الله إلّا تنفتح مباحث «المعاد» للانسان خلاف مباحث «التوحيد».

ـ اذكروا الله يذكركم الله، ان ذكر الله ينقذ الانسان من الجهل ويفتح له باب الخلاص من مشكلاته الأخلاقيّة.

ـ قطرة واحدة تذرف من أجل الامام الحسين عليه السلام تطفئ نار جهنّم باذن الله كما انّ التوبة تمحو الذنوب جميعاً[١].

ـ كلّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام نبع للحنان، عندما ادخل حرم الامام الرضا عليه السلام أشعر بذلك في داخلي.

تلامذة العلّامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه

فيما يلي أسماء تلامذة العلّامة رضوان الله عليه وفيهم قامات شامخة، علماء ومفكّرون وشهداء:

محمّد فاضل لنكراني، مرتضى مطهّري، سيّد مرتضى جزائري، سيّد إبراهيم خسروشاهي، محمّد حسين بهشتي، ناصر مكارم شيرازي، جعفر سبحاني، حسين نوري همداني، سيّد محمّد حسين علوي بروجردي، سيّد عبدالكريم موسوي اردبيلي، سيّد محمّد ضياءآبادي، محمّد علي گرامي قمي، سيّد محمّد باقر ابطحي اصفهاني، شيخ ابراهيم اميني، جوادي آملي، حسن‌زاده آملي، ممدوحي كرمانشاهي، سيد حسن

١. كان ينتحب بالبكاء في مجالس العزاء الحسين عليه السلام ولبكائه يبكي الآخرون.

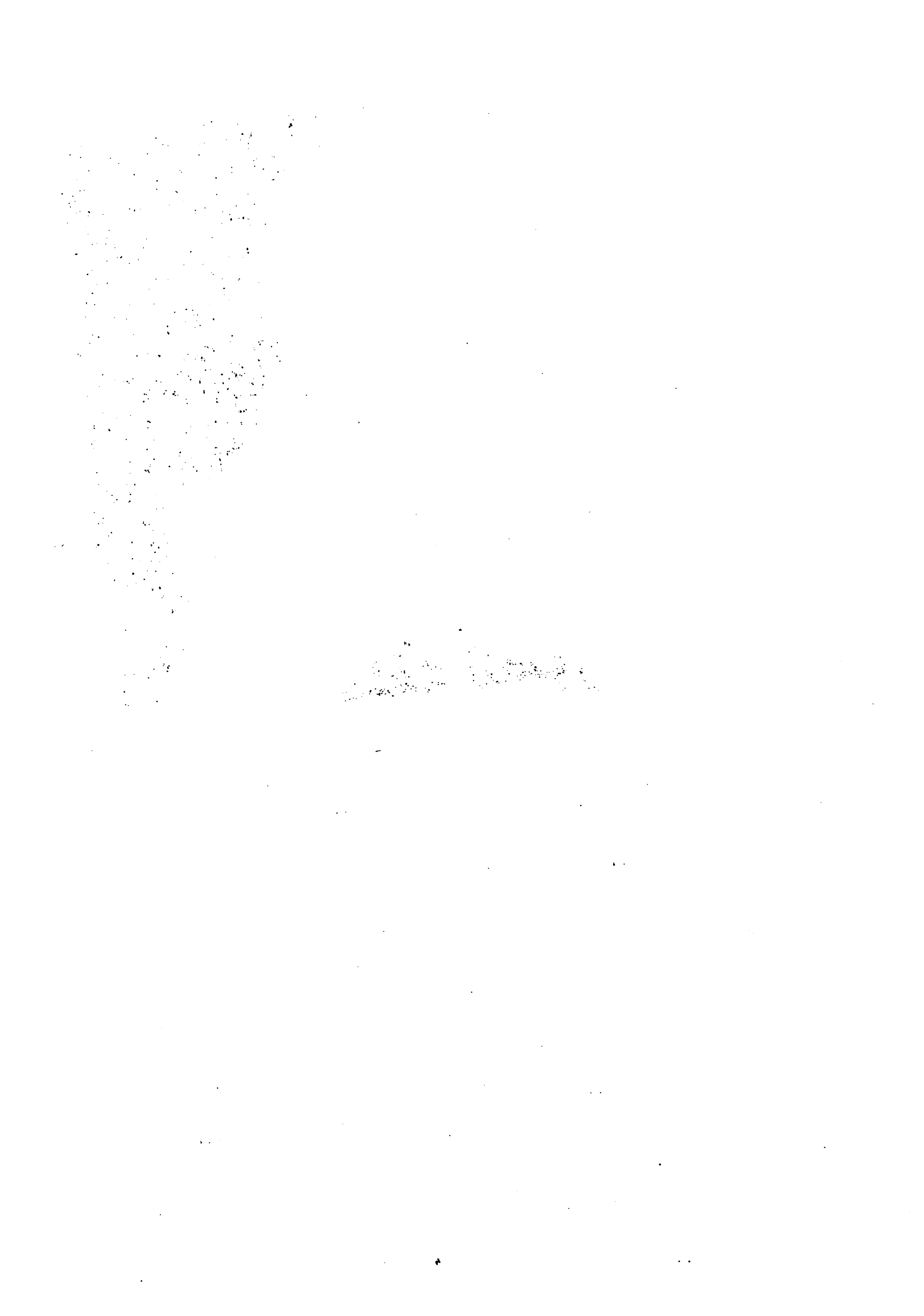
طاهري خرم آبادي، احمد آذري قمي، محمّد محمّدي گيلاني، زين العابدين قرباني، محمّد تقي مصباح يزيدي، عابدي زنجاني، شيخ حسين گوگاني، سعادتپرور (پهلواني)، سيّد مهدي ابن الرضا خونساري، وجداني فخر، محمّد رضا مهدوي كني، رسولي اراكي، محمّد امامي كاشاني، ابوالقاسم خزعلي، صالحي مازندراني، سيّد مهدي حسيني روحاني، شيخ علي أحمدي ميانجي، مير محمدي زنجاني، ابطحي كاشاني، سيّد ابوالفضل تبريزي، سيّد مهدي يثربي كاشاني، سيّد مصطفى خميني، على اكبر مسعودي خميني، محمّد مفتّح، رضا گلسرخي كاشاني، علي حجّتي كرماني، سيّد هادي خسروشاهي، موحدي كرماني، عبدالسيّد محمودي بهبهاني، خوشوقت تهراني، مجتبى حاجي آخوند كرمانشاهي، عبدالمجيد رشيدي تهراني، محمّد رضا شهاب يزدي، محيالدين أنواري، محمّد علي شيخ زاده قمي، عليرضا الهي قمّي، ميرزا حسين نوري همداني، آقا مجتبى تهراني، اكبر هاشمي رفسنجاني، محمّد جواد باهنر، موسى صدر، أحمد أحمدي خميني، غلامرضا ابراهيمي ديناني، محمّد حسين رخشاد، محمّد عبد خدائي، سيّد محمّد حسين حسيني تهراني، رضا استادي، محمّد حسن مرتضوي لنگرودي، شيخ حسين مظاهري، سيّد جلال الدين آشتياني، يحيى انصارى شيرازي، سيّد هاشم حسيني تهراني، عبّاس ايزدي، عزالدين حسيني زنجاني، سيّد محمّد علي موحّد ابطحي، عبدالحميد شربياني، أبوطالب تجليل تبريزي، سيّد محمّد مهدي مرتضوي لنگرودي،

مجدالدين كرمانشاهي، محمّد إسماعيل صائني زنجاني، سيّد كمال موسوي، صدرالدين ربّاني، شيخ مهدي حائري تهراني، شيخ محمّد مؤمن قمي، شيخ علي بهجت، شيخ حسن معزّي، شيخ محمّد كريم پارسا، ربّاني شيرازي، ربّاني املشي، محمّد رضا صالحي كرماني، شيخ حسين شب‌زنده دار، شيخ حسين كرماني، سيّد أحمد واحدي.





ملفّ الصور



بسم الله الرحمن الرحیم.

استاد علامه، مرحوم سید محمد حسین حسینی طباطبایی (ره)، برای دوستداران قرآن و عترت شناخته‌تر از آن است که در این مختصر سخنی تازه درباره وی بتوان گفت.

مرحوم علامه، به هنگام اقامت در نجف به نوشتن تفسیری پرداخت که بیشتر روایی بود و خود عنوان البیان فی الموافقة بین الحدیث والقرآن را بر آن نهاد. علامه این تفسیر را تنها تا اواسط سوره یوسف به انجام رساند و دنباله کار را بنا بر دلایلی رها کرد و به تألیف کار بزرگ خود، المیزان فی تفسیر القرآن پرداخت.

البیان را که هنوز به چاپ نرسیده است، می‌توان نسخه‌ای از المیزان شمرد با این تفاوت که مباحث عقلی در المیزان گسترده‌تر از البیان است و مطالب نقلی البیان بر این موارد در المیزان فزونی دارد.

برای گرامیداشت یکصدمین سالگرد ولادت مرحوم علامه طباطبایی، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی به چاپ نسخه‌ای از تفسیر البیان، به روش دستی مبادرت کرده است. همچنین به پیوست آن، بخش‌هایی از نسب‌نامه خاندان طباطبایی - که علامه خود سال‌ها پیش آن را نگاشته - درج شده است.

این جانب از دفتر تنظیم و نشر آثار علامه طباطبایی (ره) برای در اختیار گذاردن نسخه‌ای دستنویس این کتاب، و از آقای بابک گرجی، به جهت حسن سلیقه در چاپ دستی این اثر سپاسگزارم و توفیق روزافزون ایشان را آرزومندم.

احمد مسجد جامعی

۸۱/۸/۲۵

تفسير البيان (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم اه الناس ربما يعملون عملا او يبتدئون
في عمل باسم عزيز من اعزتهم او كبير من كبرائهم ليكون عملهم مباركا بذلك او
ذكرى يذكرهم به ومثل ذلك موجود في باب التسمية فربما يسمون انسانا او
شيئا مصنوعا او معمولا باسم من يودونه او يعظمونه ليبقى الاسم ببقائه وهذا
القاء نسبة بين المسمى وصاحب الاسم ليكون لصاحب الاسم نوع بقاء ببقاء
المسمى فلا يزول ولا ينسى وقد جرى كلامه سبحانه هذا المجرى ليكون ما يشتمل
عليه من الخير مرتبطا باسمه سبحانه وادبا وتعليما للعباد في اعمالهم وافعالهم
واقوالهم فيبتدئوا باسمه ويعملوا به ليكون منعوتا بنعته ومقصودا لاجله سبحانه
وفيها ايماء ان العمل موجه لوجه الله فلا يكون هالكا مبترا باطلا اذ قد بين
سبحانه في مواضع من كلامه ان ما ليس لوجهه الكريم مبتر باطل هالك
وانه سيقدم الى ما عملوا من عمل اريد به غيره فيجعله هباء منثورا ويحبط
عنهم ما كانوا يعملون من قبل وما كانوا يفترون فكل امر واتم فانما
نصيبه من البقاء والبركة بقدر ما لله سبحانه فيه من النصيب فلو كان
منعوتا بنعته مسمى باسمه مقصودا لاجله سبحانه والا فهو هالك ابتر
لا عقب له وهذا المعنى ما رواه الفريقان عن النبي ص كل امر ذي بال لم
يبدء فيه باسم الله فهو ابتر الحديث ثم انه سبحانه كرر في كلامه ذكر السورة
كثيرا كقوله سبحانه فأتوا بسورة مثله وقوله سبحانه فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وقوله سبحانه واذا انزلت سورة وقوله سبحانه سورة انزلناها وفرضناها فبان لنا
من ذلك ان لهذه الطوائف من كلامه سبحانه التي فصلها قطعا قطعا
وسمى كل قطعة منها سورة نوع من وحدة التأليف والتمام لا يوجد بين
ابعاض من سورة ولا بين سورة وسورة ومن ذلك يعلم ان الاغراض

جانب ممّا نشر في الصحافة الأجنبيّة حول العلّامة الراحل رحمه الله :



THE ORIGIN & GROWTH OF SHI'ISM

PART (8)

Allamah Tabatabai

It was also during the period of the rule of the second caliph that new social and economic forces led to the uneven distribution of the public treasury (bayt al-mal) among the people, 32 an act which was later the cause of bewildering class differences and frightful and bloody struggles among Muslims. At this time Mu'awiyah was ruling in Damascus in the style of the Persian and Byzantine kings and was even given the title of the "Khusraw of the Arabs" (a Persian title of the highest imperial power), but no serious protest was made against him for his wordly type of rule.33

The second caliph was killed by a Persian slave in 23/644. In accordance with the majority vote of a six-man council which had assembled by order of the second caliph before his death, the third caliph was chosen. The third caliph did not prevent his Umayyad relatives from becoming dominant over the people during his caliphate and appointed some of them as rulers in the Hijaz, Iraq, Egypt, and other, Muslim lands.34 These relatives began to be lax in applying moral principles in government. Some of them openly committed injustice and tyranny, sin and inequality, and broke certain of the tenets of firmly established Islamic laws.

Before long, streams of protest began to flow toward the capital. But the caliph, who was under the influence of his relatives – particularly Marwan ibn Hakam35 – did not act promptly or decisively to remove the causes against which the people were protesting. Sometimes it even happened that those who protested were punished and driven away.

An incident that happened in Egypt illustrates the nature of the rule of the third caliph. A group of Muslims in Egypt rebelled against Uthman. Uthman sensed the danger and asked Ali for help, expressing his feeling of contrition. Ali told the Egyptians, "You have revolted in order to bring justice and truth to life. Uthman has repented saying, 'I shall change my ways and in three days will fulfill your wishes. I shall expel the oppressive rulers from their posts.'" Ali then wrote an agreement with them on behalf of Uthman and they started home. On the way they saw the slave of Uthman riding on his camel in the direction of Egypt. They became suspicious of him and searched him. On him they found a letter for the governor of Egypt containing the following words: "In the name of God. When 'Abd al-Rahman ibn 'Addis comes to you beat him with a hundred lashes, shave his head and beard and condemn him to long imprisonment. Do the same in the case of 'Amr ibn al-Hamq, Suda ibn Hamran, and 'Urwah ibn Niba'." The Egyptians took the letter and returned with anger to Uthman, saying, "You have betrayed us!" Uthman denied the letter. They said, "Your slave was the carrier of the letter." He answered, "He has committed this act without my permission." They said, "He rode upon your camel." He answered, "They have stolen my camel." They said, "The letter is in the handwriting of your secretary." He replied, "This has been done without my permission and knowledge." They said, "In any case you are not competent to be caliph and must resign, for if this has been done with your permission you are a traitor and if such important matters take place without your permission and knowledge then your incapability and incompetence is proven. In any case, either resign or dismiss the oppressive agents from office immediately." Uthman answered, "If I wish to act according to your will, then it is you who are the rulers. Then, what is my function?" They stood up and left the gathering in anger.

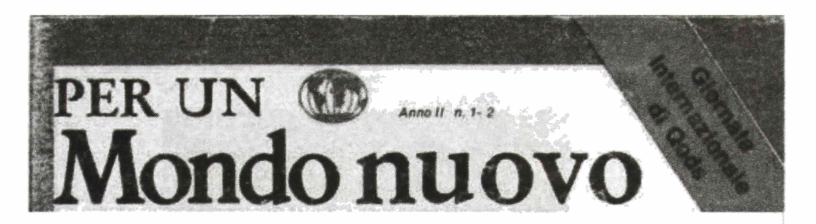
During his caliphate Uthman allowed the government of Damascus, at the head of which stood Mu'awiyah, to be strengthened more than ever before. In reality, the center of gravity of the caliphate as far as political power was concerned was shifting to Damascus and the organization in Medina, the capital of the Islamic world, was politically no more than a form without the necessary power and substance to support it.37 Finally, in the year 35/656, the people rebelled and after a few days of siege and fighting the third caliph was killed.

The first caliph was selected through the vote of the majority of the companions, the second caliph by the will and testament of the first, and the third by a six-man council whose members and rules of procedure were organized and determined by the second caliph. Altogether, the policy of these three caliphs, who were in power for twenty-five years, was to execute and apply Islamic laws and principles in society in accordance with ijtihad and what appeared as most wise at the time to the caliphs themselves. As for the Islamic sciences, the policy of these caliphs was to have the Holy Quran read and understood without being concerned with commentaries upon it or allowing it to become the subject of discussion. The hadith of the Prophet was recited and was transmitted orally without being written down. Writing was limited to the text of the Holy Quran and was forbidden in the case of hadith.38

After the battle of Yamamah which ended in 12/633, many of those who had been reciters of the Holy Quran and who knew it by heart were killed. As a result Umar ibn al-Khattab proposed to the first caliph to have the verses of the Holy Quran collected in written form, saying that if another war were to occur and the rest of those who knew the Quran by heart were to be killed, the knowledge of the text of the Holy Book would disappear among men. Therefore, it was necessary to assemble the Quranic verses in written form.

From the Shi'ite point of view it appears strange that this decision was made concerning the Quran and yet despite the fact that the prophetic hadith, which is the complement of the Quran, was faced with the same danger and was not free from corruption in transmission, addition, diminution, forgery and forgetfulness, the same attention was not paid to it. On the contrary, as already mentioned, writing it down was forbidden and all of the written versions of it that were found were burned, as if to emphasize that only the text of the Holy Book should exist in written form.

As for the other Islamic sciences, during this period little effort was made to propagate them the energies of the community being spent mostly in establishing the new sociopolitical order. Despite all the praise and consecration which are found in the



MOHAMMAD ALLA LUCE DELL'ISLAM


'Allāmah Sayyid Muhammad Husayn Tabāṭabā'ī

III parte

M.H.Tabataba'i

La scienza e la conoscenza dal punto di vista islamico

Coloro che si sono dedicati allo studio delle diverse religioni esistenti nel mondo senza dubbio saranno arrivati alla conclusione che nessuna religione rivelata e nessuna dottrina supera l'Islam nel rispetto per la scienza e la conoscenza e nell'incoraggiamento offerto all'acquisizione del sapere.

Nel Corano troviamo parole di grande lode per la scienza e il sapere:

"Sono forse uguali quelli che sanno e quelli che non sanno?" (Cor: 39, 9).

Il profeta dell'Islam si è così pronunciato:

"Il compito di acquisire conoscenza grava su ogni musulmano";

"Persegui la conoscenza dalla culla alla tomba";

"Cerca la conoscenza anche in Cina".

Il Corano prescrive ai suoi fedeli di non abbandonare mai il cammino della scienza, di non seguire ciò che è dubbio o ipotetico, di non accettare senza la necessaria riflessione quanto giunge passivamente all'orecchio o al pensiero, poiché i musulmani sono considerati responsabili delle loro credenze:

"E non seguire quello di cui nulla conosci, poiché e l'udito e la vista e il cuore, di tutto questo sarà chiesto conto" (Cor.. 17, 36).

Come abbiamo illustrato, l'Islam incoraggia i fedeli ad acquisire con tutte le loro forze scienza e sapere. Nella dottrina islamica la conoscenza dei principi di fede e dei precetti della Shari'at costituisce un dovere.

"Non occorre che i Credenti escano in campo tutti. Perché piuttosto non potrebbe uscire a battersi un gruppo di ogni loro tribù per istruirsi nella religione e poi, tornati, ammonire la loro gente, acciocché stiano in guardia?" (Cor.: 9, 122).

Bisogna però considerare che le capacità e il talento degli individui nella comprensione della verità e nell'acquisizione del sapere variano. Ci sono individui dalla mente semplice, non dotati di un'intelligenza speculativa, che svolgono un lavoro di tipo manuale e la cui vita è limitata alla sfera materiale. Altri invece dispongono di un'eccezionale e naturale vivacità nella comprensione delle teorie scientifiche e dei più profondi concetti. Altri ancora abbandonano completamente il pensiero e l'azione, in quanto nutrono una particolare avversione verso tutto ciò che è legato alla carne e al buio mondo della materia con le sue bellezze ingannevoli e fugaci. Essi sono attratti dal mondo soprannaturale e hanno vivo nell'animo un amore straordinario per le bellezze eterne e infinite, di cui le meraviglie di questo mondo non sono che un pallido riflesso. Questi ultimi, grazie a una particolare illuminazione interiore, possono facilmente comprendere le verità e i misteri di quel mondo.

Considerando queste diversità, che in modo tanto evidente si vedono tra gli individui, l'Islam impartisce il suo insegnamento in tre modi diversi, rivolgendosi a ciascuna di queste categorie di uomini col linguaggio peculiare a ognuna di esse.

Al primo gruppo viene impartito un insegnamento che fa leva sull'aspetto formale od esteriore della religione; il secondo gruppo viene ammaestrato attraverso la logica e l'argomentazione razionale; il terzo gruppo infine viene invitato alla lotta contro la carne e alla purificazione interiore. A questo proposito, nel Corano ricorre questa similitudine: "Ha fatto scendere acqua dal cielo e se ne riempiono a corsa, secondo l'ampiezza loro, le valli" (Cor.: 13, 17)

E il Profeta ha detto:

"Noi profeti dobbiamo parlare agli uomini in base alla loro capacità di comprensione". L'Islam a quei fedeli non dotati di capacità speculative che seguendo la via dell'argomentazione razionale rischierebbero di errare o di smarrirsi, richiede solo ciò che è nei limiti delle loro possibilità. L'insegnamento che viene loro rivolto è basato, oltre alla conoscenza dei tre principi fondamentali di fede - unità di Dio, missione profetica, resurrezione - su semplici ingiunzioni, quali il comando di compiere il bene e il divieto di perpetrare il male. Le semplici espressioni di

6 PER UN MONDO NUOVO

نصّ ما كتبه آية الله المرعشي النجفي حول تفاسير القرآن الكريم وتفسير الميزان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب على عبده وجعله سراجاً منيرا، والصلاة والسلام على قدوة المرسلين وشفيع المذنبين، سيدنا ونبينا ابي القاسم محمد وآله الطاهرين، واهل بيته المياميع الحسن الحسين وغياث المضطرين المستكين.

وبعد: لا يخفى انّ القرآن الشريف هو الكتاب المهيمن الشهيد الامين على كل كتاب قبله، بحيث النظم، متلوّ لا يمل على طول التلاوة، ولا تمجّ الآذان بسماعه، غضّ لا يخلق، طريف لا تنقضي عجائبه، مفيد لا تنقطع فوائده، جمع الكثير من المعاني في قليل من الالفاظ، اصبحت القلوب له متعلقة، والنفوس اليه مائلة، والايدي الى الاستفادة منه ممتدّة، لا يعرف فضله الّا من دقّ نظره، ورقّ فكره، واتسع علمه، وثقب فهمه، إذ فيه بيان المطالب السّامية، والمآرب الشامخة، بصنوف التعريض والافصاح، والكناية والايضاح، والاخفاء والاظهار، والحذف والتكرار، والتقديم والتأخير، والقلب والتمثيل، والاستعارة والتجوّز بالارسال والاسناد، ومخاطبة الواحد بخطاب الجمع، والجميع بخطاب الواحد، وتخصيص العموم، وتعميم الخصوص.

وبالجملة: هو الكتاب المعجز الذي أعيى الورى عن الاتيان بمماثله، ينادي بأعلى صوته بين لابتي العالم منذ قرون متطاولة بقوله (فأتوا بسورة من مثله) فهل أتى العرب العرباء اوغيره من الامم من ذوي الافكار بشيء يعارضه او يضاهيه حاشا وكلّا مع كثرة الاعداء والخصوم من ارباب الملل والنحل والأهواء والفضل، هيهات هيهات أنّى لهم ذلك ما امكن ولن يمكن، اذ هو السفر الوحيد الذي اشتمل على مصالح العباد، وما به قوام معاشهم ومعادهم وحياة ارواحهم، و تزكية نفوسهم عن الرذائل، وتحليتها بالخلال الحميدة، والخصال الراضية المرضيّة، قد ادّى كل ذلك ببيان فصيح، ومقال بليغ مليح، حتى حار رجال العلم في كشف الحجب عن وجوه إعجازه بعد تسلّمه بالوجدان والبرهان في أنّه هل إعجازه بفصاحته او بلاغته؟ أو اشتماله على المعارف والالهيّات، والحكم التي لم تمسه أيدي ارباب الأنظار، ومن ثمّ توجّهت اليه الهمم، وحجّت الأفئدة الى كعبة المقدسة من كل فج عميق وتلال ووهاد.

فلله درّ علماء الاسلام حيث لم يألوا الجهود في البحث والتحقيق عن المزايا والكنوز المخبية، لا سيما

اصحابنا معاشر شيعة آل الرسول الاكرم، فانهم خاضوا اللجج وسهروا الليالي في ذلك الشأن الخطير، فكم نبغ فيهم من نوابغ، من مفسر، وقارئ مجود، وحافظ اياه عن ظهر القلب، وباحث عن علومه وكيفية اعجازه وتحديه.

ومن اهم العلوم المتعلقة اللصيقة به هو علم التفسير الذي به يكشف الخمار والقناع عن معانيه ويهتدي الى مغانيه. فمن ثم شمر الذيل ذوو العلم والفضل من المسلمين في ذلك فاكثروا من التصنيف فيه، الا ان المشارب والأذواق حيث كانت مختلفة في الغاية قلما ترى بينها كتابا يسد الخلة عن كل جهة ووجهة.

فمن مقتصر على وجوه الاعاريب والقراآت من دون تعرض للمسائل العلمية والقواعد المستخرجة منه، ولا اسباب النزول، والتفاسير على هذا النمط كثيرة من اصحابنا كالوجيز في تفسير الكتاب العزيز للعلامة الشيخ علي بن الحسين بن ابي جامع العاملي الذي فرغ منه سنة ١١٢٠هـ. ومنن الرحمان للعلامة المولى شمس الدين الكشميري نزيل اصفهان، وتفسير العلامة علم الهدى ابن العلامة صاحب الوافي، إلى غير ذلك مما تزيد على المآت والألوف.

وهناك عدة تفاسير وإن كانت فيها البحث عن لغاته وقراآته وتطبيق القواعد العربية عليه، الا انها لا تخلو عن غيرها من الفوائد العلمية ايضا وهي كثيرة في كتب اصحابنا:

كمجمع البيان للعلامة الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ.

والتبيان لشيخ الطائفة الامامية بالاطلاق مولينا ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، وغيرهما مما يعسر عدها.

ومن كتب التفاسير

ما كانت همم أربابها ايراد المسائل الكلامية والمعاضل الفلسفية والدقائق العلمية وهي ايضا كثيرة:

فمن كتب اصحابنا التي بهذه المثابة:

تفسير قدوة الفلاسفة صدر المتألهين المولى محمد بن ابراهيم الشيرازي الفيلسوف الشهير صاحب كتاب الاسفار المتوفى سنة ١٠٥٠هـ.

وتفسير العلامة القاضي سعيد القمي المتوفى سنة ١١٠٣هـ. وغيرها.

ومن كتب التفاسير

ما كان اهتمام ناسقه ايراد الاحاديث والروايات الواردة في تفسير الآيات الكريمة وتأويلها وهي كثيرة. فمن كتب اصحابنا:

تفسير البرهان للعلامة البحراني السيد هاشم بن عبد الجواد الكتكاني المتوفى سنة ١١٠٧ وقيل ١١٠٩هـ.

وتفسير نور الثقلين للعلامة الشيخ عبد علي الحويزي المتوفى سنة ١١١٢هـ. وغيرهما.

ومن المفسّرين

من جمع في كتابه التفسير بالمأثور وغيره، وهي ايضا كثيرة:

فمن كتب اصحابنا في هذا الشأن تفسير العلامة الشيخ علي السبزواري من علماء المأة العاشرة.

وتفسير نهج البيان لبعض علمائنا الكرام صنّفه باسم المستنصر بالله الخليفة العباسي وغيرهما.

ومن التفاسير

ما اراد صاحبه جمع كلمات المفسّرين على اختلاف مآربهم ومشاربهم، كتفسير: لوامع التنزيل للعلامة السيد ابي القاسم الرضوي اللاهوري من مشايخ والدي العلامة في الرواية المتوفى سنة ١٣٢٤ وقيل ١٣١٠هـ.

وتفسير العلامة الميرزا مهدي قليخان صاحب المدرسة المعروفة بـ «خان» الكائنة في بلدة قم، وكان من تلاميذ صاحب الوافي. وغيرهما.

ومن التفاسير

ما كان هم ناسقه تطبيق الآيات على الامور العادية والصنايع المخترعة والمكتشفات العصرية:

فمن ذلك في اصحابنا تفسير العلامة الميرزا عليخان الاديب الشيرازي الاصل الطهراني المسكن، وغيره.

ومن التفاسير

ما تفنن وابدع صاحبه بالتزامه ترك استعمال الكلمات المشتملة على الحروف

المعجمة :

كتاب سواطع الالهام للعلامة الشيخ ابي الفيض الهندي الناگوري المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ .

ومن التفاسير

الكتب التي تكلف صاحبها في مقام التفسير تطبيقها على قواعد علوم الحروف والاعداد والاشكال :

كتفسير العلامة المولى محمد حسين الشيرازي القسائي ونحوه .

ومن كتب التفاسير

ما صدرت من اهل التأويل والعرفان والتصوف ، وهي كثيرة :

منها : تفسير بحر الاسرار للمولى حسن النائيني الامامي المتوفى سنة ١١١٩ هـ .

وتفسير غلامرضا شاه العراقي «الاراكي» الجبار بالحاء المهملة نزيل النجف الاشرف المتوفى سنة ١٣٤٢ هـ ، وكان يسكن بمسجد الخضراء وصحن العلوي وهو من مشايخي في بعض العلوم

وتفسير العارف الشهير الحاج ميرزا حسن الصفي المتوفى سنة ١٣١٦ هـ .

وتفسير العارف الشهير الحاج ملا سلطان محمد الجنابذي البيدختي «بيان السعادة» الى غير ذلك .

ومن كتب التفاسير

ما اقتصر صاحبه على تفسير آيات الاحكام وهي كثيرة :

كزبدة البيان للعلامة المقدس المولى احمد الاردبيلي النجفي .

وكنز العرفان للعلامة الفاضل المقداد السيوري الحلي .

ومسالك الافهام للفاضل الجواد المتوفى سنة ١٠٣١ هـ .

وقلائد الدرر للعلامة الشيخ احمد الجزايري المتوفى سنة ١١٥٠ هـ .

وتفسير شاهي للعلامة الميرابي الفتح الحسيني الشريفي . الى غير ذلك .

ومن كتب التفاسير

ما سلك صاحبه الطريقة المُثلى ، واخذ بالنمط الاوسط ، وهي كثيرة :

منها: كتاب آلاء الرحمن للعلامة استاذنا فى الكلام والبحث عن الاديان آية الله الباهرة الشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ.

وتفسير البيان للعلامة المحقق المعاصر آية الله الحاج السيد ابى القاسم الخوئي نزيل النجف الاشرف، ادام البارى بركته ووفقه لتكميله.

وتفسير العلامة المصلح الآية الحجة السيد هبة الدين محمد على الحسيني الشهرستاني نزيل مشهد الامامين الكاظمين وغيرها.

ومن التفاسير

ما التزم مصنفه تفسير الآيات بالآيات:

وممن وفقه الله تعالى بهذا الشأن فى عصرنا العلامة الجليل الآية الحجة المتأله المتبحر الحاج السيد محمد الحسين الطباطبائي التبريزي ادام البارى سبحانه ايامه واسعد اعوامه، حيث جاد قلمه السيّال بتحرير تفسير سمّاه «بالميزان فى تفسير القرآن بالقرآن» فانّه لم يألوا جهده فى الباب، واتى بما هو العجب العجاب، ولعمرى انّ ما سمحت به براعته، وجادت قريحته جديرات تشدّ الى اقتنائه الرحال، والكتاب مسرود فى مفاخر العصر، وممّا تبتهج به الافئدة، وارجوا من فضل ربّي الكريم ان يوفقه لاتمامه واكماله وان يكثر بين اعلام الفضل امثاله.

ثم انّ الشاب الفاضل النشيط حجة الاسلام السيد محمد الباقر الموسوي الهمداني شمّر الذيل عن ساق الجدّ بترجمة هذا الجزء من ذاك التفسير الشريف مراعيًا لما هو المبتغى فى باب الترجمة من التثبت فى نقل كل ما فى الاصل من المزايا والنكات بقوالب سليسة، والفاظ جزلة، والامل من كرم البارى جلّ شأنه ان يوفقه لاتمامه وان يؤيدّه بتأييداته، انه البرّ الرحيم.

وفى الختام التمس من فطاحل المحصلين وروّاد العلم ان يعرفوا قدر الاصل والترجمة، وان يعتنوا بهما مزيد الاعتناء، واسئل الله تعالى ان يقرّ عيني بهم وبآثارهم وما سمحت وجادت به اقلامهم، انّه تعالى هو القدير على ذلك، والجدير بما هنالك.

قد فرغ العبد الحقير خادم علوم اهل بيت الوحي والسفارة ابو المعالي

شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي كان الله له في كل

حال ضحوة يوم الثلاثاء مستهل شهر

الله المبارك رمضان سنة

١٣٨٤ ببلدة قم المشرفة

حرم الائمة الاطهار

وعش آل محمد

حامداً مصلياً

مستغفرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذی انزل الکتاب علی عبده و جعله سراجا منیرا، و الصلاة و السلام علی قدوة المرسلین و شفیع المذنبین، سیدنا و نبیّنا ابیالقاسم محمد و آله الطاهرین، و اهل بیته المیامین، الحصن الحصین و غیاث المضّطر المستکین.

وبعد: لا یخفی انّ القرآن الشریف هو الکتاب المهیمن الشهید الامین علی کل کتاب قبله، عجیب النظم، متلوّ لا یملّ علی طول التلاوة، و لا تمجّ الآذان بسماعه، غضّ لا یخلق، طریف لا تنقضی عجائبه، مفید لا تنقطع فوائده، جمع الکثیر من المعانی فی قلیل من الالفاظ، اصبحت القلوب له متعلقه، و النفوس الیه مائله، و الایدی الی الاستفادة منه ممتدّة، لا یعرف فضله الّا من دقّ نظره، و رقّ فکره، و اتّسع علمه، و ثقب فهمه، إذ فیه بیان المطالب السّامیه، و المـآرب الشّامخه، بصنوف التعریض و الافصاح، و الکنایه و الایضاح، و الاخفاء و الاظهار، و الحذف والتکرار، و التقدیم و التأخیر، و القلب و التمثیل، و الاستعارة و التّجوز بالارسال و الاسناد، و مخاطبه الواحد بخطاب الجمع، و الجمیع بخطاب الواحد، و تخصیص العموم، و تعمیم الخصوص.

و بالجمله هو الکتاب المعجز الذی أعیی الوری عن الاتیان بمماثله، ینادی بأعلی صوته بین لا بتی العالم منذ قرون متطاوله بقوله (فاتوا بسورة من مثله) فهل أتی العرب العرباء او غیره من الامم من ذوی الافکار بشیء یعارضه او یضاهیه حاشا و کلّا مع کثرة الاعداء و الخصوم من ارباب الملل و النحل و الأهواء و الفصل، هیهات هیهات أنّی لهم ذلک ما امکن و لن یمکن، اذ هو السفر الوحید الذی اشتمل علی مصالح العباد، و ما به قوام معاشهم و معادهم و حیاة ارواحهم، و تزکیه نفوسهم عن الرذائل، و تحلیتها بالخلال الحمیدة، و الخصال الراضیة المرضیّة، قد ادّی کل ذلک ببیان فصیح، و مقال بلیغ ملیح، حتی حاررجال العلم فی کشف الحجب عن

وجوه إعجازه بعد تسلّمه بالوجدان و البرهان فی أنّه هل إعجازه بفصاحته او بلاغته؟ أو اشتماله على المعارف والالهيّات، و الحكم الّتی لم تمسسه أيدی ارباب الأنظار، و من ثمّ توجّهت إليه الهمم، وحجت الأفئدة إلى كعبة المقدسة من كلّ فجّ عميق و تلال ووهاد.

فللّه درّ علماء الاسلام حيث لم يألوا الجهود فی البحث و التحقيق عن المزايا و الكنوز المخبيّة فيه سيّما اصحابنا معاشر شيعة آل الرسول الاكرم، فانّهم خاضوا اللجج و سهروا الليالی فی ذلک الشأن الخطير، فكم نبغ فيهم نوابغ، من مفسرّ، و قاریٍّ مجوّد، و حافظ ايّاه عن ظهر القلب، و باحث عن علومه و كيفية اعجازه و تحدّيه.

و من اهمّ العلوم المتعلقة اللّصيقة به هو علم التفسير الذی به يكشف الخدر و القناع عن معانيه و يهتدی الى معانيه. فمن ثمّ شمّ الذيل ذوو العلم و الفضل من المسلمين فی ذلک فاكثروا من التصنيف فيه، الّا انّ المشارب و الأذواق حيث كانت مختلفة فی الغاية قلّما ترى بينها كتابا يسدّ الخلّة عن كلّ جهة و وجهة.

فمن مقتصر على وجوه الاعاريب و القراآت من دون تعرّض للمسائل العلمية و القواعد المستخرجة منه، و لا اسباب النّزول، و التفاسير على هذا النمط كثيرة من اصحابنا كالوجيز فی تفسير الكتاب العزيز للعلامة الشيخ على بن الحسين بن ابی جامع العاملی الذی فرغ منه سنة ١١٢٠ هـ . و منن الرحمان للعلامة المولى شمس الدين الكشميری نزيل اصفهان، و تفسير العلامة علم الهدى ابن العلامة صاحب الوافی، إلى غير ذلک ممّا تزيد على المآت و الألوف.

و هناک عدة تفاسير و إن كانت فيها البحث عن لغاته و قراآته و تطبيق القواعد العربيّة عليه، الّا انها لا تخلو عن غيرها من الفوائد العلمية ايضا و هی كثيرة فی كتب اصحابنا:

كمجمع البيان للعلامة الشيخ ابی على الفضل بن الحسن الطبرسی المتوفی سنة٥٤٦ هـ .

والتبيان لشيخ الطائفة الاماميه بالاطلاق مولينا ابى جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ۴۶۰ هـ ، و غيرهما ممّا يعسر عدّها.

و من كتب التفاسير ما كانت همم أربابها ايراد المسائل الكلامية و المعاضل الفلسفية و الدقائق العلميّة و هى ايضا كثيرة:

فمن كتب اصحابنا التى بهذه المثابة: تفسير قدوة الفلاسفة صدر المتألهين المولى محمد بن ابراهيم الشيرازى الفيلسوف الشهير صاحب كتاب الاسفار المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ . و تفسير العلامة القاضى سعيد القمى المتوفى سنة ١١٠٣ هـ . و غيرها.

ومن كتب التفاسير ما كان اهتمام ناسقه ايراد الاحاديث و الروايات الواردة فى تفسير الآيات الكريمة و تأويلها و هى كثيرة. فمن كتب اصحابنا: تفسير البرهان للعلامة البحرانى السيد هاشم بن عبد الجواد الكتكانى المتوفى سنة ١١٠٧ و قيل ١١٠٩ هـ و تفسير نور الثقلين للعلامة الشيخ عبد على الحويزى المتوفى سنة ١١١٢ هـ . و غيرهما.

و من المفسّرين من جمع فى كتابه التفسير بالمأثور و غيره، و هى ايضا كثيرة:

فمن كتب اصحابنا فى هذا الشأن تفسير العلامة الشيخ على السبزوارى من علماء المأة العاشرة. و تفسير نهج البيان لبعض علمائنا الكرام صنّفه باسم المستنصر بالله الخليفة العباسى و غيرهما.

و من التفاسير ما اراد صاحبه جمع كلمات المفسّرين على اختلاف مآربهم و مشاربهم، كتفسير: لوامع التنزيل للعلامة السيد ابى القاسم الرضوى اللاهورى من مشايخ والدى العلامة فى الرواية المتوفى سنة ١٣٢۴ و قيل ١٣١٠ هـ . و تفسير العلامة الميرزا مهدى قلى خان صاحب المدرسة المعروفة بـه «خان» الكائنة فى بلدة قم، و كان من تلاميذ صاحب الوافى و غيرهما.

و من التفاسير ما كان هم ناسقه تطبيق الآيات على الامور العادية و الصنايع المخترعة و المكتشفات العصرية: فمن ذلک فى اصحابنا تفسير العلامة الميرزا عليخان الاديب الشيرازى الاصل الطهرانى المسكن، و غيره

و من التفاسير ما تفنّن و أبدع صاحبه بالتزامه ترک استعمال الکلمات المشتملة على الحروف المعجمة: ککتاب سواطع الالهام للعلامة الشيخ ابى الفيض الهندى الناگورى المتوفى سنة ١٠٠۴ هـ.

و من التفاسير الکتب التى تکلّف صاحبها فى مقام التفسير تطبيقها على قواعد علوم الحروف و الاعداد و الاشکال: کتفسير العلامة المولى محمد حسين الشيرازى الفسائى و نحوه.

و من کتب التفاسير ما صدرت من اهل التأويل و العرفان و التصوف، و هى کثيرة: منها: تفسير بحر الاسرار للمولى حسن النائينى الامامى المتوفى سنة ١١١٩ هـ. و تفسير غلامرضا شاه العراقى «الاراکى» الحبّار بالحاء المهملة نزيل النجف الاشرف المتوفى سنة ١٣۴٢ هـ، و کان سکن مسجدا الخضراء فى الصحن العلوى و هو من مشايخى فى بعض العلوم و تفسير العارف الشهير الحاج ميرزا حسن الصفى المتوفى سنة ١٣١۶ هـ. و تفسير بيان السعادة للعارف الشهير الحاج ملا سلطان محمد الجنابذى البيدختى، الى غير ذلک.

و من کتب التفاسير ما اقتصر صاحبه على تفسير آيات الاحکام و هى کثيرة: کزبدة البيان للعلامة المقدسى المولى احمد الاردبيلى النجفى. و کنز العرفان للعلّامة الفاضل المقداد السيورى الحلى. و مسالک الافهام للفاضل الجواد المتوفى سنة ١٠٣١ هـ و قلائد الدّرر للعلامة الشيخ احمد الجزايرى المتوفى سنة ١١۵٠ هـ. و تفسير شاهى للعلامة المير ابى الفتح الحسينى الشريفى. الى غير ذلک.

و من کتب التفاسير ما سلک صاحبه الطريقة المثلى، و أخذ بالنمط الاوسط، و هى کثيرة:

منها: کتاب آلاء الرحمن للعلامة استاذنا فى الکلام و البحث عن الاديان آيةالله الباهرة الشيخ محمد الجواد البلاغى النجفى المتوفى سنة ١٣۵٢ هـ. و تفسير البيان للعلامه المحقق المعاصر آية الله الحاج السيد ابى القاسم الخوئى نزيل النجفى الاشرف، ادام البارى برکته و وفّقه لتکميله. و تفسير العلامة المصلح الآية الحجة السيد هبة الدين محمد على الحسينى الشهرستانى نزيل مشهد الامامين الکاظمين و غيرها.

و من التفاسير ما التزم مصنفه تفسير الآيات بالآيات:

و ممّن وفقه الله تعالى بهذا الشأن فى عصرنا العلامهٔ الجليل الايهٔ الحجهٔ المتألّه المتبحّر الحاج السيد محمد الحسين الطباطبائى التبريزى ادام البارى سبحانه ايّامه و أسعد اعوامه، حيث جاد قلمه السيّال بتحرير تفسير سمّاه بـ «الميزان فى تفسير القرآن بالقرآن» فانّه لم يأل جهده فى الباب، و اتى بما هو العجب العجاب، و لعمرى انّ ما سمحت به يراعته، و جادت قريحته جديران تشدّ الى اقتنائه الرحال، و الكتاب مسرود فى مفاخر العصر، و ممّا تبتهج به الافئده، و ارجوا من فضل ربى الكريم ان يوفّقه لاتمامه و اكماله و ان يكثر بين اعلام الفضل امثاله.

ثم انّ الشاب الفاضل النشيط حجهٔ الاسلام السيد محمد الباقر الموسوى الهمدانى شمّر الذيل عن ساق الجدّ بترجمهٔ هذا الجزء من ذاک التفسير الشريف مراعياً لما هو المبتغى فى باب الترجمهٔ من التثبّت فى نقل كلّ ما فى الاصل من المزايا و النكات بقوالب سلسيه، و الفاظ جزله، و الامل من كرم البارى جل شانه ان يوفّقه لاتمامه و ان يؤيّده بتأييداته، انه البرّ الرحيم.

و فى الختام التمس من فطاحل المحصلين و روّاد العلم ان يعرفوا قدر الاصل و التّرجمهٔ، و ان يعتنوا بهما مزيد الاعتناء، و اسئل الله تعالى ان يقرّ عينى بهم و بآثارهم و ما سمحت و جادت به اقلامهم، انّه تعالى هو القدير على ذلک، و الجدير بما هنا لک.

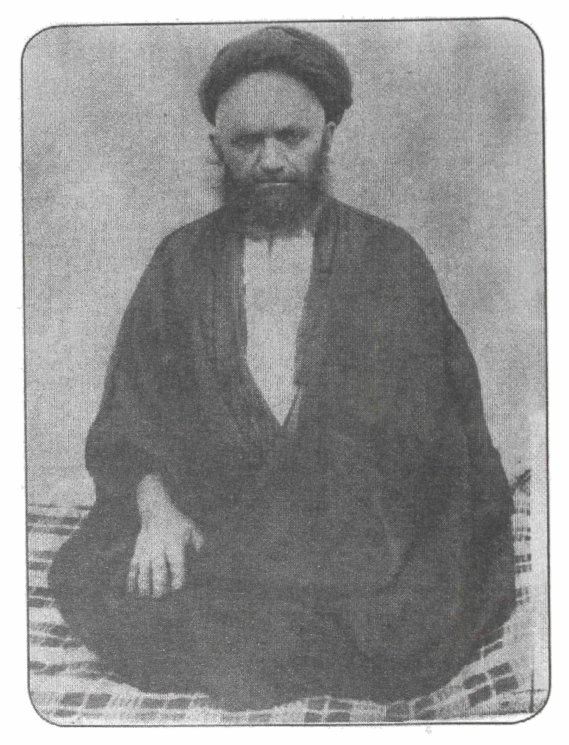
قد فرغ العبد الحقير خادم علوم اهل بيت الوحى و السفّارهٔ ابوالمعالى شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى كان الله له فى كل حال ضحوهٔ يوم الثلاثاً مستهلّ شهر الله المبارک رمضان سنهٔ ١٣٨٤ ببلدهٔ قم المشرّفهٔ حرم الائمهٔ الاطهار و عشّ آل محمّد حامداً مصليا مستغفرا.

منهج العلّامة الطباطبائي في تفسير القرآن الكريم

يقول العلّامة:

«وقد تبيّن انّ المتعيّن في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية وذلك بالتدرّب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام وذوق مكتسب منها ثمّ الورود، والله الهادي».

الميزان، ج٣، ص ٩٠.



آیت الله میرزا علی آقا قاضی طباطبایی

دستخط علامه سید محمد حسین طباطبائی پشت عکس استادش آیت الله حاج میرزا علی آقا قاضی طباطبایی

رسالة العلّامة الطباطبائي إلى الشهيد قدّوسي

١٤٧ ١٨ ذي القعدة / ٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطاهرين.
وأما بعد فقد أجزت للفاضل المحقق فخر الأعلام
الشيخ حسن المجد دامت بركاته العالية أن يروي
عني ما صحت لي روايته عن النبي الأكرم وآله
الطهر الميامين سلام الله عليهم أجمعين إجازة
عن مشايخي العظام وأساتيذي الأعلام بطرقهم
الصحيحة المتصلة منها ما أرويه عن الشيخ الفقيه
الزاهد الشيخ علي القمي إجازة عن شيخه المرحوم
الحاج ميرزا حسين النوري ره عن مشايخه
المذكورين في آخر مستدرك الوسائل ومنها
ما أرويه عن الآية العظمى البروجردي ره
عن استاذه المحقق الخراساني صاحب الكفاية قده
عن السيد محمد مهدي القزويني ره عن السيد
محمد باقر القزويني ره عن آية الله بحر العلوم عن
مشايخه المذكورين في آخر المستدركات وأرجو منه
سلمه الله أن يذكرني في مظان الاستجابة محمد حسين الطباطبائي

اجازة في الرواية منحها العلّامة الطباطبائي لآية الله الشيخ حسن المجد



الشيخ إبراهيم السيستانى، العلّامة الطباطبائي، الشيخ علي أكبر المرندي،
السيّد محمّد حسن الهى الطباطبائي،



السيّد أحمد الخونساري، السيّد أبو القاسم الخوئى، السيّد محمّد محقّق داماد





العلّامة في غرفته الخاصّة مستغرقة في التأليف





العلّامة الطباطبائي مع بعض أفراد أُسرته ويظهر في الصورة الشهيد قدوسي



الفحّام رئيس جامعة الأزهر ـ آية الله الشريعتمدارى ـ الشيخ محمّد جواد مغنية

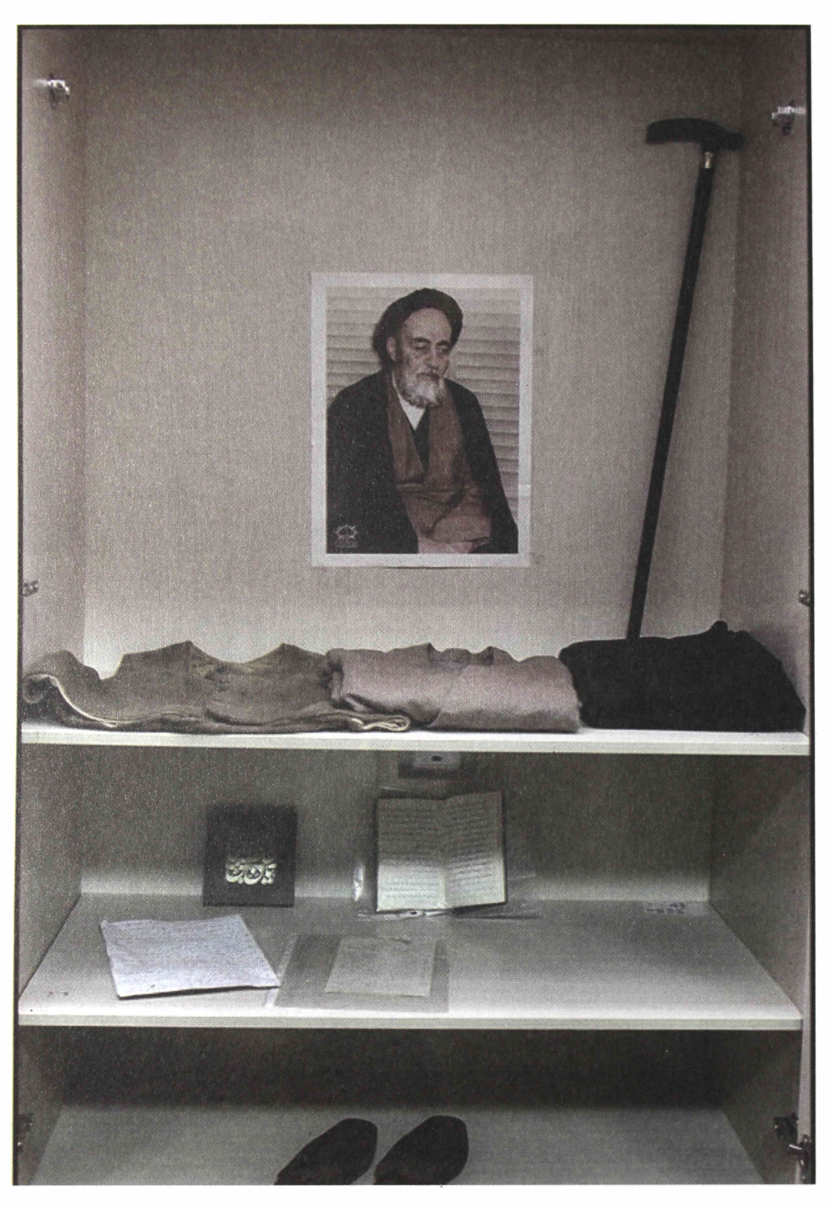


العلّامة الطباطبائي والسيّد الميلانى





لفيف من اساتذة وطلّاب الجامعات الباكستانيّة فى لقاء مع العلّامة الطباطبائي



بعد رحيل العلّامة الطباطبائي





الأُستاذ مناقبي والعابدي



السيّد الأبطحي والسيّد الاصفهاني



السيد أحمد نجل الإمام الخميني



العلّامة الطباطبائي محاضراً في مدرسة «الحجتيّة»



الشيخ فلسفي، مكارم شيرازي، آذري، محمّد يزدي، وآخرون



مع بعض الفضلاء والأساتذة



مسافراً إلى بعض المناطق الجبليّة



مع السيّد عبدالله الشيرازي فى مدينة مشهد المقدّسة



الشيخ إبراهيم الأميني مع أُستاذه





جمع من علماء الدين في مجلس العلّامة



السيّد المرعشى النجفي، السيّد حسين القاضى، الشهيد القاضي،

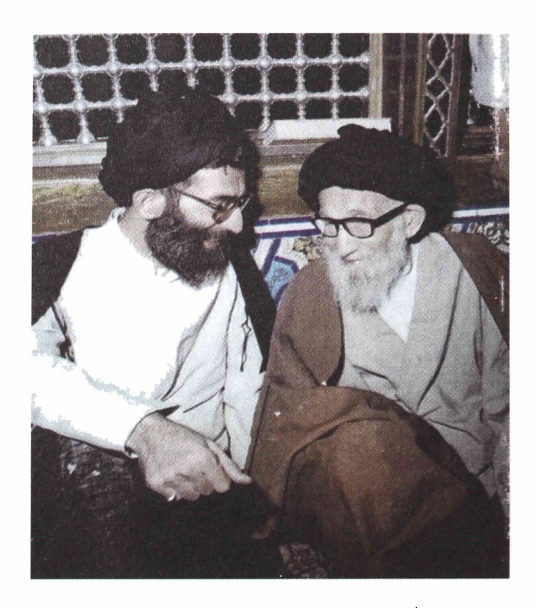
وعدد من فضلاء الحوزة



العلّامة الطباطبائي في سفره إلى مدينة اصفهان



آية الله السيد حسن بحر العلوم الرشتي . السيد الميلاني . العلامة السيد الطباطبائي .

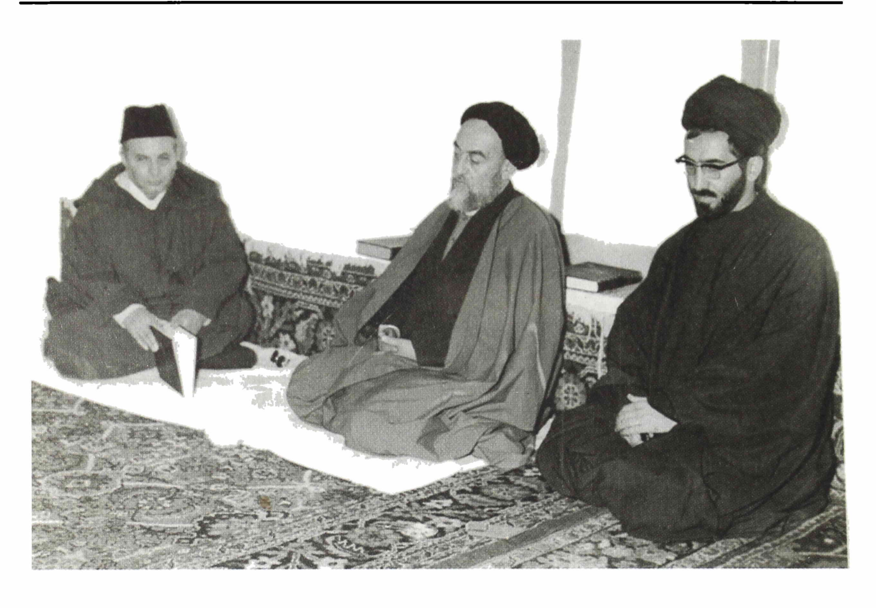


آية الله السيد الخامنئي مع والده

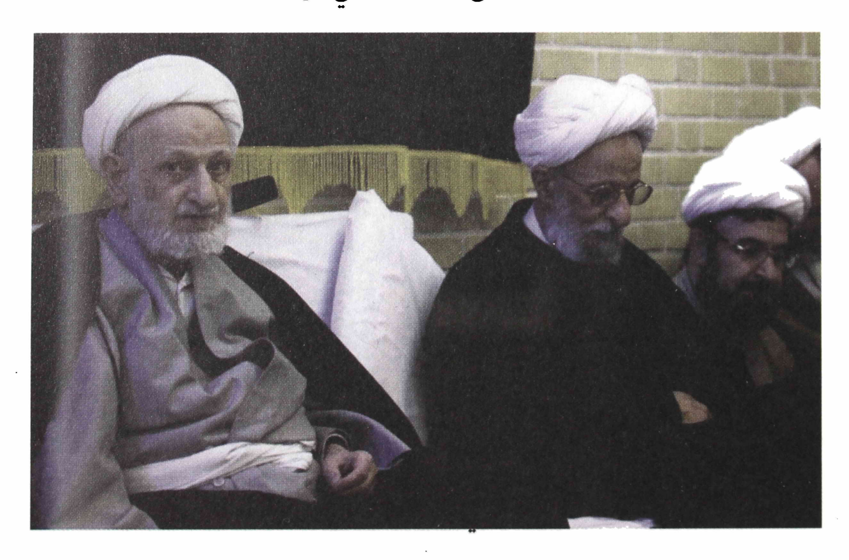




لفيف من الفضلاء



السيّد خسروشاهی وعلال الفاسي من المغرب



آية الله محمد تقي مصباح و آية الله بهجت



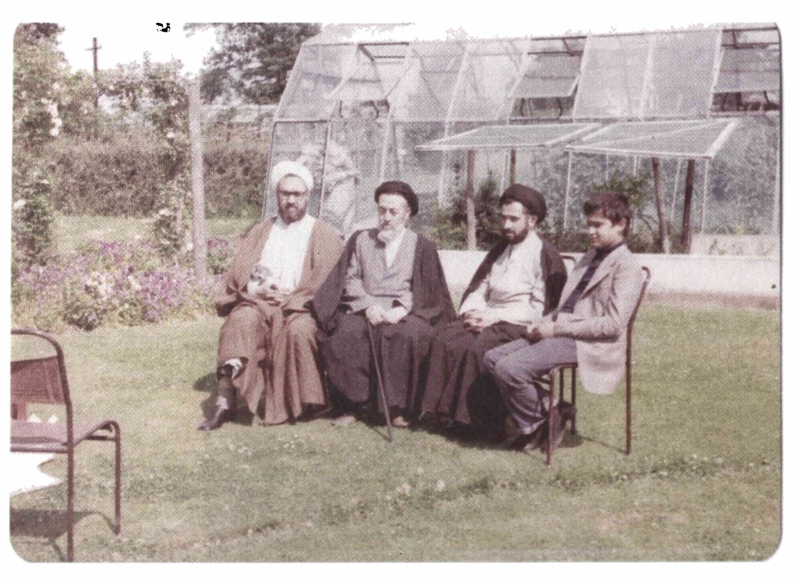


الحائري، الكلباسی، السيّد جواد الگلپايگاني،

الشيخ محمّد حسين مسجد جامعی، السيّد مهدي الگلپايگانی



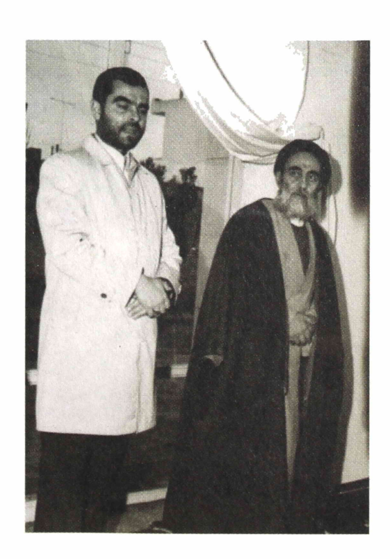
آية الله طاهري خرمآبادي ونجله مهدي



الشهيد مطهّرى وطاهري خرمآباذي في انجلترا



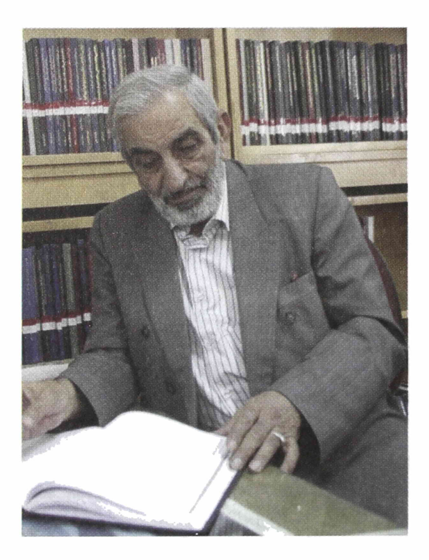
آخر دار سكنها العلّامة الراحل تحولت إلى «دار القرآن الكريم»



الأُستاذ أحمد عبّاسي



الدكتور منافي، الدكتور باهر، نجل العلّامة الراحل،
السيّد عبدالباقى الطباطبائي، مستشفى آية الله الگلپايگاني



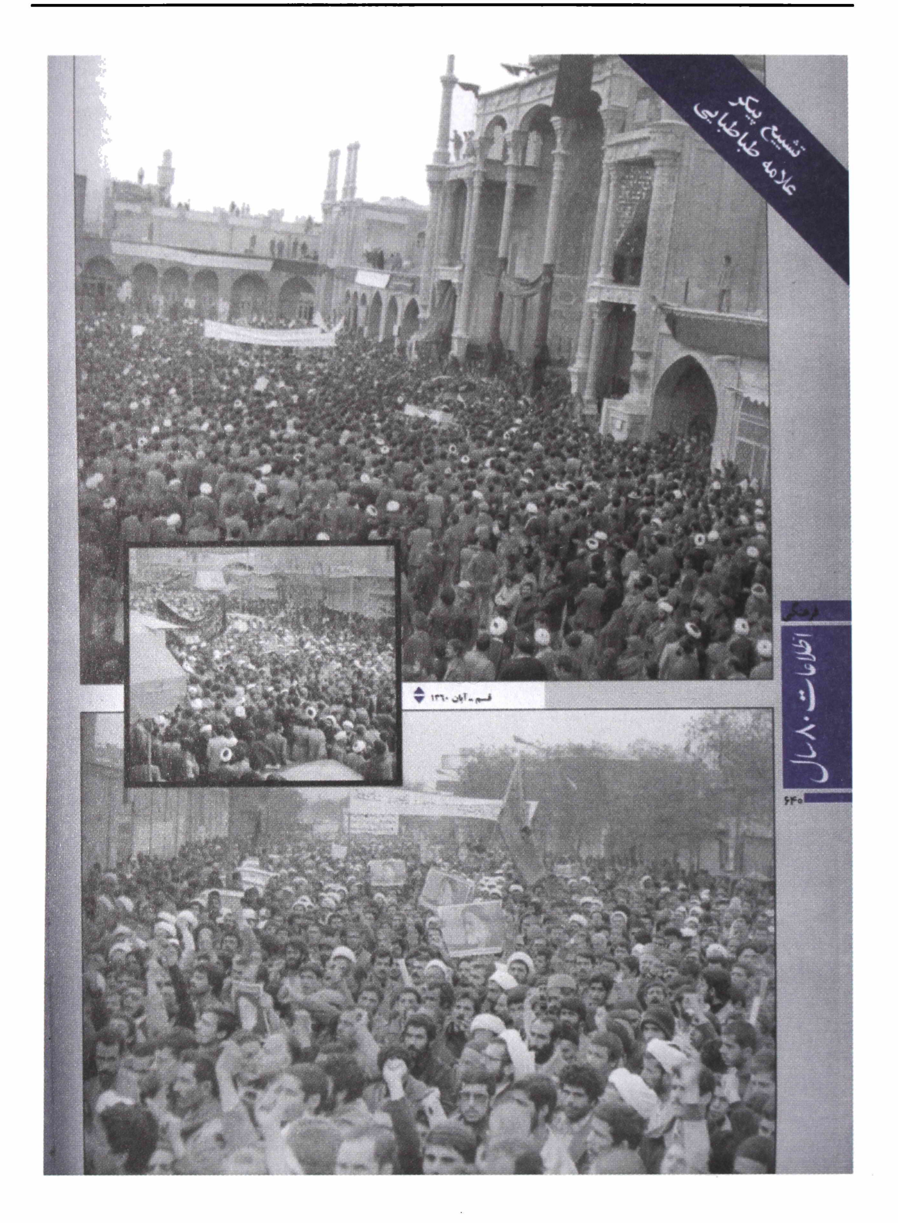
الدكتور علي قائمي



راقداً في المستشفى



صلاة الميّت يقيمها آية الله الگلپايگانى



مراسم تشييع جثمان الراحل العظيم





مجلس قراءة الفاتحة، الشيخ فلسفي على منبر مدرسة الفيضيّة





مقبرة « شادآباد » في ضواحي مدينة تبريز ، هنا يرقد أجداد العلّامة الراحل بسلام



جمهوری اسلامی ایران

وزارت کشور

سازمان ثبت احوال کشور

خلاصه رونوشت وفات شماره ٩٧٤٦٣٤ ف/٦

در تاریخ [illegible] روز [illegible] ماه آبان سال [illegible] شمسی خانه/بنگاه شماره ....

کوچه .... برزن .... شهر/قصبه/ده قم .... دهستان ....

شهرستان قم .... آقای/خانم محمد حسین .... دارای نام خانوادگی طباطبائی

فرزند محمد .... و .... متولد ١٢٨١ دارنده شناسنامه شماره ٩٠٠ ....

صادره شهر/قصبه/ده [illegible] جزو دهستان .... تابع حوزه [illegible]

اداره ثبت احوال شهرستان [illegible] به مرض/حادثه .... مرده و

مرگش در دفتر مردگان سال ١٣٦٠ حوزه ٥ .... تابع اداره ثبت احوال

شهرستان قم بشماره ١٦ ثبت شده است

این رونوشت خلاصه وفات بدون هیچ عیب و خدشه و قلم خوردگی برحسب

تقاضانامه کتبی به آقای/خانم [illegible] فرزند محمد حسین .... تسلیم گردید.

محل امضاء نماینده و مهر حوزه [illegible] اداره ثبت احوال شهرستان قم ....

ن ٨٢ـ ٩٠٠٠ د ١٠٠ ب

شهادة الوفاة التي تسلّمها نجله المرحوم السيّد عبدالباقى الطباطبائي

المحتويات